سوسيولوجيا التطرف والإرهاب في الأردن

دراسة ميدانية وتحليلية

د. محمد ابو رمان

أ. د. موسى شتيوي



مركز الدراسات الاستراتيجية

CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

سوسيولوجيا التطرف والإرهاب في الأردن

دراسة ميدانية وتحليلية

د. محمد ابو رمان	أ. د. موسى شتيوي

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2018 /591)

303.625
شتيوي، موسى مفضي
سوسيولوجيا التطرف والإرهاب في الأردن/ موسى مفضي شتيوي، محمد أبو رمان.- عمان: الجامعة، 2018

( ) ص
ر.إ.: 590/ 2018
الواصفات: الارهاب/ / الأردن/
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية.

المحتويات

فهرس الأشكال

فهرس الجداول

تقديم

حظيت ظاهرة التطرف العنيف باهتمام عالمي غير مسبوق سواء كان ذلك على الصعيد السياسي أو الأكاديمي، وانشغل الباحثون في محاولة تفسير هذه الظاهرة، وتحديداً محاولة الإجابة عن التساؤل المرتبط بالعوامل التي تدفع البعض للانضمام لهذه التنظيمات الراديكالية. العديد من الدراسات ركزت على محاولة فهم الأبعاد الأيدولوجية والعقائدية المرتبطة بهذه التحولات، ولكن هناك ندره من الدراسات السوسيولوجية التي تركز على الظروف التي تدفع الناس، وتؤدي للانخراط بهذه السلوكيات العنيفة أو في دراسة السمات أو الملامح Profile لهؤلاء الأشخاص.

قد يعود السبب في ذلك، هو صعوبة توفر المعلومات الدقيقة عن هؤلاء الأشخاص بسبب طبيعة هذه الظاهرة التي سيطرت على المنطقة والعالم لسنوات عدة.

تأتي هذه الدراسة بوصفها محاولة لسدّ الفجوة المعرفية في هذا الجانب عبر تركيزها على السمات أو الصفات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية للمنخرطين بهذه التنظيمات من خلال المعلومات الشخصية التي تشكل الخلفية الاجتماعية لهم. إضافة لذلك؛ فقد سعت هذه الدراسة، ومن خلال دراسات الحالة المعمقة، إلى استكشاف الدروب أو السُبل المختلفة للولوج للتطرف والتي تؤكد أن هناك طرقاً مختلفة وظروفاً سياسية واقتصادية واجتماعية تساهم في التحّول لهذا السلوك المتطرف والعنيف.

لقد واجهتنا، كما تواجه الباحثين الآخرين، صعوبة في الحصول على المعلومات الشخصية عن هؤلاء الأفراد لا سيما أن بعضهم قد قُتل وبعضهم الآخر ما زال خارج الأردن يقاتل مع التنظيمات المتطرفة، أو في السجون. ولكن تمّ التغلب على هذه المشكلة -إلى درجة كبيرة- باستخدام أساليب متعددة نوعية لجمع المعلومات المطلوبة سواء كانت من خلال وسائل التواصل الاجتماعي أو من المقربين من أعضاء هذه التنظيمات أو من خلال المحاكم والأحكام التي تصدر بحق المدانين منهم. وبالمحصلة النهائية؛ ضمت قاعدة البيانات معلومات مفصلة عن 760 شخصاً تمّ

إخضاعهم للتحليل الإحصائي لتحديد سماتهم إضافة إلى قراءة عميقة. كدراسة حالة تم إخضاعها للبحث والتحليل.

في النهاية؛ يسرني التقدم بالشكر الجزيل لمساعدة البحث ربا الطويسي على جمع البيانات وتنظيمها، وأحمد سعدالدين على تحضير البيانات وتجهيزها للتحليل الإحصائي، ولإسلام بشايرة على المساعدة في متابعة البيانات الإحصائية، والتدقيق والشكر والتقدير لمحمد سلامة على التدقيق والتحرير اللغوي.

وأتقدم بخالص الشكر والتقدير للسفارة النرويجية على دعمها البحثي لهذا المشروع، ولسعادة السفيرة وطاقم السفارة على المتابعة والدعم والتفهم للصعوبات التي واجهتنا في جمع البيانات.

مدير المركز

الأستاذ الدكتور موسى شتيوي

المقدّمة

منذ قرابة ربع قرن، دخل الأردن في مواجهة مع التنظيمات الراديكالية التي تعتمد في سلوكها نهجاً من التطرف العنيف، والتي تبنت منذ منتصف عقد التسعينيات من القرن الماضي مرجعية أيديولوجية وحركية تنتمي إلى الفضاء السلفي الجهادي، ومنذ العام 1995 شهد الأردن عشرات المحاولات المحدودة لاستخدام العنف وتنفيذ عمليات صغيرة من قبل أبناء هذا التيار، الذين نجحوا في العام 2005 بتخطيط من «قاعدة الزرقاوي» في العراق بتنفيذ هجوم كبير بتفجير ثلاثة فنادق معروفة في العاصمة عمّان، أدت إلى مقتل العشرات وإصابة مئات الجرحى. وخلال تلك الفترة السابقة نفسها، قام أفراد مرتبطون بالتيار السلفي الجهادي بمحاولات عديدة لتنفيذ هجمات، كان أخطرها محاولة تفجير مبنى دائرة المخابرات العامة العام 2004، عبر تجهيز انتحاريين ومفخخات، لكن تمّ اكتشاف العملية من قبل الأجهزة الأمنيّة قبل تنفيذها، وأُطلق على المجموعة تنظيم «كتائب التوحيد»، وقبلها كانت قضية مؤامرة «الألفية» العام 2000، وبينها قضايا عديدة أخرى.

هذا النشاط المتدرج الملحوظ للتيار السلفي الجهادي وأفراده في الأردن شهد «نقلة نوعية» مع تنامي فعاليات الحركات الاحتجاجية في المنطقة، والتي أطلق عليها «الربيع العربي» بداية العام 2011، ثم انفجار الأوضاع في سورية وبعدها في العراق، التي أدت إلى بروز تنظيم «الدولة الإسلامية»، وإعلانه الخلافة، وقبل ذلك صعود جبهة النصرة في سورية، كل ذلك ألقى بظلال كبيرة على الحالة الأمنية الأردنية، وتحديداً مع ظهور نشاط كبير لأبناء التيار السلفي الجهادي، وتعزيز قدرته على الدعاية والتجنيد، واستقطاب أعضاء جدد، والذي تزامن مع هجرة مئات الأردنيين إلى تلك المناطق الساخنة للانضمام إلى تلك التنظيمات الجهادية والمشاركة في القتال هناك.

بالرغم من كل ذلك ما تزال هنالك فجوة معرفية كبيرة في الدراسات السوسيولوجية وقصور كبير وملحوظ في إنجاز الدراسات والبحوث العلمية الكمية والنوعية

التي تناولت التيار السلفي الجهادي، ومعرفة سماته وفهم الأسباب والشروط والديناميكيات التي ارتبطت بظهوره وتناميه.[1]

وهنالك أيضاً تضارب شديد في حقيقة الأرقام واختلاف في صدقية التقييمات والمعلومات حول حجم التيار وعدد من ذهب من أفراده إلى الخارج بهدف المشاركة في القتال إلى جانب التنظيمات الجهادية، فثمة تقارير دولية تتحدث عما يقارب 4000 آلاف أردني، وتقييمات محلية شبه رسمية تتحدث عن 900 فقط، وبعضها يشير إلى حدود 300![2]

فضلاً عن ذلك؛ فإنّ الأبحاث والدراسات التي اقتربت أكثر من بنية التيار الداخلية ومن سماته وخصائصه: اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً، بمقاربة إمبريقية، تعتبر دراسات نادرة جداً، وربما يعود ذلك – بالدرجة الرئيسة – لمشكلة عدم توافر مصادر للمعلومات موثوقة ودقيقة حول هذا الموضوع.

كل ذلك يجعل كثيراً مما يتم نشره إعلامياً أو تجري مناقشته سياسياً أقرب إلى الانطباعات الشخصية والمؤشرات الهلامية الضبابية؛ الأمر الذي يخلق ما يمكن أن نطلق عليه «عتمة معرفية» عن الموضوع، وهو ما دفعنا في مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية إلى القيام بهذه الدراسة، التي تسعى أولاً إلى محاولة

---

(1) الدراسة الأكثر شمولًا وعمقاً إلى الآن عن التيار السلفي الجهادي الأردني؛ قام بها الباحثان: محمد أبو رمان وحسن أبو هنية بعنوان: «الحل الإسلامي في الأردن: الإسلاميون والدولة ورهانات الديمقراطية والأمن» (مؤسسة فريدريش إيبرت ومركز الدراسات الاستراتيجية، عمان، 2014)، وتحتوي فصولاً عن التيار السلفي الجهادي وتطوراته التاريخية وإطاره الأيديولوجي وأبرز القضايا المرتبطة به.

(2) انظر عن التضارب المذكور: 900 أردني يقاتلون مع «داعش» في العراق وسورية، جريدة الحياة اللندنية، 3-5-2017، وهذا الرقم كان نقلاً عن مسؤول كبير تحدث عن «داعش» و «القاعدة» معاً، وكذلك الأمر: مقابلة الـ بي بي سي مع رئيس هيئة الأركان المشتركة الأردنية، محمود فريحات، إذ أشار إلى أنّ عدد الأردنيين في الخارج يصل إلى 300 فقط، انظر:

https://www.youtube.com/watch?v=I8YSpBn86Ks ، وقارن ذلك بـ: سماح بيبرس، 4 آلاف داعشي أردني في سورية والعراق، جريدة الغد اليومية، 2-4-2017، نقلاً عن دراسة صادرة عن الكونغرس الأميركي، اما مؤسسة صوفان المعروفة في الاستشارات الأمنية؛ فقدرت العدد بما يزيد على ألفي مقاتل، انظر: عدد المقاتلين الأجانب تضاعف في سورية خلال 16 شهراً، الـ«بي بي سي» العربية، 9-12-2015، على الرابط التالي:

http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/12/151209_syria_foreign_fighters

رسم السمات الاقتصادية والاجتماعية للملتحقين بالتيار السلفي الجهادي الأردني، وتجميع أكبر كمّ ممكن من البيانات والمعلومات والتفاصيل عن الأردنيين المنخرطين في صفوف التنظيمات الجهادية أمثال: «داعش» و «القاعدة» و «جبهة النصرة» وغيرها من التنظيمات الجهادية خارج الأردن، والذين تم إصدار الحكم عليهم في قضايا محكمة أمن الدولة داخلياً.

أمّا الهدف الثاني؛ فيتمثل بدراسة الدروب المختلفة التي دفعت وتدفع بعض الناس للانضمام أو الالتحاق بالتيارات السلفية الجهادية المختلفة سواء كانت هذه الأسباب عائلية أم دينية أم اجتماعية أم نفسية أم اقتصادية، أم سياسية أم مزيجاً من هذه العوامل. وقد تمّ ذلك من خلال مراجعة المحطات الرئيسية التي مرّ بها هؤلاء الأشخاص ودفعتهم باتجاه الفكر الجهادي والانخراط في داخله؟ ولأسباب عديدة، فقد ركّزنا في الحالات الدراسية بدرجة أكبر على الأردنيين الذين ذهبوا للقتال، وقُتلوا في سورية والعراق ومناطق أخرى. (هناك أردنيون قتلوا في اليمن وليبيا)، واستطعنا الوصول إلى قرابة عشرين حالة ضمن دراسة مفصّلة ومعمّقة تتوافر على قدر من المعلومات من مصادر متعددة، من بينها: شبكات التواصل الاجتماعي، والمقابلات مع الأصدقاء والأهل والأشخاص أنفسهم، إن كانوا على قيد الحياة وقبلوا بالمقابلات.

وأخيراً، واستناداً إلى النتائج التي توصلت إليها الدراسة، فسوف نقدم مجموعة من التوصيات للتعامل المستقبلي مع أعضاء هذه الجماعات المتطرفة ومع هذه الظاهرة الخطرة.

على هذا الأساس؛ فإنّ هذه الدراسة غير مسبوقة من أكثر من زاوية: الأولى تجميع بيانات ومعلومات عن مئات الأردنيين من هذا التيار، في محاولة بناء أكبر قدر ممكن من المؤشرات. والثانية دراسة عشرات الحالات دراسة مفصّلة. والثالثة الاقتراب من محاولة تشخيص سمات التيار: اجتماعيا؛ وثقافياً، ونفسياً، واقتصادياً، على أكثر من مستوى.

الإطار المنهجي

قامت منهجية الدراسة على الاستعانة بأكثر من أداة بحثية ووسيلة، لرصد الأسماء، وتجميع بيانات ومعلومات مفصّلة عنها، لكنّها - على الأغلب- تقوم على مفهوم «كرة الثلج المتدحرجة» Snow Ball، وهي المنهجية التي نجد من خلال دراسة هذه التيارات، بخاصة في العالم العربي عموماً، والأردن خصوصاً، أنّها مناسبة بدرجة كبيرة نظراً لغياب قاعدة بيانات ومعلومات رسمية معتمدة.

فكرة «كرة الثلج المتدحرجة» تقوم على الوصول عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي إلى الأسماء والمعلومات المتاحة، ثم ننطلق منها إلى توسيع قاعدة البيانات من خلال المقابلات الشخصية، الذين يرتبط بهم هؤلاء الأشخاص، فمثلاً إذا عرفنا (س) من الأشخاص المقاتلين في سورية، يمكن - في كثير من الأحيان- أن نعرف آخرين عبر المتواصلين على صفحته، أو قائمة أصدقائه، والتعرف على آخرين من التيار، من خلال صفحاتهم الخاصة، أو معارف آخرين يعرفون هذا الشخص يتم التواصل معهم، وهكذا على الصعيد الاجتماعي، فإنّ بعض الأعضاء الناشطين في السلفية الجهادية يمكن أن يقودوا الباحثين إلى أسماء عديدة ويسهّلوا عملية الاتصال بالأشخاص المعنيين أو الدوائر القريبة منهم، للوصول إلى المعلومات المطلوبة عن الأشخاص المعنيين.

وكذلك فقد تم رصد الحالات التي أحيلت إلى محكمة أمن الدولة وتم متابعة هذه الحالات وجمع المعلومات عنها من خلال لوائح الاتهام أو من خلال الأحكام التي صدرت بحق المئات من هذه الحالات، واستكمال المعلومات عنهم من خلال الوسائل التي تم الإشارة إليها سابقاً.

لقد بلغ العدد الإجمالي لهذه الدراسة 760 «جهادياً أردنياً»؛ أي من ينتمون إلى التيار السلفي الجهادي، من بينهم 190 شخصاً ممن قتلوا في الخارج مع هذه الجماعات و 49 من الذين ما زالوا يقاتلون خارج الأردن حتى إعداد هذه الدراسة، ويشكل هذا العدد 31.4 ٪ من إجمالي الحالات التي تم جمع البيانات حولها. أما بقية الأشخاص في

قاعدة البيانات هذه، فهم الذين انخرطوا بأعمال عنيفة أو التحقوا أو حاولوا الالتحاق بالجماعات المتطرفة أو الذين قاموا بسلوكيات مخالفة لقانون مكافحة الإرهاب. هذه الحالات خضعت للمعالجة الإحصائية البسيطة بعد أن تم جمع المعلومات الخلفية عن كل شخص منهم. ومن الجدير الإشارة إلى أننا لم نتمكن من جمع المؤشرات كافة لكل هذه الحالات، فالمؤشرات التي تم جمع المعلومات حولها هي: العمر؛ والمستوى التعليمي؛ والحالة العملية (يعمل/ لا يعمل)؛ والمهنة، وقطاع العمل؛ والتهمة (للحالات داخل الأردن)؛ والتنظيم الذي ينتمي إليه الشخص. إذ أننا لم نتمكن من جمع بعض المؤشرات عن عدد من الحالات. بينما اكتفت الدراسة النوعية بقرابة الـ 11 حالة، من الأردن الذين التحقوا بالتنظيمات المتطرفة داخل الأردن وخارجه، وسنركز عليها في فصول عدة من الكتاب، مع الاسترشاد بمعلومات أخرى عديدة إضافية وصلنا إليها من خلال دراسة الحالات الأخرى، وبدرجة كبيرة قائمة المقتولين في الخارج.

مَنْ هو السلفي الجهادي؟

ثمّة مفاهيم رئيسة مرتبطة بهذه الدراسة ومنهجيتها، والمفهوم الرئيس هنا هو «الجهاديون» مَنْ هم؟ وما المقصود بالتيار السلفي الجهادي في الأردن؟ وكيف نصنّف الجهاديين ونحكم أنّ هذا الشخص هو مِن ضمن العينة المستهدفة في الدراسة؟

بخصوص السلفي الجهادي، سواء كنّا نتحدث عن تيار أو شخص، فهو من يؤمن بمبادىء الحاكمية. أي ضرورة إقامة الحكم الإسلامي، وبتكفير الحكومات العربية القائمة، وبالعمل المسلّح بوصفه منهجاً رئيسياً في التغيير، إما في الداخل أو في الخارج، وبمفهوم «الولاء والبراء» والمقصود به هنا تأطير العلاقة مع الآخر: ثقافياً ودينياً وسياسياً، ضمن مفاهيم عقائدية، وهو الذي يشعر بالانتماء أو الولاء لكل من «القاعدة» أو ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية «داعش» أو «جبهة النصرة». [1]

(1) انظر إلى: تعريف السلفية الجهادية: محمد أبو رمان، الإصلاح السياسي في الفكر الإسلامي: المقاربات، القوى، الأولويات، الاستراتيجيات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2010، ص 255-260.

لكن ضمن هذا الإطار المفاهيمي، كيف يمكن أن نحدّد الأشخاص المعنيين في الدراسة؟

من أجل ذلك وضعنا مؤشرات متعددة، في حال انطبقت أو انطبق بعضها على أي شخص، يعتبر من ضمن العينة المدروسة، وهذه المؤشرات هي:

أولاً- من قُتل في العراق أو سورية أو أي مكان آخر وهو يقاتل مع هذه الجماعات والتيارات، كـ «داعش» أو «النصرة» أو «القاعدة» في اليمن أو «القاعدة» عالمياً، فمن ينضم إليها ويقتل معها، هو ممن يؤمن بأفكارها، إذا لم ينشق ويعلن خروجه وتخليه عن هذه الأفكار.

ثانياً- من انضم إلى تلك المنظمات، وما يزال يقاتل فيها، أو التحق بها وعاد من هناك، حتى لو أعلن أنّه ترك هذا الفكر، فهو في الحدّ الأدنى «سلفي جهادي سابق»، ويمكن دراسة حالته، ووضعه ضمن الحالات التي تدرس مؤشراتها وأفكارها.

ثالثاً- من تم الحكم عليه في محكمة أمن الدولة بصورة قطعية، بعد التمييز والاستئناف، وهنا نميّز بين ثلاثة أنواع من القضايا: الأولى تشكيل خلايا وجماعات إرهابية أو المشاركة في العمليات المرتبطة بهذه التنظيمات. والثانية محاولات الالتحاق بهذه الجماعات أو العودة من هناك، والثالثة الترويج؛ أي إظهار التأييد والمؤازرة لتلك الجماعات وأفكارها عبر وسائل متعددة، إما على وسائل التواصل الاجتماعي أو في اللقاءات الاجتماعية، وهذا النوع من القضايا أصبح منتشراً في أحكام محكمة أمن الدولة في الأردن في الأعوام الأخيرة، بعد تعديل قانون مكافحة الإرهاب، الذي أصبح يجرّم الإشادة أو تأييد تلك المنظمات بصورة علنية.

رابعاً- أما الصنف الرابع، فهو مَنْ يعرّف نفسه بأنّه سلفي جهادي بصورة واضحة، وربما اعتُقل على هذا الأساس، ومَنْ يظهر من خطابه ولغته إيمانه بأفكار هذا التيار وبأيديولوجيته، حتى وإن لم تتم محاكمته، وهي حالات غير موجودة بصورة مباشرة في الدراسة، لكن نستعين بها في سياق التحليل والتفسير، بخاصة عندما نتحدث عن «النسائية الجهادية» الأردنية.

لذلك، من الناحية التنظيمية، تم تقسيم الحالات الموجودة بقاعدة البيانات هذه من ناحية الانتماء التنظيمي إلى التالية: تنظيم «داعش»، «جبهة النصرة»، «القاعدة»، وتنظيمات جهادية أخرى خارج الأردن، وأتباع التيارات التكفيرية داخل الأردن.

وعليه، سيتكون الكتاب من أجزاء رئيسة مترابطة: تحليل كمي للعدد الكلي، وتحليلات كمية لمؤشرات جزئية، وتحليل نوعي لعدد معين من الحالات، التي خضعت لدراسة نوعية أكثر عمقاً، وسنتناول أسئلة رئيسة: الخلفية الفكرية للشخص، نقاط التحول التي حدثت لديه، والتأثيرات التي دفعت به إلى التيار الجهادي: أشخاص، وأفكار، وظروف اجتماعية أو اقتصادية، لاستكشاف الدوافع الذاتية والموضوعية، والمستوى الاقتصادي، وتأثير البيئة المجتمعية المحيطة.

من هنا، فإنّ الكتاب سيتألف من فصول رئيسة؛ خلفية تاريخية عن التيار الجهادي وتطوّره، محاولة تشخيص بنية التيار الداخلية وسماته وتأثير البيئة السوسيولوجية، من خلال خبرة البحث والتجربة والتحليل والمعلومات التي توصل إليها البحث الميداني، ثم دراسة اجتماعية اقتصادية مبنية على المؤشرات الكمية التي تمّ جمعها وتصنيفها، وأخيراً دراسة حالة لنماذج عديدة في التيار، ولاحقاً فصل الاستنتاجات والتوصيات.

ستركّز الدراسة على الفترة الزمنية منذ بداية العام 2011 إلى منتصف 2017. لأنّ هذه الفترة - كما ذكرنا- شهدت تحولات متعددة في بنية التيار وانتشاره والقضايا المرتبطة به، جعلتنا أمام حالة أكثر هلامية وضبابية مما سبق، لذلك من شأن استكشافها ووضعها تحت المجهر المساعدة كثيراً في تشخيص وفهم الوضع الراهن للتيار «الجهادي الأردني» عموماً، ولكن المعلومات الإحصائية التي تم جمعها يعود بعضها لما قبل ذلك وبخاصة بالنسبة للذين انخرطوا بأعمال مخالفة للقانون داخل الأردن.

الفصل الأول

التيار السلفي الجهادي: إطار تاريخي

الفصل الأول

التيار السلفي الجهادي: إطار تاريخي

التيار السلفي الجهادي ليس منظّمة أو حركة منظمة تتوافر على تراتبية هيكلية أو إدارية، بل هو مجموعات شبكية لا يوجد رابط تنظيمي بينها، على الصعيد الكلي المجمل، سوى الرابط الأيديولوجي والعلاقات الشخصية بين أفراده، فهو يفتقر إلى أي عمل مؤسسي هيكلي، ويمتاز بالطابع الهلامي الفضفاض.

1. تشكُّل التيار في منتصف التسعينيات

يمكن التأريخ لتشكّل التيار وبروزه على صعيد ظهور قيادات مرجعية فكرية، وبلورة أيديولوجيا فكرية شمولية كمرجع عام لأبنائه، تجمعهم في إطار فكري عام واحد، منذ الإعلان عن قضية بيعة الإمام في العام 1994. أي منتصف التسعينيات، إذ ظهّرت على السطح شخصيات أخذت بُعداً كارزمياً قيادياً فيما بعد، ومن أبرزها أبو محمد المقدسي؛ وأبو مصعب الزرقاوي. ومعهم مجموعة من الشخصيات أصبح بعضها لاحقاً من القيادات البارزة في التيار، داخلياً وخارجياً.

لو عدنا إلى قضايا محكمة أمن الدولة وأبرز التنظيمات قبل ذلك؛ سنجد أنّنا أمام نموذج «جيش محمد» (1991) وهو خليط من إسلاميين راديكاليين، يرون العمل المسلّح في تغيير المنكر، لكنهم لا يتوافرون على أيديولوجيا متكاملة، والحال كذلك لتنظيم الأفغان الأردنيين (1994)، وهي تنظيمات تشكلت بعد عودة المقاتلين من ساحة أفغانستان نهاية التسعينيات وبتأثير من الشيخ عبدالله عزام الذي أسس «مكتب الخدمات» في بيشاور، وهنالك قضية النفير الإسلامي (1992)، وفيها نائبان إسلاميان معروفان، لديهم ميول صوفية وليست سلفية، وتنظيم التجديد

الإسلامي، وهو ذو طابع إسلامي هلامي عموماً، ومجموعة الألغام أو متفجرات عجلون، وهم ثلاثة شباب على درجة عالية من الثقافة، لهم أهداف سياسية، وميولهم صوفية، ومحاولة اغتيال الديبلوماسي الفرنسي، وتنظيم مؤتة العسكري، الذي اتّهم أبناؤه بمحاولة اغتيال الملك الراحل الحسين بن طلال، وتم الربط بينهم وبين تأثير لأيديولوجيا حزب التحرير الإسلامي.[1]

لكن منذ العام 1995، مع بيعة الإمام، تقريباً، بدأت الحالة الجهادية تأخذ قضاياها أشكالا من الطابع المسلّح، تنتمي إلى الفضاء السلفي الجهادي، أي أنّ أبناءها عموماً متأثرون بالأيديولوجيا السلفية الجهادية، فظهر بعد بيعة الإمام في العام 1996–1997، ما يسمى تنظيم «الإصلاح والتحدّي»، الذي أبطلت محكمة التمييز الحكم الصادر عن أمن الدولة بحقه، لكنّه ضم سلفيين جهاديين ومعهم أبو قتادة الفلسطيني، الذي بدأ اسمه يبرز في بريطانيا بوصفه منظّراً للسلفية الجهادية عالمياً، بخاصة لشمال أفريقيا، وكان يصدر نشرة «الأنصار» المساندة للجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر، ومجلة المنهاج الجهادية العامة، وعرف بمقالاته بعنوان «بين منهجين»، وهو أردني من أصول فلسطينية.

خلال تلك الفترة، بدأت مرحلة التشكّل السلفي الجهادي الأردني في السجن وخارجه، وبدأت تظهر قيادات وتلمع أسماء كارزمية وتنشر الكتب وتطبع بالسرّ، وتتوحد المجموعات السرية الصغيرة، التي كان لا يربط بينها رابط في إطار تنظيمي وأيديولوجي واحد، ولم يكن هناك تنظيم شامل في أي وقت من الأوقات يشمل الجميع.

من الأسماء التي أخذت بالبروز كقيادات في الداخل: أبو محمد المقدسي– عصام البرقاوي، الذي كان يعيش في الكويت والخليج، وانتقل لفترة محدودة لأفغانستان وباكستان والتقى بالمقاتلين العرب هناك، وتعرّف على أبو مصعب الزرقاوي، أحمد فضيل الخلايلة، وبدأت العلاقة بين الشخصين تنمو، وعندما عادا إلى الأردن أخذا

(1) انظر: محمد أبو رمان وحسن أبو هنية، الحل الإسلامي في الأردن: الإسلاميون والدولة ورهانات الديمقراطية والأمن، فريدريك أيبرت، ومركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية، عمان، ط2، 2014، ص 290–301.

يعملان على نشر أفكار المقدسي التي وضعت أساساً جامعاً للسلفية الجهادية: عالمياً ومحلياً، ومن أبرز تلك الكتب «ملة إبراهيم وأساليب الطغاة في تمييعها»، و «الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية»، وغيرها من كتب لقيت انتشاراً واسعاً في أوساط المجموعات الراديكالية والشباب الإسلامي المتحمّس، وأصبحت توزع وتنشر في السرّ قبل ظهور الإنترنت، بالرغم من إلقاء القبض على المقدسي والزرقاوي وسجنهما.

«بيعة الإمام» كانت إيذاناً بتأسيس عملي للتيار: أيديولوجياً وحركياً، حتى وإن حافظ على الصيغة الفضفاضة تنظيمياً، أو لم يكن هنالك تنظيم شامل بمعنى أدق.[1] في الأثناء سحب الزرقاوي بساط القيادة من تحت قدمي المقدسي في السجن، وأصبح المقدسي أقرب إلى المنظّر والأب الروحي، بينما الزرقاوي هو الزعيم الحركي الكارزمي، وفي خارج السجن بدأت تتآلف المجموعات الصغيرة الراديكالية في إطار أيديولوجي عام، وتتم الدعوة للفكر الجديد من خلال أفكار المقدسي وكتاباته، وأصبحت تتشكل نواة رئيسة في مجموعة من المناطق من أشخاص يتبنون هذا الفكر، فكان الارتباط يتم غالباً على صعيد جغرافي. أي في المدن، يتم تشكّل مجموعة من الأفراد عبر علاقات غير هيكلية يؤيدون فكرة الحاكمية وتكفير الأنظمة العربية ورفض القبول بالديمقراطية والعمل السلمي، ويحاولون الدعوة إلى ذلك في المجتمع والتأثير في الأفراد الآخرين.

أدى ذلك إلى بروز قيادات مفتاحية في مدن عديدة، إربد والزرقاء والسلط والكرك مرتبطة بهذا التيار، وتتواصل شخصياً مع المقدسي أو الزرقاوي في السجن، وظهرت قضايا فرعية جديدة في محكمة أمن الدولة خلال تلك الفترة تمثّلت إما بخلايا صغيرة

(1) لكن وجد التيار سهولة في الانتشار في تلك الحقبة؛ أي منتصف التسعينيات، وقد يفسرّ ذلك لأسباب سياسية واجتماعية، من ضمنها الشعور بخيبة الأمل من هزيمة صدام حسين في حرب الخليج 1991، بعدما علّق الشارع الأردني آمالاً عريضة عليه، وانجرت جماعة الإخوان المسلمين الأكثر تأثيراً إلى تأييده، فشعرت نسبة كبيرة من الشباب بإحباط وغضب من الأنظمة العربية، وربما من طريقة الإخوان، ثم اندراج الأردن في مفاوضات السلام وتوقيع معاهدة وادي عربة 1994، التي أصبحت قانوناً خلال الفترة نفسها، ما استفزّ نسبة كبيرة من الأردنيين، ونسبة كبيرة منهم من أصول فلسطينية، بعدما نشأوا وتعوّدوا على مواجهة أي ثقافة أو مواقف سياسية تدعو إلى المصالحة والسلام مع إسرائيل والاعتراف بوجودها، ويكفي التذكير أنّ الذي اغتال أنور السادات في العام 1981 كان عضواً في جماعة الجهاد الإسلامية. ويمكن إضافة موضوع الأزمة الاقتصادية 1989 والتوجه نحو رفع الدعم عن السلع الرئيسة والهزّات التي تعرضّت لها الطبقة الوسطى، بخاصة في القطاع العام، كجزء من الشروط الاقتصادية- الاجتماعية التي خلقت دوافع عامة للتوجه الراديكالي لدى شريحة من الشباب.

تؤمن بالعمل المسلّح أو تهم إطالة اللسان على الملك وتكفيره، فزاد عدد أعضاء التيار في السجن وخارجه، وقد ساهمت الثورة الاتصالية ودخول خدمة الإنترنت الأردن نهاية التسعينيات في عمليات الدعوة والاستقطاب والتجنيد.

2. الانتشار خارجياً وعولمة التيار المحلي

في العام 1999 صدر عفو ملكي عن أغلب السجناء بعد تولي الملك عبدالله الثاني العرش، ومن ضمنهم أبناء التيار السلفي الجهادي، وخرج أبو مصعب الزرقاوي والمقدسي ورفاقهم من السجون، والتقى مَنْ هم في خارج السجن مع مَنْ في داخله. لكن الزرقاوي سرعان ما قرّر مغادرة الأردن والذهاب إلى أفغانستان، وخرجت معه مجموعة إلى هناك، فيما اتجهت مجموعة أخرى، من أبناء مدينة السلط إلى كردستان العراق، وتحالفوا مع جماعة الملا كريكار وشكّلوا أنصار السنة هناك، وقتل عدد من الأردنيين في تلك المعارك مع القوى الكردية الأخرى.

في الأثناء، كان الزرقاوي يجمع عدداً من الأردنيين والعرب في معسكر «هيرات» في أفغانستان، ويعمل على تأسيس تنظيم إقليمي سلفي جهادي، ثم انتقل إلى العراق بعد الحرب الأفغانية، وهناك شكّل «جماعة التوحيد والجهاد» في العام 2003، ثم انضم إلى «القاعدة» في العام 2004، وأصبح من أبرز قادتها على صعيد عالمي، وليس عراقي أو أردني فحسب!

كان المقدسي قد عاد إلى السجن بعد فترة قصيرة من إطلاق سراحه، فيما الزرقاوي تحوّل في عيون أنصار التنظيم إلى بطل وقائد، ويلاحظ أنّه بالرغم من خروجه من الأردن، إلاّ أنّه منذ البداية حاول القيام بعمليات ضد المصالح الأميركية والغربية في الأردن، وضد المخابرات العامة بصورة خاصة، وهو ما انعكس على طبيعة العمليات التي أشرف عليها ودعمها بنفسه.

من ضمن تلك العمليات ما سمي بـ «تنظيم الألفية» (2000)، الذي اتهمته السلطات الأردنية بأنّه يستهدف مصالحَ غربية ورمزية في الأردن، وضمت أسماء المتهمين الزرقاوي؛ وأبرز المقربين منه: مثل خضر أبو هوشر؛ وأسامة سمّار؛ وخالد العاروري؛ وياسر أبو غلوس؛ ومعهم المقدسي (الذي برأته المحكمة لاحقاً)؛ وأبو قتادة الفلسطيني (المقيم في لندن حينها)؛ ومعهم قادة أنصار السنّة في العراق الملا كريكار. وأبو الغادية السوري. وموفق عدوان وغيرهم.

ولحقه تنظيم ما سمي بـ «أنصار الإسلام» وضم أيضاً عدداً من المقربين من الزرقاوي. وعملية اغتيال الدبلوماسي الأميركي لاري فولي (في العام 2002)، واتهم فيها ليببون، وتنظيم الخلايا الذي ضم مجموعة من الأشخاص أغلبهم من سكان عمّان الشرقية، ومحاولة اغتيال علي برجاق ضابط المخابرات العامة الذي كان مسؤول قسم مكافحة الإرهاب، واتهّم فيها مجموعة من أبناء مدينة السلط.

الموضوع الأبرز خلال تلك الفترة كان إلقاء القبض على تنظيم (أطلق عليه «كتائب التوحيد») بقيادة عزمي الجيوسي، وكان يخطط لعملية ضخمة بإشراف أبو مصعب الزرقاوي، تتمثل في تفجير مباني دائرة المخابرات العامة، عبر مفخخات وانتحاريين وهجوم مسلّح، وكانت هذه العملية مؤشراً إلى حجم اهتمام الزرقاوي بالأردن من جهة، ونمو تأثيره الإقليمي من جهة أخرى، وتزايد قدرات وأعداد الأردنيين الملتحقين به من أبناء السلفية الجهادية في الخارج، ومنهم عزمي الجيوسي. وموفق عدوان الذي قتل خلال المواجهات مع أعضاء التيار في حينها.

لم تنته قصة الجيوسي؛ إذ حاولت مجموعة أخرى القيام لاحقاً بترتيب عملية انتحارية لتهريبه، وأطلق على المجموعة اسم «تنظيم الأنجادي»، نسبة إلى زعيم التنظيم سليمان الأنجادي، الذي قتل خلال مواجهة مسلحة مع الأمن في إربد في العام 2006، والأنجادي (كان يبلغ من العمر 32 عاماً) هو فلسطيني مقيم في مخيم إربد، يحمل جواز سفر غزّيا، وكان معه في التنظيم جميل كتكت وآخرون.

في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام 2005 نجح الزرقاوي في القيام بعملية تفجير الفنادق، بعد محاولات عديدة فاشلة لعملية إرهابية ضد الأردن، لكنّه اعتمد على عناصر عراقيين، نفذوا عمليات انتحارية فيها فشلت ساجدة الرشاوي في تفجير حزامها الناسف وتمّ اعتقالها والحكم عليها بالإعدام، الأمر الذي تمّ مؤخراً. [1]

وفي العام 2006، كذلك، تم إلقاء القبض على ليبي اسمه محمد الدرسي ومعه عراقيون واتهموا بمحاولة تفجير مطار الملكة علياء الدولي، وكان ذلك التنظيم أشبه بحفلة الوداع بين الزرقاوي والأردن، قبل مقتل الأخير.

سمات تلك المرحلة تتمثل ببروز نجم الزرقاوي، وبهجرة عشرات من أبناء التيار الجهادي إلى الخارج في محاولة اللحاق به، وهنالك محاكمات عديدة على خلفية الالتحاق ومحاولات الالتحاق بالخارج، إيجاد فضاء خارجي أو أفق خارجي لأبناء التيار في الأردن، ففقد بدرجة كبيرة صبغته المحلية وأصبح مزدوجاً؛ أي محلي وخارجي، وظهور قدر أكبر من الاحتراف والتعقيد في عمليات التيار مقارنة بالمرحلة السابقة.

3. بروز الانقسامات والتشعب داخل التيار

في العام 2006 قتل أبو مصعب الزرقاوي في العراق بغارة أميركية، لكن ذلك لم ينه تأثيره على الأردن وفي المنطقة، إذ أصبح بنظر نسبة كبيرة من التيار الجهادي الأردني والجهاديين العرب والأجانب أيضاً أحد رموز وقادة هذا التيار، وبقي بمنزلة الأب الروحي لـ «قاعدة» العراق، التي أصبحت لاحقاً تنظيم «الدولة الإسلامية» داعش، فهو الذي وضع أسس التنظيم.

قبل مقتل الزرقاوي طفت على السطح الخلافات بينه وبين أبو محمد المقدسي، إذ نشر الأخير (قبل مقتل الزرقاوي) مقالاً بعنوان «الزرقاوي مناصرة ومناصحة»

---

(1) انظر عن جملة هذه القضايا إلى:-Mohammad Aburumman and Hassan Abu Hanieh, The Islamic Solution in Jordan: Islamists, the State and the Ventures of Democracy and Security. Fredrich Ebert and the Center for Strategic Studies, university of Jordan, Amman, 2013, p 340-353.

أقرّ فيه بتلك الخلافات، وهاجم الزرقاوي، بصورة غير مسبوقة، ما دفع بزملاء الزرقاوي وأصدقائه إلى مهاجمة المقدسي وتبادل الاتهام معه، وبدأت معالم الانقسام والتشعب تظهر في أوساط الجهاديين بعد ذلك بين تيارين: الأول مؤيد للمقدسي. والثاني مؤيد للزرقاوي.

تكرّست الخلافات بين التيارين وتعمّقت بعد مقتل الزرقاوي، فظهر من سُمّوا بـ «الزرقاويين الجدد»، الذين اتهموا المقدسي بالتفريط واختلفوا معه، وكانوا متأثرين بالزرقاوي، وعلى الجهة المقابلة التفت القيادات المعروفة للتيار في مختلف المناطق حول المقدسي، وفي مقدمتهم عبد شحادة الطحاوي في إربد، وفي السلط لقمان ريالات وجراح الرحاحلة، وفي عمان جواد الفقيه وغيره، وفي معان أبو سيّاف، وكان المقدسي يقضي تلك الفترة ما بين السجن وخارجه، بصورة متقطعة.

في تلك الفترة، وتحديداً خلال أربعة أعوام منذ 2006-2010، بدأ يتشكّل جيل قيادي جديد ويظهر في أوساط التيار السلفي الجهادي، ليس ضمن محيطه التقليدي، وأبرز القادمين الجدد هم من أوساط سلفية حركية أو إخوانية، بعضهم كان معروفاً وآخرون غير معروفين كشفت تطورات لاحقة عن علاقتهم بالسلفية الجهادية.[1] ففي تلك الفترة برز اسم كل من د. سعد الحنيطي؛ ود. إياد القنيبي؛ ود. أيمن البلوي؛ والأطباء: منيف سمارة؛ وصلاح العناني؛ وبسّام النعيمي (أبو بندر) كشخصيات جديدة فاعلة في واجهة التيار الجهادي، كانت ضمن العلاقات الجديدة لمجموعة المقدسي، وتداخل معهم في تلك المرحلة أيضاً أشخاص قريبون من تيار يطلق على نفسه «تيار الأمة»، أسس في الكويت على يد د. حاكم المطيري، وله امتداد في الأردن.

(1) من هذه الأسماء، مثلًا الطبيب همّام البلوي، الملقب بأبي دجانة الخراساني، الذي كان على علاقة بالمقدسي، غير معروفة، ولم يكن معروف في أوساط التيار الجهادي الأردني، على الأقل باسمه الحقيقي، بالرغم من شهرته الالكترونية بلقبه أبو دجانة الخراساني، إلى أن اكتشفت المخابرات شخصيته الحقيقية، وحاولت تجنيده، ثم قام بعمليته المشهورة بخوست شرق أفغانستان، وقتل فيها عدداً من موظفي المخابرات المركزية الأميركية مع ضابط أردني 2009، وكذلك الأمر تبين أنّ د. رياض هديب، سنتحدث عنه في الدراسة لاحقاً، وكان إخوانياً لفترة طويلة، أخذ يتردد في مرحلة لاحقة على المقدسي، قبل أن يُقتل في سورية، وهو يقاتل إلى جانب «النصرة»، بعدما تخلى عن انتمائه للإخوان المسلمين.

وفقاً لتقسيم جرير الحسني، وهو اسم مستعار لشخص له مدونة،[1] موالٍ لتنظيم الدولة الإسلامية، (ويعتقد أنّه نفسه عمر مهدي زيدان، الذي غادر لاحقاً إلى العراق، وقتل في قصف أميركي في 2017)، فإنّ التيار الجهادي أصبح يتشكل من ثلاث مجموعات رئيسة: الأولى مجموعة المقدسي، ومعه الصف القيادي الجديد. والثانية وهي المجموعة التي التزمت بنهج الزرقاوي، ثم أصبحت لاحقاً مؤيدة لتنظيم داعش، والثالثة المحسوبة على تيار الأمة، ثم عادت وانفصلت لاحقاً عن التيار الجهادي.[2]

نجم عن دخول مجموعة جديدة إلى التيار الجهادي – أغلبها على درجة من التعليم وينتمون إلى الطبقة الوسطى- محاولة القيام بتغييرات في أوساط التيار، من ضمنها فكرة إيجاد صيغة هيكلية معينة، وإن لم تكن رسمية، والتفكير في الإعلان عن مبدأ «سلمية الدعوة». أي رفض العمل المسلّح في الأردن، وإعادة النظر في بعض الأفكار لدى التيار، مثل دخول الطلاب المدارس، إذ كان المقدسي قد ألف كتاباً بعنوان «إعداد الفوارس بهجر فساد المدارس»، ومحاولة إيجاد نمط من المدارس الإسلامية غير النظامية الذي يكون أقرب إلى أفكار التيار.

هذه الأفكار أدت إلى محاولة أولى للتنظيم، في 2010، ثم في فكرة المدارس أو الكتاتيب الإسلامية، التي رفضتها الأجهزة المعنية. لأنّها خارج الإطار الرسمي. لكن «الربيع العربي» عاجل الجميع وبدأت إرهاصاته تفرض نفسها على الأردن والحراك الشعبي، وحتى على التيار السلفي الجهادي والأفكار الجديدة في داخله.

رأت مجموعة من أبناء التيار الجهادي، القريبة من المقدسي، بأنّ الحراك الشعبي والمطالبات بالديمقراطية واهتزاز الأنظمة العربية فرصة سانحة للضغط على النظام من أجل تحقيق مكاسب للتيار، بخاصة ما يتعلق بسجناء التيار ومحاولة تحسين ظروفهم في السجن أو الإفراج عنهم، وكذلك الأمر في تمرير أفكارهم الجديدة عن

(1) رابط مدونته هو https://thabat111.wordpress.com/author/thabat111

(2) انظر إلى: مصطفى الطوالبة، مقابلة حصرية تكشف خفايا السلفية الجهادية في الأردن ونظرتهم للإخوان، موقع السوسنة الإلكتروني، 3-6-2012، على الرابط التالي: http://www.assawsana.com/portal/pages.php?newsid=116882

سلمية الدعوة وجدواها، وعن توحيد التيار في إطار حركي عام، وعن الظهور على المشهد الإعلامي والعام، لنيل اعتراف المجتمع بوجود هذا التيار. (1)

نظّم التيار الجهادي اعتصامات عدة، حضرها المئات من أنصاره ورفع شعارات متعددة خلط فيها بين مطالب حقوقية مرتبطة بتحسين ظروف السجناء ومطالب سياسية بتحكيم الشريعة، وتنوعت خطابات المتحدثين في تجمعاته في عمان والسلط ومناطق مختلفة، وبدت الأمور وكأنّ التيار فرض وجوده في المشهد، وأصبح يتحدث علانيةً أمام الجميع، ويحظى بتغطية إعلامية.

إلاّ أنّ الأمور قُلبت رأساً على عقب بعد مواجهات وقعت بين أنصار التيار الجهادي وقوات الأمن في الزرقاء في منتصف نيسان (أبريل) 2011، وهي نقطة تحوّل رئيسة في مسار التيار، إذ تمّ اعتقال ومطاردة أكثر من مائتي شخص من أفراده ومؤيديه، وتم تحويلهم إلى محكمة أمن الدولة فيما عرف بقضية «أحداث الزرقاء»، وهي قضية مهمة لنا على أكثر من صعيد؛ لأنّها أدت إلى انتهاء سلسلة الاعتصامات، وقضت على ما اعتبرته قيادة التيار الجديدة إنجازاً له، باعتراف المجتمع بهم، فظهرت صورة التيار وأبنائه وهم يحملون السيوف والسكاكين، وتم تسجيل شهادات مصورة للشرطة والأمن فيها حديث عن تعرضهم للضرب والطعن على يد أبناء التيار. وفي المحصلة؛ نجحت الدولة في سحب البساط من تحت أقدام التيار، وإعادتهم إلى المربع الأول، بل وفي تخويف المجتمع من مخاطر أن تؤدي الاعتصامات والحراكات إلى بروز الحركات الراديكالية. (2)

وتكمن أهمية تلك الأحداث أنّها شملت أغلب القيادات ونسبة كبيرة من أعضاء المجموعة المقربة من المقدسي، ممن كانوا يدعون إلى إعادة هيكلة التيار وإنجاز تحولات فيه، فأصبحوا معتقلين أو مطاردين، وضمت الأسماء عدداً كبيراً من القيادات الجديدة

(1) Mohammad Aburumman and Hassan Abu Haneia, The Islamic Solution, op.cit, p 434-460.

(2) الأردن إصابة العشرات في مواجهات بين السلفيين وأنصار الحكومة، موقع BBC العربي، 15 ابريل 2011، على الرابط التالي: http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2011/04/110415_jordan_protests_amman

مثل: سعد الحنيطي؛ وأيمن البلوي؛ وعامر الضمور؛ والقيادات التقليدية في أغلب المناطق.

تم اعتقال العشرات، ووصل العدد إلى ما يزيد على المائتين، وتحويل نسبة كبيرة منهم إلى محكمة أمن الدولة، وتخلّل ذلك دعاوى بالتعرض للتعذيب في مقرات الأمن الوقائي، ثم أُفرج عن الأغلبية العظمى بكفالات، وتم تسوية أوضاع الفارّين، مع نهاية 2011. [1]

في العام 2012، وفي 10 شباط (فبراير) جرت محاولة أخرى لهيكلة التيار وتنظيمه بصورة غير مباشرة، وكان ذلك فيما عرف باسم «اجتماع الضليل» (في مزرعة القيادي الجهادي بسام النعيمي- أبو بندر)، وحضره ما يزيد على المائة شخص، وتم اختيار قرابة عشرة أشخاص ليشكّلوا ما يشبه «مجلس الشورى للتيار». [2]

إلاّ أنّ المحاولة لم تنجح، بل زادت من حالة الانقسام والتجاذبات في أوساط التيار، وظهّرت الخلافات بين أفراده، وفي الأثناء بدأت الساحة السورية، منذ بداية 2012 تستقطب أعداداً متزايدة من الأردنيين، بخاصة من أبناء السلفية الجهادية، فغادر بعض من خرجوا بكفالة مالية من أحداث الزرقاء هروباً عبر الحدود السورية- الأردنية،

(1) انظر: تكفيل 22 متهمًا بقضية التيار السلفي، الدستور 25-11-2011، وكذلك: امن الدولة تنظر في طلبات تكفيل 67 سلفيا موقوفين على ذمة سلفية الزرقاء، موقع زاد الأردن الإخباري، على الرابط التالي: http://www.jordanzad.com/print.php?id=64601

(2) الأسماء التي تمّ اختيارها هي: أبو سياف (من معان)؛ ورشاد شتيوي (من مخيم البقعة محافظة البلقاء)، وعبد الطحاوي (من إربد)، وجراح الرحاحلة، ولقمان الريالات (من السلط)، وسعد الحنيطي؛ وجواد الفقيه (من عمان)، أسامة المصاروة، أحمد الكويتي وعامر الضمور (الزرقاء والرصيفة). وتم الاعتراض على أحمد الكويتي؛ لأنه مختلف عن أيديولوجيا التنظيم، بينما انسحب رشاد الشتيوي بحجة أنّه «ضعيف».

انظر عن تفاصيل ذلك إلى: مقابلة حصرية تكشف خفايا السلفية الجهادية، المرجع السابق، وكذلك الأمر: عمر مهدي زيدان، وحاكم المطيري واجتماع السلفية الجهادية في الضليل، مدونة جرير الحسني، 21-4-2012، على الرابط التالي:

https://thabat111.wordpress.com/2012/04/21/%D8%AD%D8%A7%D9%83%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B7%D9%8A%D8%B1%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D9%81%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%87%D8%A7%D8%AF%D9%8A/D8%AF%D9%8A

منهم: مصطفى صالح، وإياد الطوباسي، وبلال خريسات، ثم سامي العريدي، وآخرون أصبحوا بمنزلة النواة للأردنيين الجهاديين الآخرين، وشكّلوا قناة لتشجيع البقية على الهجرة، ومنذ ذلك الوقت ارتفع العدد، وأصبح العشرات، والمئات، خلال الأعوام التالية، من ضمنهم نسبة كبيرة ممن اعتقلوا على خلفية أحداث الزرقاء، وتنوعت طرق الهروب ما بين التهريب عبر الحدود أو المغادرة عبر المطار إلى تركيا أو دول عربية أخرى، وفي أوقات باستغلال إدعاء السفر من أجل العمرة، ثم الانتقال من السعودية إلى تركيا، وصولاً إلى الحدود السورية، إذ كانت الطريق سهلة من تركيا إلى حلب، حينما كانت في يد المعارضة المسلحة السورية، وتعتبر عاصمتهم حينها.

لم يقتصر موضوع الهجرة إلى «داعش» و «جبهة النصرة» وغيرها من تنظيمات جهادية على أبناء التيار السلفي الجهادي. أي من لهم خلفية وسجل في هذا المجال، بل تجاوزهم إلى فئات أخرى، منهم أفراد من جماعة الإخوان المسلمين، من جيل الشباب، ممن تأثروا بما يحدث في سورية، تحديداً، ووجدوا العنوان المتاح هي «جبهة النصرة»، فانضموا إليها، وتحولوا مع مرور الوقت إلى الفكر الجهادي، كما سيلاحظ في الكتاب، وهناك أيضاً من خلفيات سلفية تقليدية ومن جماعة الدعوة والتبليغ المسالمة، وهناك شباب حدثت لديهم عملية تجنيد سريعة لدى الجهاديين، وخلال فترة قصيرة انضموا إلى تلك التنظيمات هناك.

في المحصلة. أدت الأحداث في سورية والعراق، ومشاهد المذابح اليومية، والتعبئة الإعلامية العربية والإسلامية في البداية، وصعود الطائفية في المنطقة، إلى تعزيز عملية الهجرة إلى تلك التنظيمات من الأردن إلى الخارج، وانضمام أعداد أخرى إلى التيار الجهادي، في الداخل والخارج.

خلال الأعوام الأخيرة بدت تحوّلات نوعية موازية للتمدد الكمّي - العددي، تتمثل بازدياد أعداد أبناء الطبقة الوسطى والمتعلّمة في صفوف التيار، والانتقال من الحالة الفردية إلى العائلية. أي أصبح هناك نساء وأحداث، ودخلوا في سجل قضايا محكمة

أمن الدولة، على صعيد القضايا الإرهابية، وتمّ تخصيص بيت خاص بالأحداث المتأثرين بفكر «داعش»، ممن تمت محاكمتهم أمام محكمة أمن الدولة، ومنهم من انخرط في قضايا إرهابية، مثل أحداث إربد، أو مجموعات إرهابية أخرى، وهنالك عنصر نسائي متزايد في أوساط التنظيم، وانتقال المرأة إلى دور الدعم اللوجستي والتأييد والترويج لأفكار «داعش» والتعاطف معه، وهي السمات والخصائص والتحولات النوعية التي سنفرد لها الفصل القادم..

منذ صعود تنظيم «داعش»، وإعلانه الخلافة، في منتصف العام 2014، ثم الانقسام والاختلاف بينه وبين كلّ من «القاعدة» و «جبهة النصرة»، وما تخلله من تكفير متبادل وصدامات مسلّحة وحروب إلكترونية، على من يمثّل الشرعية الحقيقية للتيار السلفي الجهادي، وانقسام التيارات والحركات الجهادية في العالم بين تيار «داعش» من جهة و «القاعدة» من جهة أخرى، فإنّ هذه التطورات انعكست على الأردن، إذ تحوّلت التجاذبات والانقسامات في أوساط التيار السلفي الجهادي إلى اتجاهين: الأول مؤيد لتنظيم «داعش»، وبدأ يتزايد ويتسع عدد أفراده، والثاني ويضم قيادات السلفية الجهادية، في مقدمتهم كل من: أبو محمد المقدسي، وأبو قتادة الفلسطيني. ومعهم د. إياد القنيبي، د. أيمن البلوي، وغيرهم وهم يؤيدون تنظيم «النصرة» و «القاعدة».

هذه الخلافات وصلت إلى حدود الاتهام والتخوين والتضليل والهجوم المتبادل الشرس، وامتد تأثير الصراع المحلي الأردني إلى الخارج، إذ إنّ اصطفاف هذه القيادات إلى جوار «النصرة» و «القاعدة» وانتقاداتها العلنية القاسية لتنظيم «داعش» كان لها صدى واسع في الصراع بين التنظيمين في سورية والعراق، لأنّ القيادات الأردنية المذكورة تعدّ مراجع فكرية معتبرة في أوساط «القاعدة» والتيار الجهادي العالمي، وتعدّها «جبهة النصرة» تحديداً مرجعية فكرية لها، ما أدى إلى ازدياد حالة التصدّع في أوساط الجهاديين الأردنيين. [1]

(1) هنالك العديد من التصريحات والمواقف الواضحة والكتابات التي أعدها كل من أبو محمد المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني تهاجم تنظيم داعش بقسوة، والعكس صحيح أيضاً، فالقيادات الأخرى الأردنية في داعش هاجمت المقدسي وأبو قتادة.

تعمّق الشرخ الداخلي بين التيارين الداعشي والنصرة، وانقسم الشباب الجهادي الأردني في الداخل والخارج، على وقع هذا الصراع، فهنالك نسبة كبيرة منهم في «النصرة»، ممن انخرطوا في صفوفها، قبل بروز تنظيم «داعش» وتظهير الخلاف والصراع بينهما، بينما اتجهت غالبية الأفراد الملتحقين بعد ذلك إلى «داعش»، وهنالك انشقاقات عديدة حدثت في أوساط الأردنيين من «النصرة» باتجاه «داعش»، كما حدث مع شخصيات عديدة، على مستوى الأفراد والقيادات، أو من النصرة من دون الانتماء إلى طرف آخر.[1]

4. الحالة الراهنة

شهدت المرحلة التالية بعد أحداث الزرقاء، إذاً، هجرة أعداد كبيرة من الأردنيين إلى ساحات القتال في سورية والعراق، وهذه الهجرة مرّت بمراحل: الأولى (منذ أواخر العام 2011 إلى منتصف العام 2013) كانت تتم بطرق متعددة، أبرزها التهريب عن طريق الحدود، وكانت الدفعات الأولى - في الغالب- من أبناء السلفية الجهادية أنفسهم، وتبرز هنا قصة الذين كانوا في أحداث الزرقاء، وخرجوا بكفالات، ثم تسللوا من الحدود إلى سورية. أمّا المرحلة الثانية؛ فشهدت تشديداً أمنياً وعسكرياً كبيراً، على الحدود، فتحوّلت المحاولات نحو طريق السفر والعبور من الحدود التركية، وفي هذه المرحلة زادت أعداد الذين لا ينتمون إلى التيار الجهادي. لأنّه لا توجد عليهم قيود أمنية أو قضائية تمنعهم من السفر.

على صعيدٍ آخر، بدأت عمليات «داعش» في تنظيم الأردنيين للقيام بعمليات إرهابية داخل الحدود، بعدما هدأت الأمور خلال بضعة أعوام، نتيجة فتوى المقدسي

(1) من الانشقاقات التي حدثت من «النصرة» باتجاه «داعش» على صعيد القيادات، ما حدث مع د. سعد الحنيطي، وعامر الضمور، وأبو أنس الصحابة. ومجموعة من الشرعيين في «جبهة النصرة» في درعا، أمّا عن انشقاق قيادات عن النصرة من دون الانضمام إلى «داعش»، فهنالك مثال القيادات الثلاثة في إدلب: سامي العريدي، الذي كان يمثّل المفتي الشرعي لجبهة النصرة. وبلال خريسات (أبو خديجة الأردني) الذي كان قائداً عسكرياً مسؤولاً عن الجنوب. وإياد الطوباسي (أبو جليبيب)، وهو الآخر من القيادات المعروفة في جبهة النصرة، في الجنوب.

المعروفة بعدم جواز العمليات العسكرية داخل الأردن، إلاّ أنّ صعود التنظيم وإمساكه بالأرض وانضمام أردنيين إليه هناك، دشّن خطوط اتصال وتواصل عبر العالم الافتراضي ما بين الداخل والخارج.

وكان هنالك أيضاً دور الدعاية الإعلامية التي كان يبثّها التنظيم عن عملياته وقدراته وما يقوم به، وإظهار ذلك بوصفه مشروعاً جديداً مستمراً وباقياً، وسيشكّل بديلاً للجهاديين عن الأنظمة العربية، مثل هذه الدعاية ساعدت التنظيم على الدعاية والتجنيد، ما انعكس على أكثر من مستوى، الأول اتسّاع الاعتقالات والمحاكمات على خلفية قضايا الترويج والدعاية لتنظيم «داعش»، فشهدنا عشرات القضايا، خلال الأعوام القليلة الماضية، على خلفية الترويج، وقضايا أخرى على خلفية محاولات الالتحاق بالتنظيم، أو العودة من سورية والعراق، ومحاولات لتنفيذ عمليات إرهابية في الأردن، وتشكيل خلايا ومجموعات.

إلاّ أنّ الهزة الحقيقية كانت للمجتمع الأردني بوقوع سلسلة من الأحداث المتتالية في العام 2016 التي خلقت الشكوك في مدى تغلغل التيار الداعشي وهذا الفكر في أوساط الشباب الأردني، ففي آذار (مارس) 2016 حدثت مواجهات إربد، بين الأمن وخلية تابعة للتيار في إربد،[1] تخللها تبادل إطلاق نار، ومقتل أحد ضباط الأمن الأردني، والقضاء على عدد من أفراد الخلية المتحصنين في شقة في عمارة في إربد. ثم في حزيران (يونيو) قام أحد المنتمين للتيار السلفي الجهادي، من مخيم البقعة، والمحكومين سابقاً على ذمة قضايا إرهابية، باقتحام مبنى مخابرات البقعة وقتل عدد من رجال المخابرات، قبل أن يتم الإمساك به من قبل مواطنين، وتسليمه للأمن.[2] وفي شهر أيلول (سبتمبر)

(1) انظر الى: «مواجهات عنيفة بين الأمن الأردني ومتشددين إسلاميين مسلّحين في إربد»، موقع الـ «بي بي سي» العربية، على الرابط التالي: http://www.bbc.com/arabic/multimedia/2016/03/160301_jordan_clashes

(2) انظر الى: «المومني: تعرض مكتب مخابرات البقعة لهجوم إرهابي»، وكالة الأنباء الأردنية، 6-6-2016، على الرابط التالي: http://www.petra.gov.jo/Public_News/Nws_NewsDetails.aspx?lang=1&site_id=2&NewsID=256477&Type=P

أفاق الأردنيون على خبر مفزع غير معهود في الحياة السياسية، ويتمثّل بقيام شخص باغتيال الكاتب الأردني اليساري ناهض حتّر، الذي قام بنشر رسوم كاريكاتورية على صفحته، فُهمت بوصفها إساءة للإسلام، وتبيّن لاحقاً، أنّ القاتل هو مهندس يعمل في وزارة التربية والتعليم، وكان يخطب في المساجد ومُنع سابقاً من الخطابة، وأقدم على فعلته بصورة فردية بعدما اعتقد بأنّ الضحيّة أساء للإسلام.

الصدمة الكبرى كانت في أحداث الكرك في نهاية العام 2016، عندما أقدمت مجموعة من تنظيم «داعش» على الاشتباك مع الأمن العام وقتل عناصرهم، ومهاجمة مركز أمني في الكرك، ثم الاحتماء في قلعة الكرك التاريخية وأخذ رهائن من السياح، قبل أن يتم قتلهم، بعد أن قُتل أفراد من الأمن، وبعد أن حدثت حالة هلع وقلق غير مسبوقة في أوساط الرأي العام، من هذا النمط الجديد من العمليات.[1]

التيار السلفي الجهادي موزّع اليوم بين مئات الأشخاص، الذين ما يزالون يقاتلون في العراق وسورية، بعد أن قُتل المئات منهم، ومئات المحكومين بقضايا إرهابية متنوعة في مراكز الإصلاح والتأهيل، ومئات الموجودين خارج السجن، لكنّ أغلبهم يخضع للرقابة، من قبل السلطات، وما تزال الخلافات قائمة بين جناحي التيار وشيوخه المعروفين، مثل: المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني من جهة، والنسبة الكبيرة من الشباب في الجناح الآخر ممن يؤمنون بفكر «داعش»، وأغلب القادمين الجدد ينتمون لهذا الفكر.

---

(1) انظر: عن أحداث الكرك والخلية الداعشية: الغد تنفرد بتفاصيل عن الإرهابيين الأربعة في أحداث الكرك، جريدة الغد الأردنية، 20-12-2016، وكذلك الأمر: توجيه 19 تهمة لتسعة متورطين في أحداث الكرك، 9-4-2017، موقع الجزيرة نت، على الرابط التالي:

http://www.aljazeera.net/news/arabic/2017/4/6/%D8%AA%D9%88%D8%AC%D9%8A%D9%87-19-%D8%AA%D9%87%D9%85%D8%A9-%D9%84%D8%AA%D8%B3%D8%B9%D8%A9-%D9%85%D8%AA%D9%88%D8%B1%D8%B7%D9%8A%D9%86-%D9%81%D9%8A-%D8%A3%D8%AD%D8%AF%D8%A7%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%83

على الطرف المقابل، وكردّ رسمي على هذا التصاعد في العمليات الإرهابية وتنامي التيار السلفي الجهادي؛ قامت السلطات الأمنية بحملة اعتقالات غير مسبوقة منذ عقود، غداة أحداث الكرك، شملت مئات الأشخاص، تمّ الإفراج عن أغلبهم بعد شهور من الاعتقالات، وتحويل آخرين إلى محكمة أمن الدولة.

الجديد في الأمر أنّها للمرة الأولى يتم محاكمة نساء على خلفية قضايا إرهابية، والتحقيق مع عدد كبير منهن، إضافة إلى التشديد الكبير في الإجراءات الأمنية.

كما قامت الدولة بالعودة إلى تنفيذ أحكام الإعدام، بعدما توقفت عن تطبيقها لفترة طويلة من الوقت، فقامت بإعدام العراقية ساجدة الريشاوي (المدانة في عملية تنفيذ تفجيرات عمان 2005)، ومعمّر الجغبير (المدان على خلفية قضايا متعددة، والمحكوم بالإعدام)، وسارعت إلى تنفيذ أحكام الإعدام بالمدانين في الخلايا التي وقفت وراء القضايا الأخيرة وهم: (قاتل ناهض حتر. والمقتحم لمخابرات البقعة. ومحكومون في خلية إربد).

الفصل الثاني

سوسيولوجيا التطرف في الأردن

الفصل الثاني

سوسيولوجيا التطرف في الأردن

أحد أهم الأسئلة المرتبطة بصعود التيارات المتشددة عموماً يتمثّل في دور العوامل المحفّزة أو الأسباب الرئيسية التي تقف وراء الانتشار أو التجنيد والتعبئة، وبالرغم من تزايد حجم الدراسات والأبحاث التي اقتربت من دراسة هذه الظاهرة في كثير من الدول العربية، إلاّ أنّ هنالك اختلافاً وعدم اتفاق عموماً على تعريف تلك الأسباب أو على الأقل مرتبتها ومكانتها في الأهمية بوصفها عوامل جذب لهذا التيار.

لكن الاختلاف عموماً بين الباحثين والدارسين يتموضع بين اتجاهين رئيسين: الأول يحمّل «النص» الديني، أو الفقهي، والموروث الثقافي المسؤولية الأولى، ويرى بأنّ الإصلاح المطلوب هو إصلاح المناهج الدراسية والتعليمية والدينية، وهنالك اتجاهات وآراء متعددة ومتنوعة داخل هذا الاتجاه نفسه، من يرى بأنّ المشكلة في النص الديني نفسه، ومن يرى بأنّها موجودة في الاتجاهات الدينية السائدة أو بعضها. أمّا الاتجاه الثاني؛ فيرى بأنّ أصل المشكلة والعامل الأكبر هي الأسباب والشروط الموضوعية، مثل الأوضاع السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، داخلياً أو خارجياً. وعليه، فإنّ العلاج المطلوب هو إصلاحات عملية وواقعية، ويصفون ما يحدث بأسلمة الراديكالية، بمعنى أن الشروط الكامنة للراديكالية أو التشدد موجودة، لكنّها تكتسب شرعية أيديولوجية عبر تلك الحركات.

لن نخوض في غمار هذه المناظرة على أهميتها، لكن من المهم الإشارة إلى أنّ العوامل والسمات الاجتماعية تقع على درجة عالية من الأهمية في دراسة هذه الظاهرة وفهمها وتفسيرها، مع ذلك فمن الصعوبة بمكان الوصول إلى Profiling، تصميم سمات

اجتماعية واقتصادية وثقافية محدّدة لأبناء التيار السلفي الجهادي عموماً. فنحن أمام مساحة شاسعة من السمات المتباينة والمختلفة والمتنوعة لأبناء التيار. وبالرغم من أنّنا قد نجد خصائص أو مؤشرات تنطبق على شريحة واسعة، لكنها لا تمثل سمة أو خصيصة مؤكدة تماماً لمعرفة المحدد الاجتماعي لهذا التيار.

من زاوية أخرى، بالرغم من تزامن انتشار التيارات الإسلامية المتشددة وصعودها في مجتمعات عديدة في العالم، من الغرب إلى الشرق، والوصول إلى مرحلة غير مسبوقة في القدرة على التجنيد والدعاية مع صعود تنظيم «داعش»، منذ العام 2013، مع ذلك فإنّ العوامل الاجتماعية تتباين في أهميتها ومدى قوة عامل مقارنةً بالعوامل الأخرى بين مجتمع وآخر، فالأسباب في السعودية التي تدفع بسعوديين إلى الانتماء لهذه التيارات أو الاندماج بالتنظيمات القتالية المرتبطة بها في الخارج، ليست - بالضرورة- نفسها الأسباب التي في أوروبا أو المغرب العربي أو الأردن التي تقف وراء هذه الظاهرة. ربما تكون بعض الأسباب متوافرة في أغلب الدراسات الاجتماعية، لكنّها تتباين في قوتها وتأثيرها بين مجتمع وآخر.

تأسيساً على ما سبق؛ فإنّنا نحاول في هذا الفصل استنطاق العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية التي تقف وراء الانضمام والاندماج بالتيار السلفي الجهادي، في الأردن، وارتفاع قدرته على التجنيد والدعاية، نسبياً، وتزايد عدد المتأثرين به خلال الأعوام السابقة، بالرغم من كل الجهود الأمنية والثقافية لمواجهته وتجفيف منابعه.

هذا الفصل حصيلة عمل ميداني استغرق شهوراً من تجميع البيانات والمعلومات واللقاءات والحوارات مع أفراد من التيار والمتأثرين به ومع عائلات بعض من انضموا إليه أو لحقوا بكل من «داعش» و «النصرة»، في الخارج، وأصدقائهم، إضافة إلى تحليل مصادر شبكات التواصل الاجتماعي التي استطعنا الوصول إليها، من أبناء التيار أو المتعاطفين معه.

تلك الحالات والمعلومات ستظهر نتائجها وأبرز مؤشراتها في الدراسة الكمية وفي الحالات الدراسية الموجودة في الفصل التالي، لكن ما يوازيها من ناحية الأهمية المعرفية هي «الخبرة البحثية»، التي تحصّلنا عليها خلال الشهور الماضية، عبر المقابلات واللقاءات الميدانية، ودراسة مواقع التواصل الاجتماعي.

«الخبرة البحثية» تتيح لنا فهم البيئة الاجتماعية المحيطة بأغلب الحالات المدروسة، وباستنطاق عوامل قد لا تظهر بصورة واضحة في أرقام الدراسة ومؤشراتها، لكنّنا لمسناها من خلال معايشة اللقاءات والمقابلات، وزيارة المناطق التي خرّجت تلك المجموعات، والملاحظات التي تشكّلت لدى الباحثين خلال فترة الدراسة والمقارنة.

في الصفحات التالية، سنحاول الاقتراب أكثر والتعريف بصورة أكثر وضوحاً بما يمكن أن نطلق عليه «مجتمع الجهاديين» الأردنيين، سواء كانوا داعشيين أو غيرهم، مع التركيز على جملة من الأسئلة المفتاحية: المحافظات والجغرافيا والمجتمع. والخصائص والسمات الاجتماعية؛ والنفسية؛ والاقتصادية؛ الخلفيات الثقافية؛ وديناميكيات التجنيد ومراحله؛ والسلالات الجهادية.

1. جغرافيا التطرف وخارطته؛

خلال رصد نشاط التيار وأغلب القضايا المرتبطة به، والذين خرجوا منه للانضمام للمقاتلين في المنظمات الجهادية، وجدنا أنّ هنالك مكانة خاصة لمدينتي الرصيفة والزرقاء. ففي مدينة الرصيفة هنالك انتشار في أكثر من حيّ ومكان، في مقدمتها مخيم المدينة (مخيم شنلر)، والأحياء القريبة منه، مثل جبل الأمير فيصل والمشيرفة، إضافة إلى أحياء أخرى عديدة، مثل: إسكان الملك طلال؛ وحي الرشيد.

من الفرضيات الرئيسة لانتشار التيار في هذه المحافظة - الزرقاء- أنّ القيادات الرئيسة للتيار هي في المحافظة، مثل أبو محمد المقدسي نفسه، المنظّر التاريخي للتيار، هو من سكان حيّ الرشيد في الرصيفة، وأبو مصعب الزرقاوي (أحمد الخلايلة) من سكّان حيّ معصوم في مدينة الزرقاء، وهناك أسماء عديدة أصبحت قيادات معروفة

لاحقاً، مثل: أبو أنس الصحابة (مصطفى صالح في الحيّ الشمالي، أصبح قائداً في النصرة، ثم داعش)، وأبو جليبب (إياد الطوباسي، من حيّ النزهة في الزرقاء، وهو أحد القيادات العسكرية في النصرة)، وعامر الضمور (يسكن في حيّ الزواهرة)، محمد الحراحشة (لقب بأسد زنجبار، وقتل بقصف أميركي على القاعدة في اليمن)، وغيرهم أسماء لعشرات «الجهاديين» المعروفين في الزرقاء والرصيفة، ليس فقط على مستوى محلي، بل عالمي.

هذه الفرضية، وإن كانت صحيحة شكلياً، إلاّ أنّها ربما تعكس النتيجة وليس السبب! فالأصل أن نسأل: لماذا أصبحت الرصيفة والزرقاء بيئة اجتماعية خصبة لإنتاج التيار وقياداته؟ ولماذا وجدت قياداته في هاتين المدينتين المتجاورتين بيئة سوسيولوجية ملائمة للعمل والنشاط؟

ربما هنالك تحليل متعدد الأبعاد لتأثير المجتمع على صعود التيار؟ ومن ذلك أنّ هنالك نمواً عشوائياً اجتماعياً للمدينتين. أي تركيب اجتماعي من دون تجانس سكاني واضح، فيهما أقلية شيشانية وشريحة اجتماعية واسعة من أصول فلسطينية من روافد متعددة، ومن أبناء قبيلة بني حسن المعروفة، التي ينتمي إليها أبو مصعب الزرقاوي، ومن أبناء العسكر الذين عملوا في معسكر الزرقاء، في مراحل سابقة، وسكنوا في المدينة.

فهي مدينة تتوافر على خليط اجتماعي واسع، وغالبية سكانها من الطبقة الوسطى الدنيا أو الطبقة الفقيرة، ربما يحمل ذلك في طياته تنامياً في مشاعر التهميش الاجتماعي والاقتصادي، وفي الوقت نفسه، نجد أنّ هنالك فقراً مدقعاً في حضور الدولة الثقافي أو المجتمع المدني، فلا توجد مسارح ولا أندية، ولا مرافق، ولا متنفسّات، ولا توجد إشارات لاعتناء حقيقي من قبل الدولة بهذه المحافظة، بالرغم من أن عدد سكان المحافظة يصل إلى مليون وأربعمائة ألف، فيما يعتبر لواء الرصيفة الأكثر كثافة سكانياً بين ألوية المملكة.

إذا عدنا إلى نسبة المنخرطين في التيار الجهادي في المحافظة، ونسبة المقاتلين في الخارج، فإنّ الأرقام المتوافرة تشير إلى أنّ الرصيفة والزرقاء هما الأعلى من بين المحافظات، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ عدداً كبيراً من الجهاديين من المحافظة، هم من أبناء الطبقة الفقيرة ومن غير الحاصلين على التعليم الجامعي، وممن يعملون بالحرف والمهن غير الثابتة. أي لا تتوافر على دخل شهري، مثل أعمال التجارة المتنقلة، أو ميكانيك السيارات، أو أعمال الصيانة المنزلية، وغيرها، وهذا يعكس العلاقة الإيجابية بين الظروف الاقتصادية الاجتماعية من جهة وارتفاع نسبة الجهاديين في تلك المحافظة من جهةٍ أخرى.

ذلك لا ينفي أنّ هنالك أقلية في التيار في محافظة الزرقاء، من الطبقة الوسطى ومن المتعلمين، ومن طلاب الجامعات، من تخصصات مختلفة ومتعددة.

على صعيد الأصول الاجتماعية، فإنّ هنالك تنوعاً أيضاً في المحافظة، لكن من الواضح أنّ لدينا نسبة كبيرة من أصول فلسطينية، وهنالك أيضاً نسبة من أبناء عشيرة بني حسن، التي تسكن في المدينتين، وتظهر بوضوح عشيرة الخلايلة (التي كان ينتمي إليها أبو مصعب الزرقاوي) في أسماء عشرات المنتمين للتيار، هناك نسبة منهم من أقرباء الزرقاوي المباشرين وغير المباشرين، ونسبة من العشيرة نفسها، وإذا حاولنا تحليل السبب في ظهور بارز لاسم الخلايلة، فقد يكون لتأثير الزرقاوي دور، وأيضاً لاعتبارات اقتصادية واجتماعية مرتبطة بالأوضاع في الزرقاء والرصيفة، دورٌ آخر، وهناك نسبة من الشرق الأردنيين من سكان المحافظة أيضاً ينتمون للتيار.

في المرتبة الثانية، من حيث الكم والعدد والانتشار، تبدو كلّ من عمّان الشرقية وإربد. في عمان الشرقية، تبرز أحياء، مثل: حيّ نزال؛ والوحدات؛ وأبو علندا؛ إضافة إلى: ماركا الشمالية؛ وجبل النصر؛ والهاشمي الشمالي؛ وصويلح؛ ومناطق متفرقة. بدت تظهر حالات في مناطق مرتبطة بعمان الغربية أو قريبة منها، مثل: بيادر وادي السير، وتلاع العلي، وضاحية الرشيد.

إذا لاحظنا بعض الخلفيات والمؤشرات المرتبطة بعمّان الشرقية والأحياء الأخرى، سنجد أنّ هنالك اختلافاً في النوعية، إذ نقترب أكثر من الطبقة الوسطى، والدنيا، وإن لم تغب الطبقة الفقيرة، ونقترب أكثر من الفئة المتعلمة والدارسين، وتظهر هنا أيضاً فئة معلّمي المدارس، فلدينا حالات عديدة، في تخصصات متنوعة، ديني ومهني وكمبيوتر وغيرها، وهناك نسبة أيضاً من طلاب الجامعات.

هل هناك خصوصية لهذه المناطق؟ ثمة تفسيرات يمكن الإفادة منها، ففي حيّ نزال ثمة عاملان رئيسان: الأول الحضور الواضح لجماعة الإخوان المسلمين وقوة الحركة السلفية أيضاً، والثاني وجود الأشقاء السوريين اللاجئين، سواء في مرحلة قديمة أو جديدة. وإذا دقّقنا أكثر في الحالات التي ندرسها، سنجد أنّ نسبة كبيرة من الذين غادروا وقتلوا من حيّ نزال هم من شباب جماعة الإخوان المسلمين في الجامعات، وممن تربوا مبكّراً في حلقات الجماعة المتعددة، وهناك عدد لم نتطرق إليه في الفصول القادمة، ويقع خارج دراستنا لأشقاء سوريين ممن كانوا يعيشون في حيّ نزال غادروا والتحقوا بتلك التنظيمات، قتلوا هناك، وكانوا منخرطين في الأنشطة الإسلامية والاجتماعية في الأردن، ويعتقد مراقبون في الحيّ أنّ وجود السوريين فيه، مع مغادرة شباب منهم إلى سوري، شجّع آخرين من أبناء الحيّ الإسلاميين على المغادرة، والالتحاق بتلك الجماعات، فكان السوريون يعملون كوسطاء لانضمام الشباب إلى تلك الجماعات.

في صويلح والبيادر هناك تواجد أيضاً، ويغلب على أبناء التيار أنّهم جامعيون ومن الطبقة الوسطى، كالأفراد الجهاديين الذين يعيشون في عمّان الغربية. أمّا في ماركا الشمالية؛ فقد يكون لقربها من الرصيفة أثر في وجود التيار فيها، وهناك حالات متعددة تشير إلى صلات بين أبناء التيار في مخيم شنلر وبين بعض المنتمين إليه في ماركا، بخاصة في حيّ المزارع، الأكثر فقراً في منطقة ماركا الشمالية.

محافظة إربد ينشط فيها التيار الجهادي أيضاً، وأصبح أكثر حضوراً مع تأثير الأحداث في سورية، وتحديداً في مخيم إربد والمناطق المحاذية له، وكان لهذا التيار نشاط تقليدي في هذه المنطقة، وفيه شخصيتان بارزتان: الأولى هي شخصية عبد الطحاوي، وهو من شيوخ التيار المعروفين في مخيم إربد. والثاني هو عمر مهدي زيدان، الذي كان يعتبر منظر «داعش» في الأردن، قبل أن يغادر إلى العراق، ويقتل هناك في قصف جوي في العام 2017. [1]

بالنظر إلى أحداث المواجهات في إربد، سنجد أنّ هنالك تأثيراً غير مباشر لعزمي الجيوسي (السجين الذي كان يتزعم خلية حاولت تفجير المخابرات العامة، ثم جرت محاولة لإخراجه من السجن من قبل عدد من أبناء التيار في إربد تحديداً)، وكان سليمان غياض الأنجادي، ويحمل جواز سفر أردني مؤقت، لأنّه من أصول غزّية، من أبرز الشخصيات اللاحقة، وقتل في عملية مداهمة، وتم الإعلان عن وجود تنظيم الأنجادي، وكان أحد مفاتيح خلية إربد الأخيرة، وهو جميل كتكت، على علاقة بإبراهيم زين العابدين (جهاد القشة) الهارب من الحكم في قضية الجيوسي، ويذكر على صفحته الخاصة على مواقع التواصل الاجتماعي الأنجادي بصورة مستمرة، بينما قتل أحمد علي قرمول (من مخيم الحصن) في مواجهات مع الجيش اللبناني، وكان يقاتل إلى جوار «فتح الإسلام»، في نهر البارد (2007). وقُتل عماد الناطور، في سورية، وهو يقاتل لجوار «جبهة النصرة»، بعد أعوام، وهو من سكان إربد، ممن كانوا يقاتلون مع تنظيم فتح الإسلام في نهر البارد أيضاً. [2]

(1) انظر: هديل غبون، من هو الأردني عمر مهدي زيدان الذي أعلن النفير وانضم لـ «داعش»؟، موقع CNN العربي، 19-10-2014، على الرابط التالي:
https://arabic.cnn.com/middleeast/2014/10/19/isis-jordan-omar-mahdi-zidan ، وكذلك: منع عائلة الجهادي الأردني عمر مهدي زيدان من إقامة العزاء بعد مقتله، صحيفة القدس العربي، 18-3-2017.

(2) انظر عن الأنجادي ومقتله في إربد: الأردن: مقتل أحد عناصر تنظيم القاعدة في اشتباك مع قوات الأمن، صحيفة الشرق الأوسط، 10-1-2007، وحول تنظيم كتائب التوحيد بزعامة عزمي الجيوسي، انظر: الحكم على زعيم «كتائب التوحيد» بالمؤبد في الأردن، موقع عربي 21، 2-4-2014، وعن أحمد علي قرمول، انظر: مقتل أردني في اشتباكات نهر البارد، موقع عمان نت، 23-8-2007.

إذاً؛ هنالك علاقات وتواصل واستمرارية في حالة إربد، من عزمي الجيوسي إلى الأنجادي إلى كتكت، وتيار لديه صلات غير واضحة مع تنظيمات في الخارج مثل فتح الإسلام، وشخصيات قيادية مثل الطحاوي وعمر مهدي زيدان، الذي كان شقيقه (يعتبر من الشخصيات الشرعية في حركة طالبان الأفغانية) قد قتل هو الآخر في قصف أميركي على منطقة وزيرستان في باكستان قبل أعوام.[1]

الحضور البارز للتيار الجهادي في إربد هو في مخيم إربد، والمناطق المحيطة به، مثل حيّ التركمان، وكان واضحاً أن هنالك تواجداً ملحوظاً لأبناء المخيم في خلية إربد، التي تمّ اكتشافها، بعد الأحداث، كما أنّ هنالك أسماء العشرات من القتلى من المخيم في سورية والعراق، وفي قضايا مرتبطة بمحكمة أمن الدولة، وهنالك شخصيات قيادية كانت في جبهة النصرة من المخيم، مثل أنور أبو فارس، الذي كان يلقّب بأبي عمر المختار، وتظهر سيرته بأنّه قاتل في أفغانستان والعراق، وأنّه كان يمتلك خبرة عسكرية كبيرة، وقد احتفل الإعلام السوري الرسمي بمقتله.[2]

(1) انظر إلى: محمد النجار، أردنيون يحتفون بمقتل ابنهم بباكستان، موقع الجزيرة نت، 11-1-2010، على الرابط التالي:

http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2010/1/11/%d8%a3%d8%b1%d8%af%d9%86%d9%8a%d9%88%d9%86-%d9%8a%d8%ad%d8%aa%d9%81%d9%88%d9%86-%d8%a8%d9%85%d9%82%d8%aa%d9%84-%d8-%a7%d8%a8%d9%86%d9%87%d9%85-%d8%a8%d8%a8%d8%a7%d9%83%d8%b3%d8%aa%d8%a7%d9%86

(2) انظر إلى: مؤيد باجس، مقتل مختار الأردني أمير النصرة العسكري سابقاً، بدرعا صحيفة السبيل، 26 شباط/ فبراير 2016، وكذلك: جبهة النصرة تنعى أميرها في حوران: من هو أبو عمر الأردني، موقع أورينت نيوز، 26 شباط/ فبراير، 2016، على الرابط التالي:

http://orient-news.net/ar/news_show/85480/0/%D8%AC%D8%A8%D9%87%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B5%D8%B1%D8%A9-%D8%AA%D9%86%D8%B9%D9%8A-%D8%A3%D9%85%D9%8A%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%AD%D9%88%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D9%85%D9%86-%D9%87%D9%88-%D8%A3%D8%A8%D9%88-%D8%B9%D9%85%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%AF%D9%86%D9%8A%D8%9F

ومن الأسماء التي برزت في سورية، مع «جبهة النصرة» من إربد، خالد شحادة العالول، ولقبه أبو المنذر، وقتل هناك في شباط/ فبراير 2017، وكان له تأثير على عدد من أبناء المخيم، ممن غادروا والتحقوا بـ «النصرة» في سوريا.[1]

من المناطق التي تظهر بوضوح في جداول وأسماء الجهاديين الأردنيين، السلط ومعان، وإن لم يكن بالكمّ والحجم نفسيهما اللذين نراهما في المحافظات السابقة، ففي السلط هناك العديد من القضايا المرتبطة بالسلفية الجهادية، ولدينا ما يفوق عشرين اسماً ممن قتلوا في سورية والعراق في الأعوام الأخيرة، وقبلهم ما يزيد على الـ15 اسماً، ممن قتلوا في العراق، خلال الصعود الأول للزرقاوي (2003-2007)، وكانت مجموعة من أبناء السلط يتزعمها رائد خريسات (لقبه أبو عبد الرحمن الشامي) هي من غادرت أولاً إلى مناطق كردستان، وعقدت تحالفاً مع الحركة الجهادية الكردية، قرابة العام 2000، ثم جاء الزرقاوي لاحقاً إلى هناك بعد الحرب الأفغانية 2001-2002، ثم انتقل إلى بغداد، وخلال تلك الأعوام انتقل عدد من أبناء مدينة السلط إلى هناك، وقاتلوا في العراق، واعتقل عدد منهم في الأردن، وحوكموا على خلفية قضايا متعددة، من بينها محاولة اغتيال برجاق، والاعتداء على السفارة الأردنية ببغداد، ومن الأسماء البارزة التي تمّ الحكم عليها بالإعدام ونفّذ فعلاً معمّر الجغبير، الذي كان يعتبر من الأردنيين المقربين من الزرقاوي.

يظهر الانقسام واضحاً في مدينة السلط بين أتباع المقدسي و «داعش»، وإن كان أتباع «داعش» أصبحوا حالياً الأكثرية، بخاصة من الشباب الجدد الذين انضموا إلى التيار، وغادروا إلى سورية والعراق وقاتلوا هناك، ولدينا مجموعة من الأسماء السابقة واللاحقة البارزة في المدينة، لكن من الملاحظات أنّ هنالك مزيجاً أيضاً بين المتعلمين إلى مستويات جيدة في الطب والهندسة والشريعة الإسلامية، وغير المتعلمين، ومن الطبقة الوسطى (بشقيها العليا والدنيا) والطبقة الفقيرة، ومن أعمار مختلفة.

---

(1) مقتل الأردني خالد العالول في سورية، موقع خبرني، 18-2-2017، على الرابط التالي:

https://www.khaberni.com/news/188530

من الأسماء البارزة التقليدية في التيار، جرّاح الرحاحلة ولقمان ريالات، واعتقلا مرات عدة، ومحسوبان على تيار المقدسي، بينما هناك مع «داعش» كلّ من: مأمون عطيات، وحمدان غنيمات، وكان قد اعتقل في العام 2016 عدد آخر من أبناء المدينة وتمّ الحكم عليهم بالسجن، بسبب ما اعتبر تأييداً لـ «داعش».

بالرغم من النشاط الملحوظ والضجّة المرتبطة بالسلط، إلاّ أنّ عدد المنخرطين بالتيار من أبناء المدينة مقارنةً بعدد سكانها يبدو متواضعاً، ففي أعلى التقديرات هناك حديث عن 200 شخص من أصل 500 ألف من سكان المحافظة، ويمكن القول إنّ العامل العشائري والعلاقات الشخصية قامت بدور فاعل في التجنيد والدعاية. ويمكن ملاحظة ذلك عبر دور أبناء المدينة في سورية والعراق بإقناع أقربائهم والآخرين بالالتحاق بهم، ولاحظنا في الجولات الميدانية ومن خلال المقابلات تأكيد كثير من الأهالي على دور العلاقات الشخصية والصداقة والعلاقات الاجتماعية بدرجة كبيرة في استقطاب الأفراد إلى التيار.

هل هناك تأثيرات خاصة للبيئة الاجتماعية السلطية على الأفراد؟ قد يكون فقط من زاوية الشعور المعروف لدى أبناء المدينة بالاعتداد بالذات، وبالتميّز، أو البحث عنه، وهو ما قد لا يجدونه في الواقع الموجود في السلط في الظرف الراهن، فتساعد هجرتهم على تحقيق شيء من إثبات الذات لديهم، مع وجود دعاية قوية للتنظيم تتحدث عن البطولة في المعارك والقتال والدفاع عن المظلومين السوريين في مواجهة النظام السوري وإيران.

تضاف إليهم مجموعة فاعلة في مخيم البقعة، من أنصار السلفية الجهادية، وربما يصعب تقدير عددهم، لكنّهم قاموا بعمليات أكثر من مرّة استهدفت مخابرات البقعة، منها العملية الأخيرة التي نفذها محمود المشارفة، وأدت إلى مقتل عدد من أفراد الجهاز، وهناك بقعاويون قتلوا في سورية، وبعضهم سُجن على خلفية قضايا متعددة، وأسماء معروفة، أبرزها رشاد شتيوي، لكن بمقارنة المخيم بمخيم إربد أو الرصيفة أو مخيم

الوحدات، نجد أنّ مساهمته في تيار السلفية الجهادية متواضعة، على الأقل في القضايا في محكمة أمن الدولة أو فيمن يقاتلون وقتلوا في العراق وسورية.

أمّا في معان، فهنالك أيضاً نشاط ملحوظ للتيار السلفي الجهادي، الذي شارك عدد من أنصاره في القتال في العراق بعد العام 2003، وانضموا إلى «قاعدة العراق» التي أسسها الزرقاوي، وقتل عدد منهم، وأيضاً غادر العشرات منهم إلى سورية والعراق للانضمام إلى «النصرة» و «داعش»، وقُتل هناك قرابة 32 شخصاً، وما يزال يقاتل آخرون، فيما عادت مجموعة إلى الأردن، إضافة إلى أعداد أخرى من المحكومين والمعتقلين من أنصار التيار.

لا تخرج خصائص التيار عمّا سبق من تنوع في الأعمار والمستوى الدراسي، وإن كان يغلب على الذين قاتلوا وقتلوا في سورية أنّ هناك نسبة كبيرة في العقد الثالث، ثم في العقد الثاني، وهناك نسبة من هم أكبر سنّاً منهم، كما أنّه يلاحظ التنوع ما بين الموظفين الحكوميين والطلاب الجامعيين مع وجود نسبة كبيرة من غير المتعلمين ومن أصحاب المهن والحرف اليومية، ويغلب على أعضائه أنّهم من الطبقة الفقيرة أو الوسطى الدنيا.

خصوصية معان بالمعنى المجتمعي تتمثّل بوجود مشكلة مزمنة بينها وبين الحكومة. إذ كانت المدينة مصدراً للاحتجاجات الاجتماعية على خلفية القضايا الاقتصادية في العقود الماضية، في الأعوام: 1989، 1996، 2000، وفي مراحل لاحقة شهدت المدينة مواجهات بين الأمن ومطلوبين على خلفية قضايا جنائية وتجارة مخدرات وسلاح، وكذلك الأمر على قضايا مرتبطة بـ «التيار الجهادي» هناك، ما خلق حالة من التداخل بين المطلوبين من جهة، على خلفية قَضايا متعددة، وبين المجتمع المحلي، الذي وجد نفسه في لحظات متعددة في مواجهة مع الأمن والدولة أو وسيطاً على خلفية هذه التوترات مع المطلوبين.

ومن جهةٍ أخرى، وهي على درجة من الأهمية، فإنّ وجود أكثر من فئة خارجة على القانون في معان، من تجارة السلاح إلى المخدرات إلى «الجهاديين»، أوجد ما يمكن أن نطلق عليه «تحالف الخارجين على القانون»، وأنتج حالة تواطؤ وتعاطف بين هذه

الفئات، فتجد من المفارقات أنّ مواجهات مع مطلوبين على خلفية قضايا جنائية تتحول إلى مواجهة مع «التيار الجهادي» والعكس صحيح، وهناك بعض الأشخاص ممن تختلط حالتهم بين القضايا الجنائية المطلوبين عليها وبين انتمائهم لـ «لجهاديين» في معان.

بالفعل معان بمنزلة «نموذج خاص» ليس فقط على صعيد ما وصفه مركز الدراسات الاستراتيجية بالجامعة الأردنية بـ «الأزمة المفتوحة»، بل أيضاً على صعيد احتمال تشكّل «حاضنة اجتماعية» لـ «التيار الجهادي» هناك، إذا استمرت الحال من دون علاج حقيقي، ففي حالات عديدة لا تستطيع التفريق بين خلفية «الشخص المطلوب» أو المقتول، فيما إذا كان مطلوباً على صعيد قضايا جنائية أو تهريب أو أسلحة أو ما شاكل أو أنّه مطلوب على خلفية انتمائه لـ «التيار الجهادي»، لأنّ هنالك تقاطعاً بين هذه الاعتبارات حدث عند لحظة معينة في مسيرة هذا الشخص، وهو ما نلاحظه بوضوح في حالة القتيل أحمد مهدي العزب وقصي الإمامي، اللذين قتلا خلال مواجهات مع الأمن أو خلال عملية اعتقال! [1]

بدأت تظهر الكرك على لائحة المؤشرات المرتبطة بهذا التيار، وإذا كانت أحداث «قلعة الكرك» (2016) قد قرعت ناقوس الخطر، لوجود خلية تقف وراءها، ومقتل

---

(1) انظر حول مقتل قصي الإمامي إلى التقرير الأمني الذي يشير إلى أنّه قُتل بالخطأ خلال مواجهات مع مطلوبين: أحداث معان بعد مقتل مواطن في اشتباك مع الأمن، صحيفة السبيل، الموقع الإلكتروني، 23-4-2014، يمكن قراءة الخبر على الرابط التالي: http://assabeel.net/news/2014/4/22/%d8%a8%d8%a7%d9%84%d9%81%d9%8a%d8%af%d9%8a%d9%88-%d8%a3%d8%ad%d8%af%d8%a7%d8%ab-%d9%85%d8%b9%d8%a7%d9%86-%d8%a8%d8%b9%d8%af-%d9%85%d9%82%d8%aa%d9%84-%d9%85%d9%88%d8%a7%d8%b7%d9%86-%d9%81%d9%8a-%d8%a7%d8%b4%d8%aa%d8%a8%d8%a7%d9%83-%d9%85%d8%b9-%d8%a7%d9%84%d8%a3%d9%85%d9%86 ، ويرجى النظر إلى مقطع فيديو لجنازته يظهر هتافات جماعية ضد الدولة والسلطة، على الرابط التالي على «اليوتيوب»:
https://www.youtube.com/watch?v=sDLK4844xYM ، وحول أحمد مهدي العزب، يرجى النظر إلى مشهد جنازته والهتافات ضد النظام، على المقطع التالي من «اليوتيوب»:
https://www.youtube.com/watch?v=EzSdsItI5Ts&t=53s ، ويرجى النظر كذلك إلى:
https://www.youtube.com/watch?v=iHRY2GgDdcA، وكذلك: معان استشهاد ثلاثة من رجال الأمن ومقتل المطلوب «العزب»، موقع جراسا الإخباري، 19-3-2013، على الرابط التالي: \http://www.gerasanews.com/article/102366

خمسة من المحسوبين على التيار خلال تلك المواجهات، فإنّ وجود عدد من أبناء المدينة يقاتلون في سورية والعراق، ومقتل 7 إلى الآن منهم هناك، إضافة إلى مؤشرات على «نواة لنسوية جهادية» في تلك المحافظة، أيضاً، كل ذلك يدفع إلى الانتباه إلى احتمالية صعود أكبر لهذا التيار هناك.

بالنظر في أسماء الخلية وتفاصيل حادثة «قلعة الكرك»، إضافة إلى بيانات المقتولين من المدينة مع تلك الجماعات في الخارج، نجد أنّ الطابع الغالب على أبناء التيار هو انتماؤهم للطبقة الوسطى، أكثر من الفقيرة، وحصولهم على حالة تعليمية أفضل، نسبة جيدة منهم من خريجي أو طلاب الجامعات، والغالبية العظمى مع تنظيم الدولة الإسلامية، والأعمار تتراوح كذلك بين العشرينيات والثلاثينيات.

وقد سجّلت الكرك كذلك ثلاث حالات لافتة؛ الأولى لابن نائب سابق في البرلمان، كان يدرس الطب في أوكرانيا، توجّه بصورة مفاجئة للقتال في العراق وسورية، ونفّذ عملية انتحارية في العراق.[1]

والثانية لفتاة كركية جامعية من عائلة تنتمي للطبقة الوسطى، درست علم النفس، وأوساط العائلة تعمل في الأمن، حاولت تلك الفتاة الوصول إلى تنظيم «داعش»، عبر السفر من خلال تركيا، إلاّ أنّ جهود أحد النواب مع السفير الأردني في أنقرة أسفرت عن إقناعها بالعدول وتهريبها من منزل يعود لـِ «داعش» في اسطنبول كانت تقيم فيه تمهيداً لنقلها إلى سورية.[2]

والثالثة لضابط طيار حربي أردني، ترك عمله في سلاح الجو، وغادر إلى سورية ملتحقاً بتنظيم «داعش»، وقام بعد أعوام بتنفيذ عملية انتحارية هناك.[3]

من الأسماء البارزة في الكرك عبد المجيد المجالي، الذي يعتبر من المقاتلين الأردنيين الأوائل في أفغانستان، وله ماضٍ معروف مع هذه الجماعات، وسُجن على خلفية

(1) نجل نائب ينفذ عملية انتحارية في العراق، صحيفة الحياة اللندنية، 3-10-2015.

(2) «عربي21» تروي تفاصيل محاولة انضمام فتاة أردنية لتنظيم الدولة، موقع عربي 21، 12-11-2015.

(3) مقتل أردني ترك سلاح الجو للقتال بسوريا، موقع خبرني، 19-8-2014.

قضايا إرهابية، ثم وضع لفترة في العلاج النفسي، بينما قام ابناه بالالتحاق بتنظيم الدولة الإسلامية، ويعتبر ابنه الأكبر قتيبة قيادياً في التنظيم، وظهر في شريط مصوّر بثّه تنظيم «داعش» وهو يهاجم الأردن، واعتُبر محرّضاً ومخططاً من قبل محكمة أمن الدولة في أحداث «قلعة الكرك»، وأحد المسؤولين الرئيسيين عن تجنيد أبناء المدينة وتسهيل عملية خروجهم للالتحاق بتنظيم الدولة![1]

ومن الأسماء البارزة التي قتلت هناك، المحب لله القيسي، الذي خصص تنظيم الدولة مادة مطوّلة عنه في أحد أعداد مجلة (دابق) المعروفة، التي يصدرها التنظيم باللغة الانجليزية، وتحدث التقرير عن انتقال محب من السلفية التقليدية إلى الجهادية، وعن العملية الانتحارية التي نفّذها، وقام داعش (لاحقاً) بتنفيذ حملة عسكرية أطلقت عليها اسمه «أبو سهل الأردني»، ومحب هو ممرض وخطيب مسجد في الكرك، وكان شقيقه مد الله القيسي قد قُتل قبله، والأخير هو مهندس، وكان خطيباً وإمام مسجد أيضاً في الكرك.

تبقى المدن الأخرى أقل أهمية على جغرافيا التطرف في الأردن، فالطفيلة التي شهدت حراكاً سياسياً امتاز بالسقف المرتفع بالهتافات والخطابات خلال «الربيع العربي» 2011–2012، لا يوجد فيها انتشار ملحوظ للتيار الجهادي، وإن كان هنالك أفراد يتحرّكون بصورة فردية، ليست كما هي الحال في السلط ومعان، وقد قُتل أحد أبنائها في سورية، وهو ممرض، ويذكر شقيقه أنّه تأثر ببعض الطلاب القادمين من محافظة الزرقاء، الذين يدرسون في جامعة الطفيلة التقنية، فيما التحق عدد قليل من حيّ الطفايلة المعروف في عمان بتلك الجماعات.

وكذلك الحال، لا نجد تواجداً ملحوظاً في العقبة، إذ هنالك حالات محدودة لمن التحقوا بالتنظيم هناك، وأشرنا إلى أحد المقتولين، وهو جامعي، ومتزوج، وثمة

(1) انظر: دانا جبريل ودعاء علي، معلومات تفاعلية: ما الذي يجمع بين إرهابي قلعة الكرك الأربعة، موقع حبر الالكتروني، 22-10-2016 على الرابط التالي:

/http://www.7iber.com/politics-economics/interactive-visualisation-terrorists-in-karak-attack

إشارات إعلامية سابقة إلى فتاة من العقبة تحمل شهادة الهندسة، غادرت الأردن، وحاولت الالتحاق بالتنظيم في تركيا، ومصيرها لم يتضح.[1] أمّا في محافظتي عجلون وجرش فالتواجد يبدو محدوداً، مع وجود بعض المقاتلين والقتلى، من بينهم مخيم جرش، لكن بأعداد أقل كثيراً من محافظاتٍ أخرى.

2. المؤشرات الاجتماعية للتطرف؛

ذكرنا سابقاً أنّ هنالك اتجاهاً لدى الباحثين والدارسين إلى صعوبة «تنميط» المتطرف أو الإرهابي، كأن نقول بأنّه في عمر معين، وفقير، غير متعلّم أو متعلم، وهكذا، ولا حتى صفات نفسية معينة، مثل القول إنّ الإرهابي منعزل وانطوائي، أو أنّه عدواني أو من ذلك مسالم. فعلى النقيض من ذلك تؤكّد خبرتنا البحثية ومعطيات وأرقام هذه الدراسة أنّ هنالك تبايناً كبيراً وتنوعاً وتعدداً في أبناء هذا التيار، يصل إلى مستوى عدم القدرة على بناء أي إطار جامع لهم!.

على صعيد الأعمار، فإنّ العمر الغالب هو العشرينيات، وبدرجة أعلى الثلاثينيات، لكن هذا لا ينفي وجود أحداث في أوساط هذا التيار، ممن ذهبوا إلى تلك المنظمات أو اتهّموا على خلفية قضايا إرهابية، وللمرة الأولى يتم الإعلان عن إقامة مركز أحداث خاص بالمتطرفين، نتيجة تزايد عدد الأحداث في هذه القضايا، وهنالك في المقابل نسبة ممن هم أكبر سنّاً، في عقود الأربعينيات والخمسينيات وحتى الستينيات.

هذا «السُلّم العمري» مرتبط أيضاً بأجيال السلفية الجهادية في الأردن، إذا افترضنا أنّ العمر المثالي للانخراط بهذا الفكر هو العشرينيات، فإنّنا سنجد تناسباً بين الأجيال الثلاثة «الجهادية» في الأردن وبين متغيّر العمر، فالجيل الأول الذي شارك في القتال أو تأثر بساحة أفغانستان وكاريزما الشيخ عبدالله عزام خلال عقد الثمانينيات، ثم عاد مع بداية عقد التسعينيات، من بقي منه جهادياً يفترض أنّه اليوم في عقد الأربعينيات أو الخمسينيات، ولدينا نماذج عديدة على هذا الجيل في أوساط الجهاديين اليوم، مثل

(1) انظر: تفاصيل اختفاء مهندسة أردنية حاولت الانضمام لداعش، صحيفة الديار الأردنية، 20-1-2016.

قياداته: وأبو قتادة الفلسطيني؛ وأبو محمد المقدسي؛ وخالد العاروري؛ وأبو أنس الصحابة؛ ونصري الطحاينة؛ ونبيل أبو حارثية؛ وأبو سياف؛ والمهندس جراس الرحاحلة؛ ورشاد شتيوي؛ وعبد شحادة الطحاوي؛ وغيرهم.

وهناك الجيل الثاني، الذي ظهر في مرحلة لاحقة، مع أحداث سبتمبر 2001 واحتلال العراق 2003، ممن قاتلوا في العراق مع تنظيم الزرقاوي أو في أماكن أخرى، أو اتهموا على خلفية قضايا محكمة أمن الدولة، مثل تنظيم الخلايا وكتائب التوحيد والألفية، ومحاولة اغتيال برجاق، واغتيال فولي، وهذا الجيل (الذي مضى على انخراطه في هذا التيار عقد من الزمن) يقع ما بين الثلاثينيات والأربعينيات، وهنالك أعداد كبيرة من أبناء هذا الجيل إما في السجون أو أنّها خرجت وعادت، أو أنّها قاتلت في العراق وسورية، أو أنّها خارج القضبان.

أمّا الجيل الثالث، فهو من قدّم أو التزم بالتيار في الأعوام الستة الأخيرة، وبصورة خاصة مع أحداث سورية والعراق نهاية 2011، وأغلب هذا الجيل هو من أبناء العشرينيات بدرجة أولى والثلاثينيات، ومنهم نسبة كبيرة ممن قتلوا وهم يقاتلون مع تلك المنظّمات، من طلاب الجامعات وغيرهم.

لا نتحدث عن فئة عمرية واحدة، بل عن «أجيال» من «الجهاديين» اليوم، وإن كان «العمر المثالي»، يقع بين العشرينيات ثم الثلاثينيات.

على صعيد التعليم، نجد أنّنا أيضاً أمام مستويات متعددة متنوعة، هنالك نسبة كبيرة ممن لم يكملوا دراستهم الجامعية، وممن أكملوا دراستهم، ولا يوجد تخصص محدد، فهنالك طلاب الطب؛ والمهندسون؛ ودارسو الشريعة؛ واللغة العربية؛ والكمبيوتر، فلا توجد علاقة معينة بين التخصص والتطرف، وإن كان بعض الدارسين عالمياً حاول الاجتهاد في إيجاد رابط بين بعض التخصصات والإرهاب، مثل المهندسين أو الأطباء، إلاّ أنّ ذلك مجرد فرضيات أولية، وفي الأردن لا يوجد أي مؤشر على رابط محدد بين تخصص معين والميل نحو الانخراط في هذا التيار.

الظاهرة الجديدة هي أنّ هنالك نسبة ممن أنهوا الدراسات العليا، ممن أصبحوا منخرطين في التنظيم، ومن حازوا على شهادات جامعية متميزة، في الطب والهندسة، ولدينا أمثلة معروفة كثيرة، مثل: منظّر «جبهة النصرة» سابقاً، د. سامي العريدي؛ ود. سعد الحنيطي؛ وعامر الضمور؛ والطبيبان: صلاح العناني ومنيف سمارة. وهنالك ممرضون وأطباء آخرون حوكموا على خلفية محاولة الالتحاق بالتنظيم، بل هنالك مجموعة أطلق عليها «تنظيم الأطباء» لأنّها تشكلت من طبيب وممرضين، حكم عليهم بمحاولة الالتحاق بتلك التنظيمات.

على صعيد الجامعات هنالك تنوع في وجود التيار في العديد من الجامعات، لكن يلاحظ بصورة خاصة في جامعة البلقاء التطبيقية، وتحديداً معهد البوليتكنيك، الذي يقع بين الزرقاء وعمان، فهنالك تواجد فيه لأبناء التيار أوضح من جامعات أخرى، و «الهاشمية» تظهر على شاشة المؤشرات، أكثر من غيرها.

على صعيد الفقر والبطالة، هنالك أيضاً تنوّع وتباعد في ملفات العديد من الحالات، بين شريحة اجتماعية تنتمي إلى طبقة فقيرة، وربما محرومة، وشرائح تنتمي إلى الطبقة الوسطى، في شقيها الأعلى والأدنى، مع تواجد محدود للطبقة العليا الثرية، وإن كان الغالب في أفراد التيار هم من ينتمون إلى الطبقات الفقيرة والوسطى الدنيا، بخاصة في معاقل التيار في الرصيفة؛ والزرقاء؛ ومخيم إربد.

لا يختلف الأمر على صعيد العمل والمهن، فهنالك طبقة من الطلاب، ومن الحرفيين بخاصة من عمان الشرقية والزرقاء والرصيفة، ومن المتعطلين عن العمل، ومن الأطباء والمهندسين والممرضين. ولوحظ بصورة لافتة، أنّ هنالك نسبة من معلّمي المدارس الحكومية والخاصة، ممن ينتمون لهذا التيار، ومن أئمة المساجد وخطبائها.

في المجال الاجتماعي والأسري. لا نجد علامات محدّدة فيمن ينتمى إلى التيار، كالميل إلى الانطواء والعزلة أو العنف في التعامل مع الخصوم، فهنالك نماذج متنوعة ومتعددة، ممن لديهم علاقات جيدة مع المجتمع المحيط ومع العائلة، ومن هم على النقيض من ذلك عدوانيون ولهم سوابق جنائية، ولدينا أمثلة متضاربة هنا وهناك.

الحال لا تختلف عندما نتحدث عن عدد أفراد العائلة والعلاقات الأسرية، فلا توجد فرضية صلبة يمكن البناء عليها بهذا الخصوص. نظراً لوجود المؤشرات المتناقضة والمتضاربة، فهنالك عائلات متماسكة وأخرى مفككة، وهنالك عائلات صغيرة وكبيرة، وهكذا..

3. التضاريس النفسية؛

إذا انتقلنا إلى العامل السيكولوجي، فهو الأكثر تعقيداً في مؤشرات الدراسة، وغير متاح إلى درجة كبيرة التعمّق فيه، لعدم وجود دراسات خاصة علمية محكمة في الأردن، على أشخاص انخرطوا في هذا التيار، لكن شهادات العديد من الأهالي والأصدقاء تؤكّد على بعض السمات والخصائص المشتركة لدى نسبة من أبناء التيار، من ضمنها الانفعال العاطفي الشديد في كثير من الأحيان، بمعنى عام دارج هي «شخصيات عاطفية»، وكثيراً ما كان ما يحدث في العراق وسورية من أحداث ومشاهد الدمار والصورة المروّعة المعروضة على شاشات التلفزيون يؤثّر في هؤلاء الأشخاص.

ومن بين السمات التي لاحظنا تكرارها في المقابلات والنقاشات مع مقربين وأصدقاء من هؤلاء الأشخاص المبادرة وحبّ التميز والقيادة، أو الرغبة في تحقيق شيء ذاتي، وهي لا تنطبق بالضرورة على الحالات كافّة، بل على العديد من الحالات، التي تابعناها، إذ يلخّص أقرباء أو أصدقاء لشخص ممن التحق بالعراق أو سورية بأنه «كان قيادياً»، أو أنّه كان «مبادراً»...الخ.

لكن، بصورة عامة؛ نجد هنالك تفاوتاً كبيراً في السمات النفسية لدى أبناء «التيار الجهادي»، فنجد هناك شخصيات تمتاز بالفعالية والنشاط والانفتاح الاجتماعي، وشخصيات على النقيض من ذلك منغلقة متوترة، انطوائية، وهناك شخصيات مسالمة في علاقتها بالآخرين، وشخصيات عدائية، شخصيات بسيطة وأخرى معقّدة، بمعنى أنّ هنالك صعوبة شديدة بوضعهم جميعاً ضمن بروفايل Profile واحد.

4. العائلات الجهادية؛

غالباً ما تتم الإشارة في الأدبيات والمقالات المتعلقة بقدرة هذه الجماعات على التجنيد والتأثير بقوة شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، والفيديوهات التي تنشر الدعاية الإعلامية وغيرها من وسائط عديدة، وهي ملاحظة صحيحة نسبياً، لكنّ على ألا يفهم من ذلك أنّ العالم الافتراضي يتفوق في قدرات التجنيد على العالم الواقعي؛ لأنّ هذا غير صحيح بالكلية، في الحدّ الأدنى في الأردن، إذ تقوم العلاقات الاجتماعية الأساسية، وتحديداً العائلية والأسرية بدور فاعل وكبير في عملية التجنيد والتأثير.

مثل هذه القراءة نجدها بوضوح في كتاب سكوت أتران «الحديث إلى العدو: الدين والأخوة وصناعة الإرهابيين وتفكيكهم»، إذ يشير إلى دور العوامل الاجتماعية، مثل الأشقاء والأصدقاء في الحيّ وفي النادي وغيرها، في التجنيد والتأثير، بدرجة رئيسة وأولى في عوالم الجهاديين.[1]

دور الإنترنت في تقريب المسافات الجغرافية والزمنية ونقل الرسائل والصور والتسجيلات، هو دور أساسي ومحوري، بالضرورة، لكنّه يعمل في النهاية كميسّر Facilitator ومساعد لتحقيق أهداف الرسالة المطلوبة وعملية التجنيد، لكن الدور الأكبر يكون للعلاقات الاجتماعية، إذ سنجد التواصل بين الأصدقاء والأقرباء والأشقاء في تلك الجماعات وفي الأردن، بوصفه عاملاً مهماً وأساسياً من عوامل التجنيد عبر الإنترنت أو بأساليب أخرى.

4-1 **على صعيد الأبناء والأشقاء** نجد هنالك عشرات الحالات لأشقاء في التيار الجهادي، وفي بعض العائلات هنالك أكثر من شقيقين، بما يصل إلى أربعة أو خمسة، بخاصة في الزرقاء والرصيفة ومخيم إربد وعمّان الشرقية، نجد ذلك في قضايا محكمة أمن الدولة، وفي الاعتقالات، وفي المقاتلين في سورية والعراق، فهنالك عائلات قُتل

(1) : سكوت أتران، الحديث إلى العدو، الدين والأخوة وصناعة الإرهابيين وتفكيكهم، ترجمة طاهر لباسي، دار جداول للنشر والتوزيع (بيروت)، ومؤسسة مؤمنون بلا حدود (الرباط- المغرب)، ط1، 2015، ص151-165.

من أبنائها اثنان أو ثلاثة، في تلك المنظمات، أو اتهّم شقيقان أو أكثر على خلفية قضية إرهابية، وبعض تلك العائلات تجد فيها قرابة 5 أشقاء ينتمون إلى هذا التيار.

وهكذا، أصبحت ظاهرة «الأشقاء الأردنيون الجهاديون» ملحوظة خلال الأعوام الأخيرة، بما يذكرنا تماماً بظاهرة الأشقاء الإرهابيين في الغرب، مثل الأخوين عبد السلام، والأخوين كواتشي، وغيرهم، من حالات عديدة شبيهة.

والحال كذلك، بالنسبة للأبناء، فإنّ هنالك تأثراً ملحوظاً من الأبناء بآبائهم، ولو نظرنا إلى الجيل الأول، أو الثاني، مثلاً، من السلفيين الجهاديين، سنجد كثيراً من الأبناء قد تأثروا بآبائهم وانخرطوا في التيار، بعضهم اعتقل وآخرون قتلوا، وهكذا.[1] بل في قضية أحداث إربد، فإنّ أحد الأحداث – كما في أوراق القضية– قام بدور الوسيط بين أعضاء التنظيم في الخارج والخلية المفترضة في الداخل، وشارك مع والده في التنظيم، وكان الوالد والولد قد جهّزا نفسيهما للقيام بعمليات مرتبطة بالخلية!

4-2 **«النسائية الجهادية» الأردنية**، انعكس وجود عدد من الأشقاء أو الآباء والأبناء في التيار بدوره على العائلة بأسرها، على الزوجات والأمّهات والشقيقات، وهي ظاهرة بدأت تتصاعد مؤخراً، ونجد تعبير ذلك من خلال شبكات التواصل الاجتماعي، فأصبح هناك عشرات الصفحات لأردنيات مرتبطات بجهاديين، وهو رباط لم يعد عاطفياً فقط، بل أصبح فكرياً وأيديولوجياً أيضاً، ما وضع بذوراً بدأت تنمو لـ «شبكة نسائية جهادية» أردنية، على غرار دول أخرى، مثل السعودية، كان فيها دور المرأة مقتصراً في البداية على الجانب العاطفي في العلاقة مع الرجل (زوجة، أمّا، شقيقة، ابنة، قريبة)، ثم تحول إلى الدفاع عن المعتقلين، وإلى التزاوج الداخلي والمصاهرة

(1) ومن القيادات سنجد أنّ أغلب أبنائهم أصبحوا أعضاء فاعلين في التيار، مثلًا ابن أبو قتادة الفلسطيني، الذي اعتقل على خلفية نشاطه، وأبناء أبو محمد المقدسي، ومنهم من قُتل، وهناك مسجونون في الخارج على خلفية أنشطة التيار، أبناء عزمي الجيوسي، بين الاعتقال والانضمام إلى الجماعات المسلحة في الخارج، أبن أنور أبو فارس، ابن نبيل أبو حارثية، وهو طالب تمت محاكمته على خلفية علاقته بمجموعة كانت تريد الذهاب إلى القتال في الخارج، ومعه خاله، الأخير مهندس كمبيوتر، وشخص آخر، وكذلك الحال لمحمد ياسين جراد، نجل ياسين جراد، والد زوجة أبو مصعب الزرقاوي، وقد قتل الوالد في عملية انتحارية ضد موكب محمد باقر الحكيم، رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، 2003، بينما قتل ابنه محمد في بداية العام 2013. وهكذا سنجد أسماء لعشرات الحالات لجهاديين وأبنائهم مما يظهر تأثيراً كبيراً لهذه العلاقة.

في أوساط «المجتمع الجهادي السعودي»، ثم بدأت عملية الاعتقال، والمحاكمة لنساء متأثرات بـ «الفكر الجهادي»، وكبرت الحركة، إلى أن وصلت في مرحلة لاحقة إلى بروز أسماءَ لامعة لنساء سعوديات «جهاديات»، على مستوى عالمي، مثل: أم الرباب، ووفاء الشهري، ووفاء اليحي، وأخت جليبيب، وأروى البغدادي، وريما الجريش، وغيرهن.[1]

ثمة مؤشرات على أنّ هذا الاتجاه Trend يتشكّل أولاً على صعيد متابعة مواقع التواصل الاجتماعي، وثانياً على صعيد خضوع نساء للتحقيق الأمني والمحاكمة (للمرة الأولى) على خلفية قضايا مرتبطة بالترويج لتنظيم داعش، وثالثاً على صعيد المصاهرة والتزاوج الداخلي في أوساط هذا التيار، ورابعاً على صعيد الأردنيات اللواتي غادرن إلى سورية والعراق، مع أقربائهن واندمجن هناك بتللك التنظيمات أو المجتمعات المحيطة بها، ولا يوجد لدينا رقم موثق عن أعداد الأردنيات، لكن من المؤكّد بأنّ هنالك «عالقات منهن» في المخيمات التي أقامتها قوات البشمركة في العراق وسورية، للعائلات المرتبطات بدولة تنظيم داعش السابقة.

وكما أنّ هنالك ظاهرة «الأشقاء الجهاديين»، فهنالك اليوم «الشقيقات الجهاديات»، فكل من (ح.أ) و(أ.أ) التحقتا بتنظيم الدولة الإسلامية، وشقيقتهم الثالثة (ع.أ) متهمة على خلفية تأسيس مجموعة على «الواتس أب» تحمل عنوان «الأخوات في الله» مؤيدة لتنظيم داعش، تضم الشقيقات الثلاثة مع أخرى (ب.أ) تحاكم أمام محكمة أمن الدولة بتهمة تأييد التنظيم مع فتاة أخرى اسمها تقى.[2]

على صعيد مواقع التواصل الاجتماعي؛ فإنّ الصفحات التي تعود لمتأثرات بهذا الفكر تتباين من حيث الخطاب والشعارات ومدى التأثر، وهنالك مستويات متعددة،

(1) انظر عن النموذج النسوية الجهادي السعودي: Mohammad Aburumman and Hassan Abu Hanieh, Infatuated with Martyrdom: Female Jihadism from Al- Qaeda to the "Islamic State", Friedrich Ebert Stiftung, Amman, 2017, p: 215-276

(2) المعلومات مستقاة من ملف القضية المعروض أمام محكمة أمن الدولة.

الأول لمتأثرات جداً وبوضوح من خلال اللغة والخطاب والمنشورات الموجودة على الصفحة، ومن تلك الحالات نساء قتل أشقاؤهن وأزواجهن في العراق وسورية، ونجد لدى هذا النموذج دفاعاً وإيماناً واضحين بهذه الأيديولوجيا، سواء كنا نتحدث عن «الداعشيات» أو مؤيدات «جبهة النصرة». أما المستوى الثاني؛ فهو مستوى التأثر العاطفي، من دون الدخول بالعمق والتفاصيل فيما يتعلق بالأيديولوجيا والخلافات الأيديولوجية، إذ تكتفي صاحبات الحساب على «الفيس بوك» بنشر صور أقربائهن القتلى وتذكرهم، والتأكيد على أنّهم «شهداء». أما المستوى الثالث؛ فهو مستوى غير واضح لمتدينات يتداولن بعض مفاهيم ومصطلحات تمت إلى «الأيديولوجيا الجهادية»، ويؤكدن في منشوراتهن على أفكار وعواطف قريبة من هذا الخط، لكن لا يوجد ما يؤكّد على انتمائهن الأيديولوجي أو حتى العاطفي الكامل للسلفية الجهادية.(1)

ديناميكية هذه الظاهرة لا تقف عند حدود وجود صفحات لمتأثرات بـ «الفكر الجهادي»، بل لتشكّل «شبكة اجتماعية» بين هذه النساء، وتعاضد بينهن، إذ يكفي الإطلاع – على سبيل المثال– على قائمة الأصدقاء على إحدى هذه الصفحات، لنكتشف أنّنا أمام شبكة من الأسماء والعلاقات بين المتأثرات بهذا الفكر، وأنّنا أيضاً أمام عملية تداخل واضحة بين الشقيقات والزوجات والأمهات، ما يؤشّر إلى عمق علاقات المصاهرة وقوة الروابط العائلية.

هذه الشبكات الافتراضية (أي في عالم الإنترنت) تتبدّى بصورة أكثر وضوحاً في محافظتي إربد، والزرقاء، ولواء والرصيفة، في أحيان تتخذ صاحبة الصفحة لقب «أم فلان»، وفي أحيان أخرى أسماء إسلامية عامة، وأخرى أسماء ذات دلالة على تأثرها

(1) وجدنا خلال البحث العديد من الصحفات، لا نريد أن نضع روابطها أو نذكر الأسماء المتداولة فيها، لما يحمله من الموضوع من هواجس اجتماعية وثقافية، لكن المستويات الثلاثة المذكورة مستنبطة من مضمون هذه الصفحات، فواحدة من الصفحات، التي اختفت عن موقع «الفيس بوك»، عندما حاولنا التواصل معها، تعود لمرأة شقيقها قتل في العراق، وهو من عشيرة معروفة مقيمة في الزرقاء، تضع صور شقيقها وتنقل اخبار «داعش»، وتؤكد تأييدها للتنظيم على صفحتها، العديد من الصفحات هي لنساء متزوجات أو أمهات أو شقيقات لجهاديين قتلوا هناك، وتتسم تلك الصفحات بالطابع الإسلامي عموماً، فالمادة الرئيسة فيها مادة إسلامية، وفيها صور أقربائهن القتلى والمنشورات التي تتحدث عنهم وتصفهم بالشهداء، وتتبنى جزئياً بعض المفاهيم القريبة من هذا الخط.

بـ «الفكر الجهادي»، وفي أحيان كثيرة يكون عنوان الصفحة مرتبط باسم القتيل، بخاصة للأمهات، فتضع صاحبة الصفحة اسم ابنها القتيل وقبله كلمة أم، أو أخت واسم القتيل أو المعتقل.

4-3 **الأحداث الجهاديون،** في مثل هذه الحالة؛ فمن المتوقع أيضاً بروز حالة جديدة غير معهودة في الأردن تتمثل بـ «الأحداث الجهاديين». أي من لم يبلغوا سن الثامنة عشرة، إذ أصبح لدينا أعداد ملحوظة على أكثر من مستوى: الأول هو مستوى من ذهبوا للقتال في العراق وسورية، منهم من لم يزل على قيد الحياة، بخاصة أبناء الجهاديين، مثل: أبناء عزمي الجيوسي وأنور أبو فارس، وهما ما يزالان يقاتلان هناك، فيما اختفت أخبار قسورة ابن محمد جمال، من الزرقاء، الذي قتل والده بينما انشق ابنه والتحق بتنظيم داعش، وابن عامر الضمور، الذي قُتل في سورية قبل والده، وهكذا فإنّ لدينا أعداداً غير معروفة من الأبناء الذين غادروا مع آبائهم أو لحقوا بهم إلى هناك وأصبحوا مقاتلين، أو قتلوا خلال العمليات العسكرية.

هناك من الأحداث من سافروا وحدهم، ولم يلتحقوا بآبائهم، وهذا النموذج أكثر وضوحاً في مدينتي إربد والزرقاء، بخاصة إربد، وبالرغم من أنّ بعض هؤلاء لا ينتمون بـ «عائلات جهادية»، إلاّ أنّ إصرارهم على القتال هناك دفع بعائلاتهم إلى قبول الفكَرة وتسهيل عملية السفر إلى تلك المنظمات لأبنائهم![1]

وكنّا قد ذكرنا نموذج عبدالله الشريف، في خلية إربد، وقد حوكم مع الخلية المسؤولة عن الأحداث، وصدر حكم بالإعدام على والده فرج الشريف، وتمّ إعدامه بالفعل، فيما ابنه عبدالله يقيم في دار الأحداث مع غيره من أحداث آخرين يقيمون فيها على خلفية قضايا شبيهة.

بالنتيجة؛ وجود آباء وأبناء وأشقاء وزوجات وأخوات وبنات، وصلات قرابة ومصاهرة داخلية، كلّها مؤشّرات إلى نواة لـ «مجتمع جهادي مصغر»، ولأدوار في طور الصعود أكثر للنساء والأطفال.

(1) من الأمثلة على ذلك (أ.ب) وكان عمره قرابة 16 عاماً عندما ذهب للقتال في سورية، وقتل هناك بعد شهور.

5. الخلفيات السياسية والفكرية:

لو تجاوزنا المؤشرات السوسيولوجية والسيكولوجية، وبحثنا في الخلفيات الفكرية لأغلبية تيار السلفية الجهادية. فسنجد أنّ الأجيال السابقة، عموماً، الأول في التسعينيات والثاني في العشرية الأولى من القرن الحالي، لم تأتِ من خلفية أيديولوجية إسلامية مؤطّرة، غالباً، بل جاءت من خلفيات سلفية فضفاضة، أو غير إسلامية في الأصل. أي أشخاص تعرّفوا على الاتجاه الإسلامي من خلال «الخطاب الجهادي» نفسه، وهنالك بطبيعة الحال نسبة محدودة مرتبطة بخلفيات إسلامية حركية معروفة، مثل جماعة الإخوان المسلمين، أو أوساط السلفية التقليدية أو السلفية الحركية.

لكن الحالة تبدو مختلفة مع الجيل الثالث، أي الحالي، بخاصة منذ أحداث «الربيع العربي» 2011، إذ نجد أنّ هنالك طفرة ملحوظة في التجنيد والدعاية أدت إلى انضمام عدد كبير نسبياً، مقارنةً بحجم التيار. وإذا أسقطنا تحليل هذه الاتجاهات على من ذهبوا للقتال في سورية والعراق، وانضموا إلى «جبهة النصرة» وتنظيم الدولة الإسلامية، فسنجد أنّنا أمام خمسة اتجاهات رئيسة:

الاتجاه الأول– وهو أبناء السلفية الجهادية أنفسهم، من الأجيال الثلاثة (التي تحدثنا عنها)، إذ أصبحت سورية والعراق، «جبهة النصرة» و «داعش» لاحقاً، مقصداً أساسياً لهم، وإذا عدنا إلى قائمة المعتقلين على خلفية أحداث الزرقاء 2011، ومن تمّ تحويلهم إلى القضاء نتيجة ما حدث، سنجد لاحقاً أنّ هنالك نسبة كبيرة (قد تكون الغالبية) ممن تمّ الإفراج عنهم بكفالة في نهاية العام 2011، قد غادرت إلى سورية والعراق والتحقت بتنظيم «جبهة النصرة» هناك، من مختلف المحافظات، من الزرقاء وإربد وعمان والسلط ومعان، وقد عملت قيادات سلفية جهادية معروفة على تسهيل انتقال هؤلاء، بخاصة في الفترة الأولى عن طريق التهريب عبر الحدود، حيث لم تكن هنالك رقابة شديدة صارمة من قبل السلطات الأردنية على تلك المناطق.

انضمت إلى هذه المجموعة (المشاركين في أحداث الزرقاء) مجموعات أخرى من الجهاديين، ممن لهم خبرة سابقة في ساحات القتال في كل من العراق وسورية، سواء في القتال إلى جوار عبدالله عزام في أفغانستان أو أبو مصعب الزرقاوي في العراق، ومنهم من خرج بكفالة أيضاً في عفو ملكي عن محكومين على خلفية قضايا إرهابية صدر في نهاية العام 2011.

لم يقتصر الأمر على اتجاه واحد (في أوساط الجهاديين الأردنيين)، إذ غادر أشخاص من كلا الاتجاهين (أتباع المقدسي، وأتباع الزرقاوي سابقاً) إلى سورية، وانضموا جميعاً إلى «جبهة النصرة»، عندما كانت تمثّل – في رؤيتهم- امتداداً لـ «لقاعدة العالمية» و «قاعدة العراق»، قبل أن تبدأ الخلافات تظهر والانقسام، ثم الصراع يتجسّد على أرض الواقع، فأصبح أغلب من يذهبون إلى هناك، لاحقاً، يقصدون تنظيم «داعش»، وليس «جبهة النصرة»، بل وحدثت انشقاقات عديدة في أوساط الأردنيين من «النصرة» فانتقلوا إلى «داعش».

الاتجاه الثاني- وهو ينتمي إلى تيار السلفية الجهادية، لكنّه كان قد جرى تجنيده بسرعة، وانتقل إلى القتال مع تنظيم «النصرة» أو «داعش» في العراق وسورية، ونسبة كبيرة من هذا الاتجاه هي ممن ليست لديها أي خلفية إسلامية، بل هنالك حالات عديدة ممن لها خلفية جنائية وجرمية، ممن ذهبوا إلى هناك والتحقوا بتلك التنظيمات خلال فترة قصيرة، وكان السجن هو «نقطة التحوّل» إذ بدأت مجموعة من هؤلاء الشباب يتأثرون بأفكار الجهاديين في السجن، والتزموا دينياً خلال تلك الفترة، ثم لما خرجوا أصبحوا أعضاءً في التيار، قبل أن يقوموا بالسفر بعد ذلك إلى سورية والعراق.

لا يبدو الأمر صادماً عند النظر في خلفية عديد من قيادات «التيار الجهادي» نفسه سابقاً، ومنهم أبو مصعب الزرقاوي، الذي كان غير ملتزم دينياً، ويشرب الكحول وينتمي إلى عالم مغاير تماماً في موقفه من الدين لـ «الجهاديين»، ثم فجأة صحا على نفسه وقد قرر تغيير مسار حياته، والالتزام الديني، قبل أن يتحول إلى التيار الجهادي، بل ويكون من مؤسسيه أردنياً.

هذه الحالة؛ أي الانقلاب في الموقف من الدين، بل والتأثر بفكر «الجهاديين» والانتقال من عالم الجرائم والجنح الأخلاقية إلى التدين ستذكر لاحقاً، مع عديد من نزلاء السجون، ممن تأثروا بـ «الفكر السلفي الجهادي» داخل السجن.

من الحالات التي درسناها ضمن الدراسات المعمّقة واحد ممن دخل على خلفية قضية تزوير، وكان معروفاً بسلوكه الطائش، وبقربه من عصابات في منطقته، ثم لما دخل السجن، وأخذ يتأثر بهذه الأفكار، خرج، وأصبح قريباً من أبناء التيار، قبل أن يقرر المغادرة إلى سورية ويلتحق بـ «جبهة النصرة»، ثم ألقت القبض عليه السلطات السورية، وأجرت له اعترافات تمّ بثُّها على التلفزيون الرسمي السوري.

حالة أخرى لشاب من حيّ فقير في عمّان، كان غير ملتزم، وهو مراهق، لم يكمل المدرسة، تركها في صفّ مبكّر، وبدأ يعمل في الحرف اليومية، قبل أن يدخل السجن على خلفية قضية «محاولة هتك عرض»، وهناك تأثر بـ «الفكر الجهادي»، فخرج مختلفاً تماماً، متديّناً، ملتزماً بهذه الأيديولوجيا، وذهب إلى سورية لينضم إلى «جبهة النصرة»، قبل أن يعود لاحقاً، ويقرر تسليم نفسه للدولة الأردنية، وهو الآن مطلق السراح، لكنّه تراجع عن الأفكار الجهادية.

وهكذا، سنجد أننا أمام نماذج وحالات متنوعة من هذا القبيل، لأشخاص ممن لهم خلفيات جنائية أو ليست لهم خلفية دينية، تأثروا بصورة متسارعة بهذا الفكر، ممن ليست لديهم ثقافة إسلامية عميقة، مسبقاً، وليس لهم انتماء سياسي محدد، وأغلبهم لم ينه الدراسة في المدرسة، ونسبة غالبة منهم من الحرف اليدوية، مثل صيانة المنازل، التجارة غير المنتظمة، وعلى الأغلب من الطبقة الفقيرة أو المتوسطة الدنيا، ومن الواضح حتى من خلال شهادات عائلاتهم أنّهم لم ينالوا قسطاً ولو ضئيلاً من الثقافة الدينية، بقدر ما اعتمدوا على بعض الأفكار الرئيسة، كما سنحلل لاحقاً.

الاتجاه الثالث- من أوساط جماعة الإخوان المسلمين عموماً، سواء من كانوا منظمين أو من كانوا في الجماعة وخرجوا منها، وهنا تبرز مجموعة «حيّ نزال» في عمّان،

وهو أحد معاقل جماعة الإخوان المسلمين (سنتناولها ضمن دراسة الحالات)، وكذلك الحال د. رياض هديب، الذي له باع أكبر في جماعة الإخوان وأنشطتهم، قبل أن يتحول في الأعوام الأخيرة إلى «السلفية الجهادية»، وهنالك أيضاً (ع. ز)، من الطفيلة، وكان أيضاً قد بدأ في طريقه في الإخوان، كما يؤكّد أحد أصدقائه ومعارفه، ثم تحوّل إلى السلفية الجهادية، ولدينا حالة (ح. ش)، والآخر جامعي، من سكان العقبة، وكان أيضاً ناشطاً إخوانياً خلال مرحلة الجامعة.

ولدينا حالات أخرى من شباب صغار عائلاتهم من وسط جماعة الإخوان المسلمين، لكن أبناءهم تأثروا بما يحدث في سورية، وانتقلوا إلى هناك، ولدينا نماذج عديدة، على هذه الاتجاه، مثل (ع.ع) و(أ.ب) وكلاهما أقل من عشرين عاماً، من إربد، الأول والده في جماعة الإخوان المسلمين، والثاني عائلته من أوساط إخوانية، كما يظهر من خلال حساباتهم على موقع التواصل الاجتماعي، «الفيس بوك»، إذ يبدو تأثر الآباء بأفكار الإخوان المسلمين، والتأييد والتعاطف الكبير مع كتائب القسّام كان واضحاً تماماً في هذه الحسابات.

سنتناول بصورة مفصّلة أكثر بعض هذه النماذج في الفصل التالي، لكن من المهم الإشارة هنا إلى أنّنا حتى في داخل «الإخوان» المتحولين إلى الجهادية لسنا أمام محفّز واحد، أو نموذج متماثل أو موحد، بل هنالك نماذج متعددة، الأول هو نموذج «إخواني» تأثر بما يحدث في سورية فقرر المغادرة إلى هناك، ولم يجد إلاّ «جبهة النصرة»، وأغلب من كانت خلفيتهم «إخوانية» انتقلوا إلى «جبهة النصرة»، و «الجبهة» في البداية كانت تحاول المراوغة في هويتها وارتباطها بـ«القاعدة»، فكانت أشبه بالعنوان الوحيد المتاح للمهاجرين أو القادمين من الخارج، وهناك نموذج آخر تأثر بالفعل بـ «الفكر السلفي الجهادي»، وغادر إلى هناك، ولم يصل جميعهم إلى المستوى نفسه بالإيمان بـ «السلفية الجهادية» كبديل عن اتجاهاتهم السابقة، بل هناك من أصبح بعد «النصرة» ناقداً شديداً لـ «الإخوان»، وهناك من بقي على علاقة جيدة بـ «الجماعة»، بالرغم من انتقالهم إلى «التيار الجهادي»، المعروف بعدائه لجماعة الإخوان المسلمين.

الاتجاه الرابع– ينتمي إلى تيارات سلفية وإسلامية أخرى، غير جهادية. وهنا يبرز لدينا ثلاثة مجموعات رئيسة:

المجموعة الأولى تنتمي إلى السلفية التقليدية، وهي قليلة العدد، ممن كانوا متأثرين بشيوخ هذا التيار، وهو تيار معروف بعدائه لـ «الجهاديين»، وتأييده للحكومة الأردنية. ومن هذه المجموعة المحب لدين الله القيسِي، وهو أحد الأعضاء البارزين في تنظيم داعش، ولقبه أبو سهل الأردني، وكُتب عنه مقال في مجلة «دابق» ذُكر فيه انتماؤه سابقاً للتيار التقليدي.

المجموعة الثانية وتنتمي إلى السلفية الحركية، وهذه المجموعة أكبر عدداً، وربما تأثرت بشخصية أبو أنس الشامي، عمر يوسف، وكان أحد أبرز الشخصيات السلفية الحركية في الأردن.[1] هذا الخط الذي بدأه الشامي، لم ينته لاحقاً، إذ سار عليه عدد من تلاميذه ومريديه، وحتى المتأثرين به، ويمتاز أتباعه بالاهتمام بالعلوم الشرعية، وبالقرب من «الفكر السروري» سابقاً، وهو فكر سلفي– حركي، ليس على وفاق مع الجهاديين أيضاً، ومن الأسماء التي تحولت باتجاه «الجهادية» عامر الضمور نفسه، الذي أصبح في فترة معينة متأثراً بأفكار أبو أنس الشامي وتجربته، وكذلك الحال الدكتور (م.ص)، وهو حاصل على الدكتوراه في الشريعة، ومسجون حالياً بتهمة محاولة الالتحاق بتنظيم الدولة الإسلامية، وكان يعمل مستشاراً شرعياً في شركة مصرفية معروفة، وحالته المالية جيدة، وكذلك شقيقه الذي اعتقل على خلفية تأثره بـ «الأفكار الجهادية»، وكان يكمل دراساته العليا في السعودية، لكنه لم يحاكم ولم توجّه له تهمة، بيد أنّ بعض المقربين يرون بأنّ الشقيقين متأثران بأفكار الشامي.

ويبدو أنّ وجود شخصيات سلفية مشهورة على خطوط متقاطعة بين السلفية الحركية والجهادية، ربما ساهم في محو الحدود الفاصلة بين السلفيات، وهي قضية

(1) وعمل إمام مسجد في حيّ صويلح (منطقة الإرسال)، وتشكلت حوله حلقة من التلاميذ والمريدين، وكان متأثراً بشيوخ الصحوة في السعودية (بخاصة د. سفر الحوالي) قبل أن ينتقل في العام 2003 إلى العراق، وينضم إلى جماعة الزرقاوي، ويصبح بمثابة المفتي الشرعي لها، ثم يقتل في العرق 2004.

سنتطرق لها لاحقاً، لكن شخصيات مثل د. محمد أبو رحيم، وهو أستاذ عقيدة معروف ومشهور عربياً، من الشخصيات السلفية الحركية المشهورة، قاتل اثنان من أبنائه مع «جبهة النصرة»، وقتل أحدهم، بينما شقيقهم الثالث مسجون في الأردن على خلفية الاتهام بالترويج لـ «الجماعات الجهادية»؛ أي أنّ عائلته تأثرت بهذه الأفكار قبل طلابه ومريديه، الذين منَ الطبيعي أنهم قد يتأثرون بها أيضاً، حتى د. إياد القنيبي، فهو الآخر، يقع بين السلفيتين الحركية والجهادية، وله مريدون من كليهما، والحال نفسها تنطبق على د. أيمن البلوي، وخلفية د. سعد الحنيطي الفكرية، هي أقرب كذلك إلى السلفية الحركية، فمن الواضح أنّ هذا الاتجاه السلفي كان مورداً رئيساً في الأردن للسلفية الجهادية وللمهاجرين إلى ساحات القتال في سورية والعراق.

يضاف إلى هذا وذاك تأثير السلفيين السوريين الموجودين في الأردن، وبعضهم – كما أشرنا سابقاً– غادر وانتقل للقتال في سورية، فمن المعروف أنّ الاتجاهات السلفية الفاعلة مرتبطة بمؤسسين وروّاد سوريين، فأحد أبرز رموز السلفية الحركية السرورية، محمد بن نايف زين العابدين، هو سوري، وكان في الأصل من جماعة الإخوان المسلمين، وأسس في السعودية لاحقاً اتجاهاً جديداً عرف بـ «السلفية السرورية»، وكان له أتباع سوريون وعرب، وأصبح تياراً كبيراً، له حضورَه في الأردن، وأنصاره، ومن هؤلاء أردنيون وسوريون.

المجموعة الثالثة هم أشخاص تأثروا بجماعة الدعوة والتبليغ، وكانوا معهم لفترة من الوقت، ثم انتقلوا إلى «السلفية الجهادية»، وهي مجموعة يصعب حصر أعدادها، لكنّها على الأغلب كبيرة. لأنّ طبيعة جماعة التبليغ هلامية وليست تنظيماً، وهي جماعة تركّز على الجوانب الدعوية والروحية، ولا توجد لديها مشكلات أمنية، لأنّها تتبنى عدم التدخل في السياسة والابتعاد عن الجوانب الجدلية والإشكالية، ويُنظر لها – في كثير من الأوقات– أنّها أقرب إلى «ممر» – لا مقرّ– في الحراك الإسلامي، بين الجماعات والتيارات المختلفة، كما هي حال أبو قتادة الفلسطيني الذي كان عضوا بارزا في جماعة التبليغ ثم تحوّل إلى أحد أبرز منظّري «السلفية الجهادية».

في أحيانٍ أخرى، تستخدم جماعة الدعوة والتبليغ، نظراً لهلاميتها وقبولها من الأجهزة الأمنية، كستار أو غطاء للعمل لبعض أفراد «التيار الجهادي»، لتجنّب المشكلات الأمنية، وفي بعض المجموعات التي اتهمت بمحاولة القيام بعمليات إرهابية، كانت هنالك إشارات واضحة لمحاولة استخدام الجماعة كغطاء من قبل الجهاديين، أولاً لعدم انكشاف أمرهم، وثانياً للتأثير في أفراد هذه الجماعات، بخاصة أنّه من المعروف بأنّ أفرادها في العادة بسطاء، لا يهتمون كثيراً بالعلوم الشرعية والأيديولوجيا، بقدر ما أنّ اهتمامهم بالوعظ الروحي، لذلك يكون من الأسهل تجنيدهم والتأثير فيهم من جماعات وأحزاب أخرى، أكثر تأطيراً: فكرياً، وتنظيمياً.

الاتجاه الخامس- وهي نخبة محدودة، ممن تنتمي إلى تيارات وأحزاب سياسية أخرى، كانت متأثرة سابقاً بأفكار وأيديولوجيات يسارية أو قومية أو حتى منظمات فلسطينية، لكنّها تحوّلت نحو الحالة الإسلامية، ثم انتقلت إلى «التيار الجهادي»، لكن على الصعيد النخبوي، ومع ذلك بقيت غير مستدخلة تماماً في هذا التيار، ثم بعض هذه الشخصيات قرّر الانفصال عن «الجهاديين»، ولعلّ تيار الأمّة أردنياً هو النموذج أو المثال الساطع على هذه الحالة، بقياداته وشخصياته المعروفة، التي تنتمي إلى المنظمات الفلسطينية، وإلى مرحلة زمنية برزت فيها مجموعات إسلامية داخل حركة فتح. فهذه الشخصيات حاولت خلال فترة معينة التأثير في «الجهاديين»، لكن بعدما فشلت هذه الجهود اتجهت هذه الشخصيات إلى الانفصال والعمل بصورة مستقلة.[1]

6. مسارات التجنيد وأدواته:

العامل الرئيس في التجنيد في الأردن هي شبكة العلاقات الاجتماعية المباشرة، وتنقسم إلى روافد متعددة، مثل الأصدقاء والأقرباء، فنسبة كبيرة من الحالات التي

(1) يمكن الاطلاع بصورة موسعة ومفصلة عن نموذج على هذا الاتجاه في شخصبة نعيم التلاوي، في: محمد أبو رمان، «أنا سلفي: بحث في الهوية الواقعية والمتخيلة لدى السلفيين»، مؤسسة فريدريش إيبرت، عمان، ط1، ص، وهنالك بالطبع شخصيات أخرى أردنية في تيار الأمة، بعضها أيضاً جاء من خلفيات سياسية غير إسلامية، لكن هذا التيار ضعف في الأعوام القليلة الماضية، ليس فقط أردنياً، بل أيضاً عربياً، ويعتبر حاكم المطيري الكويتي أحد أبرز رموزه وقياداته، انظر عن تيار الأمة إلى:

عايشناها خلال فترة البحث مرتبطة بتأثير الأصدقاء، سواء كانوا في الحيّ أو في الجامعة، لهم دور كبير على الآخرين، والأقارب من الدرجة الأولى أو الثانية أيضاً.

وجود علاقات الصداقة العميقة يصعّب من مهمة اكتشاف الخلايا والمجموعات أو اختراقها، إلاّ بعد دخول أعضاء أو أفراد جدد، لكن ما هو أكثر قوة وصلابة من علاقات الصداقة، وبدأت تظهر - كما ذكرنا سابقاً- في الأردن هي علاقات القرابة والمصاهرة، التي أخذت تتعزز في الأعوام الأخيرة، فنجد - في كثير من الأحوال- أشقاء وشقيقات وآباء وأمهات، وأقارب من الدرجة الأولى، فتصبح علاقات التأثير والتأثّر على درجة من القوة، ما يصعّب من عملية التفكيك والعزل ومواجهة هذه الأفكار. بمعنى أنّ العائلة تحوّلت في كثير من الأحيان، لدى الجهاديين، من عامل ضعف يمكن الولوج منها للتأثير عليهم من قبل الأجهزة المعنية، إلى عامل قوة ومساندة لـ «الجهادي». وبدلاً من أن يكون الشعور العائلي بأنّ المنتمي لهذا التيار يمثّل مشكلة لعائلته أو عبئاً عليها، أصبحت الحالة مختلفة في كثير من العائلات لاحقاً، التي باتت تتعاطف مع أفرادها المعتقلين أو الذين يقاتلون في الخارج مع تلك المنظمات، ومتأثرة بأفكارهم ورؤيتهم للأمور.

أغلب الحالات لا تخرج عن حيّز الصداقة أو القرابة، وفي أحيانٍ كثيرة تتشكّل هذه الصداقات في المسجد أو في المدرسة، وتظهر في أحيان أخرى أندية كمال الأجسام أو الألعاب القتالية، وهي من الرياضات التي تستهوي الأجيال الجديدة. ونلاحظ أنّها بدأت تظهر في الحالة الأردنية، فهنالك صور لبعض الشباب ممن ذهبوا إلى سورية والعراق، تظهر اهتمامهم برياضة كمال الأجسام، وأحد المتهمين في قضية 9-11-2012، كان مدرّباً للكاراتية، وبعضهم يتعارف في أندية اللياقة البدنية، بمعنى أنّ العلاقة لم تعد مقتصرة على المسجد أو المدرسة أو الجامعة، وإن كانت هذه المستويات لا تغيب في وسائل التجنيد والتشبيك والعلاقة بين الأفراد.

السجون أصبحت بدورها، كما ذكرنا سابقاً، بيئة ممكنة للتجنيد والتأثير، وبالرغم من تنبّه السلطات لهذا الأمر، وقيامها بتخصيص مهاجع وأماكن خاصة للسجناء الجهاديين، وفي بعض مراكز الإصلاح والتأهيل (الموقر 1) يوضع الأشخاص الخطرون في زنازين انفرادية، مع ذلك فإنّ النتائج تشير إلى بقاء السجون أدوات مهمة وأساسية في التجنيد، بل وفي التنشئة والإعداد، بخاصة للأفراد الجدد الذين يحاكمون على خلفية قضايا دعم الجماعات المتشددة، والترويج لها، من دون أن يكونوا قد وصلوا إلى مرحلة متقدمة من الأدلجة، لكن وضعهم في مراكز الإصلاح ومهاجع أنصار تلك الجماعات يجعل من «مهمة تجنيدهم» أكثر سهولة وسلاسة، ويحجّم خيار محاولة إقناع أولئك المتطرفين الجدد – إن جاز التعبير– بتغيير المسار، فكأنّنا هنا أمام خدمة تسليم Delivery، تقدمها السلطات لأبناء هذه الجماعات في السجون بتقديم أشخاص أو مرشحين Candidates للقيام بعملية التجنيد والأدلجة المطلوبة!.

بالضرورة يضاف إلى تلك المستويات والأطر – العائلة والأصدقاء والسجن والأندية.. وغيرها – العالم الافتراضي، بوصفه أحد مصادر التجنيد، وهو اليوم عامل رئيس ومهم في بناء السرديات المطلوبة، وفي نقل الصور والشعارات والأناشيد وتشبيك العلاقات، بما يسهّل Facilitate، عملية التأثير والتجنيد، إذ يختصر الجغرافيا والزمن، ويفتح أبواب الممنوعات، ويحدّ من قدرة السلطات على الرقابة على عملية نقل الأفكار والصور، وحتى العلاقات عبر العالم الافتراضي.[1]

المساهمة الرئيسة للإنترنت في التجنيد والتعبئة في الأردن، جاءت عبر مستويات متعددة، من خلال تسهيل وتذليل عقبات التواصل الإلكتروني بين الأردنيين الموجودين في تلك المنظمات وعائلاتهم وأصدقائهم وأقرانهم في «تيار الجهاديين»، والتيارات الأخرى، فعملوا على إقناع الموجودين باللحاق بهم، أو التأثير فيهم

(1) يشير الأنثروبولوجي، سكوت أتران، إلى أنّ علاقات العائلة والصداقة تؤدي دوراً حيوياً في عملية التجنيد والتآزر على الأرض، ويذكر صداقات النادي الرياضي وعلاقات المسجد والعائلة بوصفها شبكات رئيسة أشبه بـ «النادي الاجتماعي» للمتطرفين، من خلال العديد من الجماعات المتشددة عالمياً، وهو ما نجده ينطبق على الحالة الأردنية.

انظر إلى: سكوت أتران، الحديث إلى العدو، الدين والأخوة وصناعة الإرهابيين وتفكيكهم، مرجع سابق، ص 151–165.

فكرياً أو حتى التنسيق والإعداد لعمليات إرهابية يمكن القيام بها في الأردن، وهو ما نلاحظه بوضوح في أغلب الحالات. فعلى سبيل المثال خليتي الكرك وإربد، كانتا مرتبطتين مباشرةً بتنظيم الدولة، وكثير من الأردنيين الذين خرجوا إلى تلك المنظمات تأثروا إمّا بأصدقاء أو أقرباء موجودين هناك، بشهادات أهلهم، وكما سنلاحظ في الفصل القادم في الحالات الدراسية المفصّلة.

مستوى آخر، لا يقل أهمية، لتأثير العالم الافتراضي تمثّل في إلغاء قيمة وأهمية الحدود الجغرافية والزمنية بين ما يحدث في العراق وسورية، والفيديوهات التي تسجّل عمليات تلك المنظمات والأعضاء الموجودين في الأردن، وتجذير المشاعر المشتركة والشعور العام بين هؤلاء الأفراد، ما يقوّي من السردية التي تقدّمها تلك المجموعات، ويجعلها حاضرة دوماً بالصوت والصورة، فلم يعد هنالك معنىً لأيّ حواجز زمنية أو جغرافية، طالما أنّه بكبسة زر تستطيع أن تكون في قلب المعركة ومشاركاً إلكترونياً مع تلك المجموعات في صراعاتها وحتى حواراتها الداخلية، ما سهل عملية التجنيد والتنظيم والتعبئة في أوساط التيار، وخلق ظواهر أخرى، مثل «الذئاب المنفردة»، مثلما يغلب على حالة كل من رياض عبدالله، الذي قتل الكاتب الأردني ناهض حتر، أو الضابط أنور أبو زيد، الذي قتل مدرّبين أميركيين يعملون في قاعدة عسكرية،[1] أو حتى محمود مشارفة، الذي اقتحم مبنى المخابرات في مخيم البقعة للاجئين، وقام بقتل عدد من الأفراد، وفسّر ما قام به لاحقاً بأنّه استجابة لنداء أبي محمد العدناني، الناطق الرسمي باسم تنظيم الدولة الإسلامية حينها.

العالم الافتراضي بصورة خاصة مواقع التواصل الاجتماعي تمثّل اليوم عاملاً مساعداً رئيساً لعوامل التجنيد والتأثير لدى هذه المجموعات، وهو الأمر الذي أصبح ممكناً ومحتملاً بصورة كبيرة، مع النسبة الكبيرة من مستخدمي الإنترنت من الأردنيين، ومع انتشار الهواتف الذكية والتطبيقات التي تجعل من عملية الاتصال والتواصل بين المجموعات أكثر بُعداً عن أعين الأمن وأكثر سهولة ويسراً، وربما من

(1) الضابط الأردني أنور أبو زيد: كان في رحلة إلى الجنة أو النار، صحيفة الشرق القطرية، 12-11-2015.

الملاحظات المفيدة هو أنّ كثيراً من قضايا الترويج لـ «داعش» ودعايته الإعلامية التي قدّمت إلى القضاء العسكري الأردني، تمثّلت بـ «مجموعات الواتس أب»، وتتكون من أصدقاء أو صديقات أو أقرباء أو قريبات يؤسسون مجموعات مغلقة على «الواتس أب» ويتناقلون من خلالها إصدارات ودعايات وأفكار التنظيم.[1]

7. لماذا؟..

ربما السؤال الأكثر أهمية، والمطروح دوماً، هو: لماذا؟ يصبح شخص معين أو محدد متطرفاً وإرهابياً؟ أو لماذا يلتحق شباب أردنيون بهذه المنظمات في الخارج؟ ولماذا نفّذ مئات الأردنيين عمليات انتحارية، وهم يقاتلون إلى جوار تلك المنظمات؟ ولماذا قام عدد آخر منهم بتنفيذ عمليات إرهابية بحق آخرين في الأردن؟..

فيما سبق تحدثنا عن «من هم الجهاديون؟» (السمات Profiling) «من أين؟» (الجغرافيا الأردنية) و «كيف» (ديناميكيات التجنيد) والأبعاد السوسيولوجياة والسيكولوجية، لكن يبقى السؤال المهم: ما هي العوامل التي دفعت بهؤلاء الأشخاص إلى اختيار هذا المسار، هل هي ظروف نفسية أم اجتماعية أم سياسية أم مرتبطة بالأيديولوجيا الدينية، أم بالصراعات التي تغيّر طبائع الناس؟!.

هذا السؤال كان مدار جدل أردني وعربي (خلال الأعوام الماضية) تكوّن انعكاساً لصدمة صعود تنظيم داعش وقدرته غير المسبوقة على التجنيد، والطفرة التي أحدثها في عالم التطرف والإرهاب، ويمكن معاينة اتجاهين رئيسين في التفسير:

(1) يقدّم الباحث فرايزر أيغرتون مقاربة مهمة عن دور العالم الافتراضي في إلغاء المسافات الزمنية والجغرافية وتعزيز بناء السردية المثالية أو الهوية المتخيلة لدى «الجهاديين»، ما نقل الدعاية الإعلامية والسياسية وآليات واستراتيجيات التجنيد إلى مستوىً مختلف تماماً عما سبق، ويغلّب المؤلف هذا الدور الحيوي للعالم الافتراضي في بناء السرديات التي تقف وراء صعود «السلفيات الجهادية» على العوامل التي حازت على اهتمام الباحثين والسياسيين في الغرب في تفسير صعود هذه التيارات، والتي ركّزت على موضوع الهوية وصعوبات الاندماج لدى «الجهاديين» في العالم الغربي، وهي العوامل التي يقلل من شأنها ويشكك فيها أيغرتون في مقاربته.

انظر إلى: فرايزر أيغرتون، الجهاد في الغرب: صعود السلفية المقاتلة»، ترجمة فادي ملحم، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2017، ص 77-200.

الاتجاه الأول ركّز على الموروث الديني والفقهي، والخطاب المتداول وأنكر لدرجة كبيرة دور الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أو التي نطلق عليها مصطلح «العامل الموضوعي»، ومن هنا صدرت دعوات عديدة لإصلاح التعليم والمناهج والتركيز على خطب الجمعة والجمعيات الإسلامية الدعوية... وغيرها.

أمّا الاتجاه الثاني فيؤكّد على دور الظروف الموضوعية، باختلاف أوزانها وترتيبها من مجتمع إلى آخر، في إيجاد البيئة الخصبة للراديكالية والتشدد، وتحضير الفرد أو الأفراد نفسياً ومجتمعياً للوصول إلى مرحلة غاضبة ساخطة من الوضع القائم، فيأتي لاحقاً العامل الأيديولوجي أو الديني ليقدّم «الغطاء الشرعي» أو «الإطار الفكري» لهذه الراديكالية الموضوعية، ومن هنا ظهر مصطلح «أسلمة الراديكالية»، في مقابل مصطلح «ردكلة الإسلام».[1]

في الحالة الأردنية يبدو التمييز وفك الاشتباك بين العاملَيْن: الموضوعي والأيديولوجي- الديني، ليس أمراً سهلاً أو ممكناً، ربما يعود ذلك إلى حالة «التزاوج العضوي» بينهما، فهنالك عوامل موضوعية يمكن الإمساك بها بقوة في مسألة الدفع نحو الراديكالية والتشدد، وهنالك أيضاً خطاب قوي ومؤثّر لـ «التيار الجهادي»، مع تواجد أقطابه المنظّرين على مستوى العالم، في الأردن؛ مثل أبو قتادة والمقدسي وغيرهم، ما يسهل - في كثير من الأحيان- دور تلك العوامل، بل ربما يكون - في أحيان أخرى- الخطاب الأيديولوجي هو المتغير الأول والثانوي في حالات أخرى.

دعونا، إجرائياً، أردنياً، نحاول - من خلال معايشتنا البحثية لهذه الدراسة- إعادة فك وتركيب العديد من الحالات وتشريحها لاستكشاف العوامل الموضوعية والفكرية، التي من الممكن أنّها أثّرت في العديد من الشباب ودفعتهم إلى الذهاب نحو ذلك التيار داخلياً أو خارجياً؟

(1) استخدم باحثون متعددون مصطلح «أسلمة الراديكالية» في إشارة إلى أنّ العامل الموضوعي - المرتبط، بظروف وشروط واقعية، كأزمة الهوية أو الشعور بالسخط من الواقع الموجود- هو الأساس، وهو الذي يخلق النزوع الراديكالي، وليس «النص» أو «الموروث الديني»، انظر على سبيل المثال»: أوليفيه روا، الجهاد والموت، ترجمة صالح الأشمر، دار الساقي، بيروت، ط1، ص 71-123.

ذكرنا سابقاً أنّ هنالك مناطق جغرافية أكثر من غيرها شكّلت بيئة خصبة، مثل الرصيفة والزرقاء ومخيمات للاجئين الفلسطينيين في الأردن (مثل: مخيم إربد؛ ومخيم شنلر؛ ومخيم الوحدات؛ أو عمّان الشرقية عموماً) وهي مناطق يغلب عليها الطابع الأردني- الفلسطيني، وربما ذلك يحيلنا إلى شقين رئيسين: الأول عوامل مرتبطة بالقضية الفلسطينية نفسها، التي بقيت جزءاً رئيساً من هوية الأجيال الفلسطينية التي وُلدت بالمنفى، أو التي تحلم بالعودة إلى «أرض الوطن»، لكنّها فقدت الثقة بالأحزاب والأنظمة والقوى الموجودة، وأصبحت تبحث عن بديل من خارج هذا الواقع المرفوض. والثاني مرتبط بأزمة الهوية والمواطنة التي يعيشها الأردنيون من أصل فلسطيني، في الأردن، ما بين شعورهم بأنّ الأردن وطنهم وفي الوقت نفسه وكأنّ الدولة في أحيان متعددة، ليست لهم، بل هي للشرق أردنيين، الذين يمثلون العنصر الرئيس بنسبة تصل إلى 90٪ في المؤسسات العسكرية والأمنية والمواقع السيادية والسياسية.

هذا الاغتراب عن «الدولة»، والحنين إلى «القضية»، وخيبة الأمل من «الواقع السياسي»، وإمكانية التغيير، بالتزاوج مع أسئلة الهوية، وإذا أضفنا إليها في المخيمات والمناطق الشعبية عوامل أخرى، مثل البطالة والحرمان الاجتماعي، أو الشعور بغياب العدالة الاجتماعية، فإنّها جميعاً تصنع عربة ذات دفع رباعي لانتقال أفراد أو حتى فئات وشرائح عديدة خارج السياق السياسي- الاجتماعي الراهن لتبحث عن «البديل»، أو عن أفق مغاير تماماً لما هو موجود، مثل هذه الشروط الحادّة تجعل بديلاً من «داخل العلبة» السياسية الموجودة أمراً غير مطروح، لذلك يكون النزوع الراديكالي أكثر جاذبية بخاصة لدى جيل الشباب، من لديهم رغبة أكبر بالتغيير أو ميل لرفض الموجود المتاح. وهنا يأتي دور «السردية الجهادية» التي تنظر إلى النظام بوصفه كافراً متخاذلاً، غير عادل، بعيداً عن الإسلام، لتوفّر التفسير الملائم لهذه النزعة الراديكالية، وتعطيه المشروعية الدينية والثقافية، وتضعه ضمن قالب جديد: اجتماعياً؛ وسياسياً؛ ورمزياً.

تلك «المعادلة» أو «الوصفة» لعملية «صناعة» الجهادي، قد تنطبق بمستويات ونسب مختلفة ومتعددة على نسبة من «الجهاديين» الأردنيين، لكنّهم – أي الجهاديين أنفسهم– ينقسمون إلى درجات ومستويات، بعضهم أقرب إلى الجانب الثقافي والفكري، مثل: «الصف القيادي الجديد»، الذي تحدثنا عنه سابقاً، ممن أنهوا دراساتهم العليا، أو حصلوا على تخصصات وشهادات جامعية تنمّ عن درجة من التعليم، فمثل هؤلاء هم نخبة مقتنعة بدرجة كبيرة، وبوعي، بالأيديولوجيا الجهادية وبالخيارات الراديكالية، وهي شريحة صغيرة في «التيار السلفي الجهادي»، أي تمتلك الأدوات المعرفية والفكرية والثقافية لتبرير الأيديولوجيا والقناعة بها.

في المقابل؛ هنالك فئة أو شريحة متأثرة تماماً بهذا الفكر، من دون إدراك كامل له، إذ كان أقرب إلى «اللباس» الذي يرتديه هذا الشخص، ليشعر أنّه المناسب لحالته النفسية في مواجهة الواقع الذي يعيش فيه، أو ينسجم مع ميوله النفسية الراديكالية والغاضبة من الحالة الراهنة. وهنا نجد شريحة واسعة، بخاصة من الأجيال السابقة من «الجهاديين»، من غير المتعلمين والدارسين، ومن أصحاب المهن الحرفية، أو المتعطلين عن العمل، أو من الفقراء، أو الطبقة الوسطى الدنيا، ممن يعانون من الظروف الاقتصادية، ويشعرون بصعوبة التأقلم معها، وفي الوقت نفسه يرون أنّ هنالك ظلماً في النظام السياسي، لذلك وجدنا تعليقات دائمة من ذويهم أو أصدقائهم تشير إلى محدودية ثقافتهم الدينية والفقهية وإطلاعهم على النقاشات الإسلامية بخصوص الخيارات الفكرية والدينية التي ذهبوا إليها، فهم غالباً اكتفوا ببعض «النصوص» الدينية التي تمثّل خيارهم، مثل بعض آيات القرآن المرتبطة بالحكم الديني وتكفير الحكم بغير الشريعة الإسلامية، أو تلك التي تجعل من الجهاد فريضة في المقاومة والدفاع عن أراضي المسلمين، وفتاوى تؤيد هذا الموقف، من دون وجود قاعدة علمية مقنعة وقوية لديهم تسند هذا «الخطاب الأيديولوجي».

على سطح موازٍ من المشهد المجتمعي الأردني، هناك مجموعات انضمت لهذا الفكر من المحافظات الأردنية– الشرق أردنيين، بخاصة السلط والكرك ومعان، وأيضاً من يقطنون محافظة الزرقاء، من أبناء هذه العشائر، وكما ذكرنا هناك نسبة معتبرة من السلط والكرك من المتعلمين ومن الطبقة الوسطى، فلم تعد الصورة النمطية عن البطالة والفقر وعدم التعليم تنطبق على أبناء هذا التيار، في هذه المحافظات.

إذا حاولنا التمعّن في الشروط الموضوعية لتشكّل هذه المجموعات – الجهاديين الشرق أردنيين– سنجد أنّهم جزء من حالة راديكالية أكبر في أوساط الشرق أردنيين، بدأت تظهر في الأعوام الماضية، منذ قرابة عقدين من الزمن، ساهمت في انبلاجها التحولات الاقتصادية المرتبطة بتراجع قدرة الدولة على التوظيف، وتراجع دور القطاع العام، الذي مثّل العمود الفقري لتوظيف هذه الشريحة الاجتماعية العريضة، وتراجع موازٍ لقيمة مداخيلها الشهرية مقارنةً بارتفاع الأسعار، ما يجعل من نسبة كبيرة من هذه الشريحة تحت طائلة الظروف الاقتصادية والمالية السيئة، وفي مواجهة شبح البطالة، وغياب حيوية القطاع الخاص في المحافظات البعيدة، مقارنةً بفعاليته في عمان والزرقاء وإربد، مع ثقافة مرتبكة في العلاقة مع الدولة، ولدينا نسبة كبيرة من الشرق أردنيين، من عائلات تعمل في القطاع العام، أصبحوا اقتصادياً أقرب إلى الطبقة الوسطى الدنيا التي تكافح الانزلاق إلى مرتبة الفقر.[1]

من السهولة بمكان إدراك أنّ هنالك مشكلات مركبة في علاقة الشرق أردنيين بالنظام، وقد برزت إلى السطح تجلياتها خلال الأعوام الأخيرة، بخاصة مع انبلاج الثورات الشعبية العربية بالتوازي مع الحراك الشعبي الداخلي، الذي أخذ في جزء منه طابعاً راديكالياً، بخاصة لدى أبناء العشائر، مثل: مجموعة المتقاعدين

(1) ما نزال نحتاج إلى دراسات اقتصادية– اجتماعية معمقة لإدراك التحولات البنيوية التي حدثت لدى هذه الشريحة، خلال العقود السابقة، من الفقر والاعتماد على الفلاحة والرعي إلى دور جوهري ورئيس للدولة في عملية التوظيف والترقية الاجتماعية، ثم تراجع دور الدولة.

العسكريين؛ ومجموعة الـ36؛ ومجموعات أخرى مثل حراك حي الطفايلة، وكان ذا سقف عالٍ في الحراك الشبابي، الذي برز خلال حقبة الثورات الشعبية العربية، وتبنت هذه المجموعات شعارات وخطابات تسم النظام بالفساد، لتفسير الظروف الاقتصادية الصعبة.

مع ذلك؛ فإنّ الخطاب «السلفي الجهادي» ما يزال هامشياً على صعيد اجتماعي وثقافي، وهذه المجموعات لم تمتلك في أغلب المناطق والمحافظات الشرعية المجتمعية، ولا الحاضنة الاجتماعية، وإن كانت هنالك إرهاصات على تشكّلها، في الآونة الأخيرة، في بعض المناطق. لكن ما أعطى قوة وحضوراً أكبر لهذا التيار في الأردن خلال الأعوام الماضية هي الأحداث في سورية والعراق، وصعود تنظيم الدولة الإسلامية الذي تمكّن من إحداث اختراق كبير في الدعاية والتجنيد على أكثر من مستوى، في مقدمتها استحضار رمزية الخلافة والنموذج الإسلامي في الحكم والدولة، وهو أمر لم تستطع أغلب الحركات الإسلامية التي نادت به أن تترجمه على أرض الواقع، فخدمت هذه الرمزيات كثيراً دعاية التنظيم وقدرته على التجنيد، مع كفاءته الملحوظة في العالم الافتراضي، فأصبحت الدعاية كبيرة ومؤثرة لمثل هذا النموذج الجديد في المنطقة العربية.

تزاوج مع ما سبق أنّ التنظيم أتقن توظيف الأزمة السنّية في المنطقة، وهي مرتبطة بأزمة الدولة العربية السنّية، وتمادي النفوذ الإيراني، واستثمر حالة الغضب والسخط لدى الشارع العربي مما يحدث من مجازر وقتل وتعذيب، فكان قادراً على نسج سردية قوية من الأحداث في ثنايا خطابه متخمة بالصور الواقعية (المنقولة عبر الفضائيات والمواقع الافتراضية والتواصل الاجتماعي) تقوم على تقديم التنظيم نفسه بوصفه المدافع عن ملايين السنّة الذين يواجهون تحدياً هوياتياً وجودياً، مع عدم قدرة الدول

العربية على ملء الفراغ الاستراتيجي في المنطقة، وفي ظل تخاذل إدارة الرئيس الأميركي أوباما عن مواجهة النظام السوري.[1]

كل ذلك خلق حالة تعبئة نفسية في المنطقة العربية وتوتراً شديداً، ودفع بشريحة اجتماعية واسعة من الشباب العربي إلى محاولة القيام بأي عمل، لتخفيف الضغوط النفسية، التي يتعرضون لها، ومن ذلك السفر إلى تلك المناطق والاندماج في تلك المنظمات، مثل تنظيم الدولة أو حتى «جبهة النصرة»، وكان تنظيم الدولة (داعش) هو الأكثر تأثيراً وقدرة على جذب الشباب، لتفوقه في الدعاية والتجنيد والخطاب على «النصرة» المرتبكة في خطابها وهويتها.

هذه الظروف الإقليمية انعكست بقوة على الداخل الأردني، ولم تستقطب فقط شباباً من أبناء «التيار السلفي الجهادي»، بل حتى من التيارات والقوى الأخرى، والشباب ممن لا يمتلكون خلفية عميقة في التيارات الإسلامية، كما ذكرنا سابقاً. فإذا تجاوزنا الحلقات الصلبة من «السلفيين الجهاديين». أي أولئك الذين يؤمنون بقوة بالأيديولوجيا الجهادية، فإنّ هنالك نسبة كبيرة ولجت إلى «السلفية الجهادية» وتجنّدت فيها، بعدما انضمت إلى «جبهة النصرة» أو تنظيم «داعش»، وليس قبل ذلك، فحدثت لها عملية غسيل دماغ Brain Washing متأخرة، بخاصة من أبناء جماعة الإخوان

(1) تظهر استطلاعات الرأي حجم التحوّل في الموقف الشعبي الأردني من إيران وحزب الله والتأثر بالأزمة السورية، خلال الأعوام الأخيرة، بما يمكن أن نطلق عليه انقلاباً كاملاً في الموقف، ففي استطلاع أجراه مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية، في العام 2015، أفادت نسبة ٪71 من العينة الوطنية بأنّ سياسات إيران تمثّل تهديداً للاستقرار في المنطقة، وتأتي مباشرةً بعد إسرائيل (78 ٪). والمفارقة أنّها –أي إيران– أصبحت تتجاوز الولايات المتحدة (فقط 64 ٪)، بينما تأتي تركيا في ذيل القائمة بنسبة 22 ٪. أمّا النظام السوري، فنال هنا نسبة 54 ٪. أما حزب الله فوصلت نسبة من تصنّفه بأنّه منظّمة إرهابية إلى 66 ٪، أي أغلبية مطلقة، فيما كانت في الاستطلاع السابق (شباط «فبراير» (2015) قد تعدت النصف إلى 5.5 ٪. ويبرز هذا التحوّل بصورة سافرة عند مقارنة هذه النسبة(66٪) بـ3 ٪ فقط كانت تعتبر الحزب إرهابياً قبل قرابة عشرة أعوام (2004)، فيما كان من يعتبرونه منظمة مشروعة حينها يصلون إلى 84 ٪؛ فتصوّروا حجم التحول الجذري الكبير في صورة هذا الحزب وزعيمه وإيران في منظور الرأي العام الأردني! على الأغلب، أنّ السبب المباشر الذي يقف وراء ذلك هو مشاركة الحزب في الحرب السورية الداخلية، وتبدد صورة المقاومة والممانعة، ليحل مكانها المشهد الطائفي والتبعية لإيران!

ويمكن ملاحظة بداية التحوّل في الموقف من الحزب عبر الرسم البياني للاستطلاع مع العام 2012. لكن هذا الموقف الشعبي الجديد أخذ مداه بصورة واضحة مع العام 2015؛ إذ تكرّست الصورة الجديدة بديلاً عن الصورة السابقة.

انظر إلى: قراءة الاستطلاع عبر: محمد أبو رمان، تحوّل جذري لدى الأردنيين، صحيفة الغد اليومية الأردنية، 4–5–2015.

المسلمين، الذين انتقلوا للقتال في سورية على أمل مساعدة السوريين، وتحت عنوان الجهاد، فكان غياب الإخوان المسلمين عن ساحة القتال في سورية، والبدايات غير الواضحة لـ «جبهة النصرة»، دافعاً للانضمام إليها، لكن هؤلاء الشباب أنفسهم بدأوا يغيرون أفكَارهم، مع مرور الوقت، ويتأثرون بخطاب «الجهاديين»، وينقلبون على أيديولوجيا الإخوان المسلمين، أو ينتقدونها في بعض الحالات.

ما يغيب عن إدراك كثير من الباحثين والمتخصصين في حقل الحركات الإسلامية والأصولية تحديداً، أنّ هنالك نموذجاً مثالياً في ثقافة كثير من المسلمين الدينية، وفي ثقافتهم الشعورية أيضاً، وهو حلم الدولة الإسلامية الطهورية، الملتزمة بأحكام الدين، التي تطبق الشريعة الإسلامية، وبدرجة أعلى من ذلك نموذج الخلافة، وهي «الهوية المتخيلة» التي أتقنها تنظيم «داعش»، فجذب أعداداً كبيرة. لأنّ هذا النموذج غازل ثقافة عميقة لدى شريحة اجتماعية واسعة من المجتمعات العربية، وحرّك نسبة منهم لمحاولة الالتحاق به، والحياة في ظل «دولة تحكم بالشريعة». وهنا يأتي دور العامل الأيديولوجي والخطاب الديني والموروث الفكري والفقهي، في اختراع هذه الهوية المتخيلة، المرتبطة بصورة ذهنية تاريخية، قد لا تكون وجدت أصلاً، لكنّها فاعلة في المخيال الاجتماعي نتيجةً لمناهج التدريس والخطاب الديني في المجتمع.

هذه الحيثيات ربما تفسّر، بدرجة كبيرة، انضمام آلاف الأردنيين إلى «التيار الجهادي»، أو التحاقهم بالجماعات المقاتلة في الخارج، لكنّ يبقى هناك سؤال عن «الانتحاريين» الأردنيين. أي الذين تجاوزوا مرحلة الانضمام إلى مرحلة القيام بعمليات انتحارية خلال اندماجهم مع تلك الجماعات، ونحن نتحدث في الحدّ الأدنى عن عشرات الأردنيين، ممن نفذوا هذه العمليات وتمّ الإعلان عنها من قبل هذين التنظيمين؟

إذا نظرنا في قصص مجموعة من الشباب الذين نفذوا هذه العمليات؛ سنجد أنّها مرحلة متقدمة من تأثرهم بـ «الفكر الجهادي»، ولأسباب عقائدية مرتبطة بمفهوم «الشهادة» بالمعنى الديني، وما يمثّله في عالم ما بعد الموت من مكانة كبيرة،

في النصوص الدينية، وقد عملت الماكنة الفقهية والفكرية لـ «التيار الجهادي» على تطويع مفهوم الشهادة ليقبل العمليات الانتحارية ويعتبرها جزءاً أساسياً من قيمة الشهادة ومعناها ودلالاتها. وربما ما يلاحظ هو أنّ تنظيم «داعش»، منذ أيام قائده الأول، أبو مصعب الزرقاوي، توسّع في هذه العمليات، على خلاف وجهات نظر أخرى، مثل المقدسي و «القاعدة العالمية»، من كانوا يفضّلون التحرّز في موضوع العمليات الانتحارية وعدم التوسع.

أصبحت العمليات الانتحارية علامة مسجّلة معروفة لكل من تنظيم «داعش» و «جبهة النصرة»، وجرى التوسّع فيها إلى درجة كبيرة، بل والاعتماد على هذا التكتيك لما له من تأثير فعّال في العمليات القتالية هناك، ونجد أسماء لأردنيين نفذوا عمليات انتحارية ضد قيادات من الشيعة، في أسواق للشيعة، ضد الجيش الحرّ في درعا، وضد القوات السورية أو العراقية أو حزب الله.

على صعيد موازٍ؛ نجح تنظيما «داعش» و «جبهة النصرة» في رسم صورة متخيلة للانتحاري بوصفه بطلاً شجاعاً يؤدي مهمة مقدّسة، وفي كثير من الأحيان يتبع تنفيذ العمليات الانتحارية تخصيص مقاطع فيديو خاصة عنه، ونشرها على المواقع الإلكترونية وموقع «اليوتيوب» وشبكات التواصل الاجتماعي، ونجد هناك عشرات من هذه المقاطع عن أردنيين نفذوا هذه العمليات الانتحارية تظهرهم بصورة البطل، الذي قام بمهمة نبيلة وضحّى بحياته دفاعاً عن السوريين أو العراقيين وفي مواجهة الأعداء.[1]

(1) قارن ذلك بـ «فرهارد خسرو خافار»، شهداء الله الجدد في سوسيولوجيا العمليات الانتحارية، ترجمة جهيدة لاوند، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، ط1، 2007، ص 54-117.

الفصل الثالث

السمات الاقتصادية والاجتماعية

الفصل الثالث

السمات الاقتصادية والاجتماعية

مقدمة

تقوم منهجية الدراسة على فكرة «كرة الثلج المتدحرجة» - كما أشرنا في مقدمة الكتاب- عبر الوصول من خلال وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي إلى الأسماء والمعلومات المتاحة، ثم ننطلق منها إلى توسيع قاعدة البيانات من خلال المقابلات الشخصية، الذين يرتبط بهم هؤلاء الأشخاص، فمثلاً إذا عرفنا (س) من الأشخاص المقاتلين في سورية، يمكن - في كثير من الأحيان - أن نعرف آخرين عبر المتواصلين على صفحته، أو قائمة أصدقائه، والتعرف على آخرين من التيار، من خلال صفحاتهم الخاصة، أو معارف آخرين يعرفون هذا الشخص يتم التواصل معهم، وهكذا على الصعيد الاجتماعي، فإنّ بعض الأعضاء الناشطين في السلفية الجهادية يمكن أن يقودوا الباحثين إلى أسماء عديدة ويسهّلوا عملية الاتصال بالأشخاص المعنيين أو الدوائر القريبة منهم، للوصول إلى المعلومات المطلوبة عن الأشخاص المعنيين.

الأداة الثانية - التي اعتمدنا عليها في هذا الفصل أيضاً- تتمثّل برصد العديد من الحالات التي أحيلت إلى محكمة أمن الدولة وتم متابعة هذه الحالات وجمع المعلومات عنها من خلال مئات لوائح الاتهام أو من خلال الأحكام التي صدرت بحق المئات من هذه الحالات، واستكمال المعلومات عنهم من خلال الوسائل التي تم الإشارة إليها سابقاً، أو من خلال بعض المحامين الذين ترافعوا في هذه القضايا.

في المحصلة بلغ العدد الإجمالي لهذه الدراسة 760 «جهادياً أردنياً»؛ أي من ينتمون إلى التيار السلفي الجهادي، من بينهم 190 شخصاً ممن قتلوا في الخارج مع هذه الجماعات،

و 49 من الذين ما زالوا يقاتلون خارج الأردن حتى إعداد هذه الدراسة، ويشكل هذا العدد 31.4٪ من إجمالي الحالات التي تم جمع البيانات حولها. أما بقية الأشخاص في قاعدة البيانات هذه، فهم الذين انخرطوا بأعمال عنيفة أو التحقوا أو حاولوا الالتحاق بالجماعات المتطرفة أو الذين قاموا بسلوكيات مخالفة لقانون مكافحة الإرهاب.

هذه الحالات خضعت للمعالجة الإحصائية الممكنة، بعد أن تم جمع المعلومات الخلفية عن كل شخص منهم. ومن الجدير الإشارة إليه أننا لم نتمكن من جمع المؤشرات كافة لكل هذه الحالات، فالمؤشرات التي تم جمع المعلومات حولها هي: العمر؛ المكان الجغرافي (محافظة، مدينة، قرية)، والمستوى التعليمي؛ والحالة العملية (يعمل/ لا يعمل)؛ والمهنة، وقطاع العمل؛ والتهمة (للحالات داخل الأردن)؛ والتنظيم الذي ينتمي إليه الشخص. إذ أننا لم نتمكن من جمع بعض المؤشرات عن عدد من الحالات.

بعد ذلك من الضروري التأكيد على أنّ هذه الدراسة الإحصائية والنتائج المترتبة عليها اعتمدت، بدرجة كبيرة، على ما توافر من معلومات عن الحالات المدروسة، لذلك هي تمثّل مؤشرات وإشارات على حالة هذا التيار وسماته وخصائصه، ولا تعدّ بالضرورة من الناحية العلمية صارمة، لأنّ هنالك معلومات ومؤشرات أخرى كان صعباً الوصول إليها، نظراً لما هو معروف من حساسيات اجتماعية وأمنية ومخاوف متبادلة، رسمية وشعبية، مرتبطة بأي جهد علمي أو بحثي عن هذا التيار وحالته.

من زاوية ثانية، ولعدم وجود مصادر موثوقة 100٪ عن كثير من الحالات التي خضعت للمعالجة الإحصائية، مع غياب المعلومة الرسمية التفصيلية المؤكّدة، فقد حرصنا في الجهود البحثية التي أجريناها على القيام بالتوثق من أي معلومة تفصيلية من أكثر من مصدر، فعلى سبيل المثال إذا نقصت معلومات عن (س) من الموجودين في الجدول، نحاول الوصول إليها من خلال عائلته، ومواقع التواصل الاجتماعي، البيئة الاجتماعية الواسعة المحيطة، محامون عملوا على هذه القضايا.

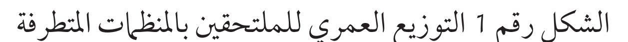
ذكرنا في ثنايا الفصل والتحليل أنّ هنالك نسبة من أبناء التيار «التكفيري»، إشارة

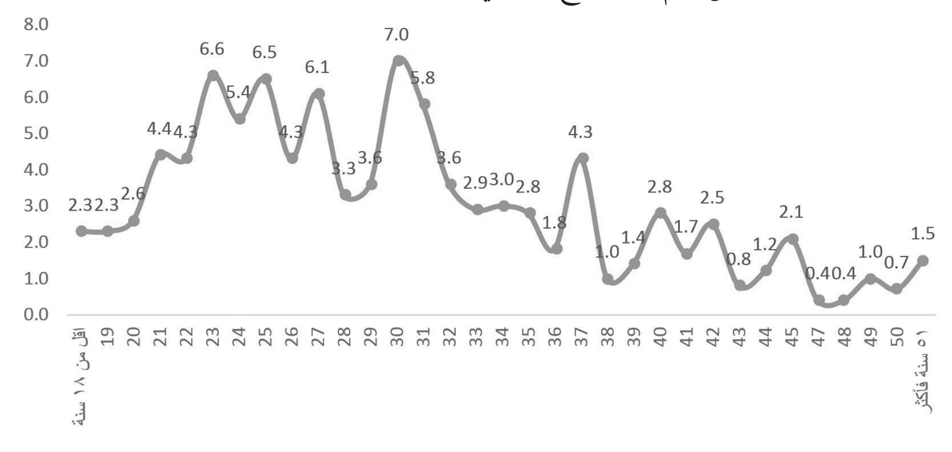
إلى ما يعرف بالأدبيات السياسية والإعلام بـ «التيار السلفي الجهادي»، من دون تحديد التزامهم الأيديولوجي التفصيلي، فيما إذا كانوا مع جبهة النصرة أو داعش، وذلك لأنّ الإشارة إليهم بهذا الوصف المجمل من قبل وثائق محكمة أمن الدولة، من دون وجود تفصيلات أكيدة فيما كانوا أقرب فكرياً إلى داعش والنصرة، مع أنّ هذا الوصف المجمل لا ينفي بالضرورة وجود ميول فكرية أو عاطفية لديهم لهذا التنظيم أو ذاك.

1. العمر والحالة الزواجية

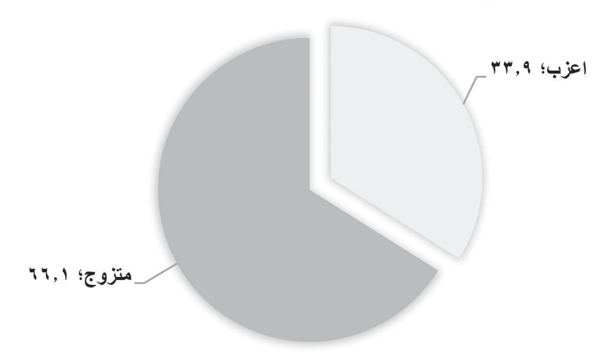
تشير البيانات في الشكل رقم (1) إلى أن الالتحاق بالتنظيمات المتطرفة توزع على جميع الفئات العمرية، ولكن يتضح أن الغالبية العظمى منهم تتركز في الفئات العمرية الشابة، إذ يتركز ما يقارب 77٪ منهم في الفئات العمرية دون الثلاثين عاماً، وما يقارب الثلث في الأعوام الخمسة والعشرين فما دون.

لذلك يمكن القول: إن الالتحاق بالمنظمات المتطرفة هي ظاهرة شبابية، وإن توزعت على الفئات العمرية كافة. والذي قد يدل على أن الأجيال الشابة انجذبت لهذه التنظيمات المتطرفة في سورية والعراق، بينما الفئات العمرية الأكبر تعكس الانتماء الفكري والسياسي لهذه التنظيمات في فترة سابقة، كذلك يدل الشكل رقم (2) على أن ثلثي هذه الحالات هي من المتزوجين والثلث الباقي من العزاب.


الشكل رقم 1 التوزيع العمري للملتحقين بالمنظمات المتطرفة




الشكل رقم 2 الحالة الزواجية للملتحقين بالمنظمات المتطرفة



2. المستوى التعليمي

الغالبية العظمى من الملتحقين بالمنظمات المتطرفة هم من حملة الشهادة الثانوية فما دون، بينما توجد نسبة وازنة من الذين لديهم تحصيل علمي أعلى من الثانوية، وبخاصة من حملة البكالوريوس. إضافة إلى وجود نسبة بسيطة من حملة الشهادات العليا. هذا يدل على أن هذه التنظيمات تضم في عضويتها الفئات الحاصلة على تعليم متقدم، وتلك التي هي من ذوي التحصيل المتدني. وهذا يعكس طبيعة هذه التنظيمات المتطرفة من ناحية أهمية البعد الأيديولوجي والفكري لديها، وفي الوقت نفسه انخراط أو محاولة انخراط هذه التنظيمات بممارسة العنف والمشاركة بالعمليات الإرهابية سواء كان ذلك داخلياً أم خارجياً..

الشكل رقم 3 المستوى التعليمي للملتحقين بالمنظمات المتطرفة

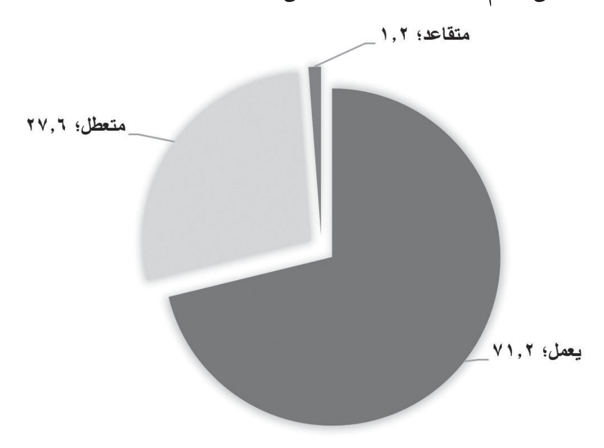


3. الحالة العملية وقطاع العمل

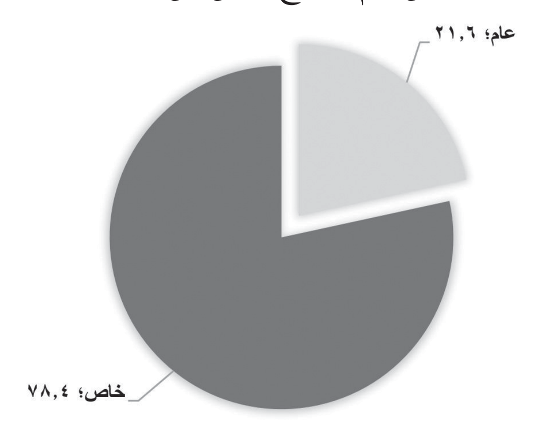
كما يتضح من الشكل اللاحق (الشكل رقم (4))، فإن غالبية الملتحقين بالتنظيمات المتطرفة كانوا يعملون قبل التحاقهم، ولكن بالمقابل هناك ما يزيد على ربع الملتحقين هم من المتعطلين عن العمل، ما يدل على أن الالتحاق بهذه التنظيمات ليس مقتصراً على فئة دون غيرها فيما يتعلق بالحالة العملية، كما يلاحظ ارتفاع نسبة المتعطلين عن العمل مقارنة بالمعدل الوطني للبطالة في الأردن والذي يشير إلى استهداف هذه التنظيمات المتطرفة للفئات الهشة اقتصادياً أو اجتماعياً ومحاولة استقطابها.

أما فيما يتعلق بقطاع العمل، فبالرغم من أن أكثر من 70٪ من العاملين يأتون من القطاع الخاص، إلا أن هناك أكثر من خُمس الملتحقين بهذه المنظمات هم من موظفي القطاع العام والحكومي والذي يعكس طبيعة قدرة هذه التنظيمات الأيدولوجية على الوصول إلى موظفي القطاع العام والمؤسسات الحكومية.(الشكل رقم (5))

الشكل رقم 4 الحالة العملية قبل الالتحاق بالمنظمات المتطرفة



الشكل رقم 5 قطاع العمل قبل الالتحاق

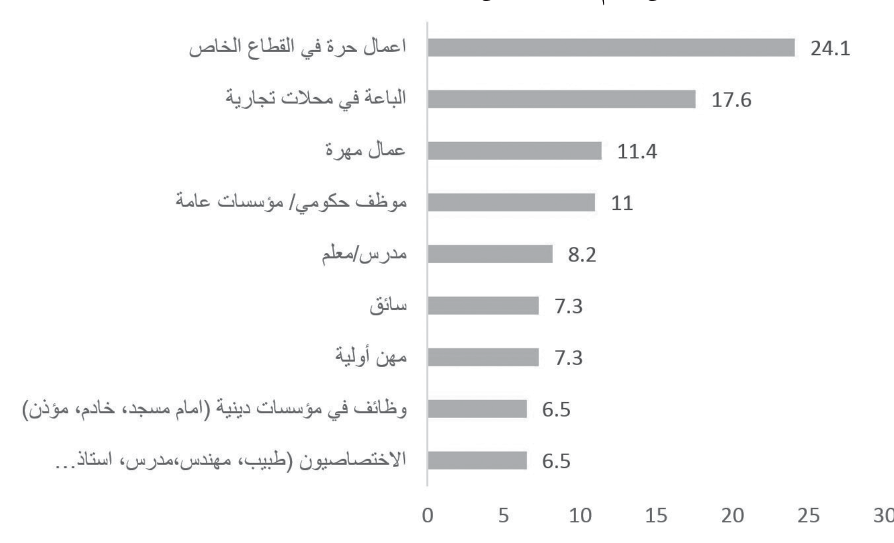


4. المهنة

يوضح الشكل رقم (6) أن الملتحقين بالمنظمات المتطرفة يتوزعون على قطاعات مهنية متعددة كانت أعلاها من الذين يعملون بالأعمال الحرة. أي الذين يمتلكون منشآت اقتصادية متعددة الحجم في القطاع الخاص، و 17.6٪ من العاملين أيضاً في المحال التجارية صغيرة أو متوسطة، وتوزعت بقية المهن على العمالة الماهرة وفئات الموظفين والمهن الأولية. يليها العاملون في المؤسسات التعليمية والدينية وذوو الاختصاص.

ومن الجدير بالذكر أن التوزيع المهني برز لدينا بشكل واضح في فئة مهمة يمكن تصنيفها في الطبقة الوسطى؛ وهي: (الأعمال الحرة 24.1٪؛ والاختصاصيون 6.5٪؛ والمدرسون 8.2٪؛ والموظفون في المؤسسات الحكومية 11٪). أما الفئة الأخرى؛ فيمكن تصنيفها في الطبقة العاملة والفئات المهمشة اقتصادياً مثل: الباعة في المحال التجارية 17.6٪؛ والعمال المهرة 11.4٪؛ والسائقين 7.3٪؛ والمهن الأولية 7.3٪) والذين يشكلون جزءاً مهماً من الاقتصاد غير الرسمي.

الشكل رقم 6 المهنة قبل الالتحاق بالمنظمات المتطرفة



5. التوزيع الجغرافي

تتركز ظاهرة الالتحاق بالمنظمات المتطرفة في ست محافظات أردنية، تستحوذ محافظة الزرقاء على نصيب الأسد منها 40٪. ومن اللافت أنه داخل المحافظة تتوزع مناصفة بين لواءي الرصيفة وقصبة الزرقاء ولا وجود لهذه التنظيمات بلواء الهاشمية .

وتأتي في الترتيب الثاني محافظة إربد، إذ تساهم بنسبة 17.4٪ من مجموع الملتحقين. واللافت أيضاً أنه داخل محافظة إربد يأتي ثلاثة أرباع الملتحقين من لواء قصبة إربد يليها لواء الأغوار الشمالية 13.7٪، بينما تكاد تنعدم مساهمة الألوية الأخرى من العضوية بهذه المنظمات. وتأتي محافظة البلقاء في المرتبة الثالثة 13٪. ويتركز الملتحقون في لواء قصبة السلط 72.3٪. ولواء عين الباشا 25.5٪. وتكاد تنعدم مساهمة الألوية الأخرى من المساهمة بالملتحقين بهذه المنظمات. أما العاصمة عمان؛ فتأتي بالمرتبة الرابعة، إذ تساهم بـ 12٪ من الملتحقين كافة، ويتركز الملتحقون من محافظة عمان في خمسة ألوية رئيسية هي بالترتيب: قصبة عمان 41.7٪؛ ولواء ماركا 24٪؛ لواء القويسمة 14.6٪؛ ولواء الجامعة 11.5٪؛ ولواء وادي السير 7.3٪، بينما لا تساهم الألوية الأخرى بملتحقين بهذه المنظمات .

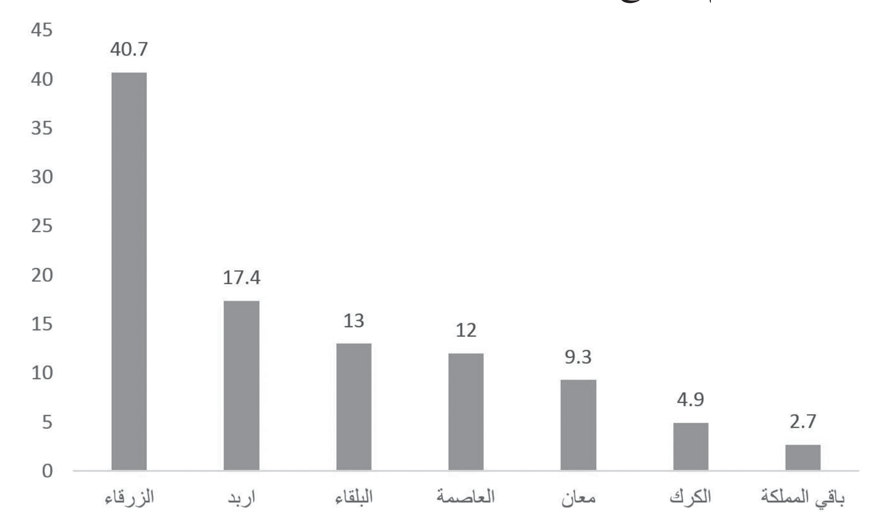
وبالمرتبة الخامسة كانت محافظة معان 9.3٪، ويكاد ينحصر الملتحقون بهذه المنظمات في لواء قصبة معان، ولا تساهم الألوية الأخرى بملتحقين بهذه التنظيمات.

وأخيراً، تساهم محافظة الكرك بـ 4.9٪ من إجمالي الملتحقين بالمملكة، إذ تتركز الغالبية في لواء قصبة الكرك.أما بقية المحافظات، فتكاد تكون مساهمتها شبه معدومة، إذ تخلو بعض المحافظات من الملتحقين بهذه المنظمات.

إنه لمن الأهمية بمكان ضرورة الانتباه في محاولة الفهم ومكافحة التطرف إلى ما يمكن تسميته بـ «إيكولوجيا التطرف» أو تركز الملتحقين في محافظات بعينها وألوية محددة داخل هذه المحافظات وبشكل خاص للتركيبة الاقتصادية والاجتماعية والظروف المعيشية والديمغرافية السائدة في تلك المناطق، إذ إن بعض المحافظات

تساهم بأضعاف نسبتها من السكان بالأردن، والبعض أقل بكثير من حجمها الكلي بالنسبة لسكان الأردن أو لا تساهم نهائياً بهذه التنظيمات.

الشكل رقم 7 توزيع الملتحقين بالمنظمات المتطرفة حسب المحافظات والألوية



الجدول رقم 1 مكان السكن (المحافظة/ اللواء)

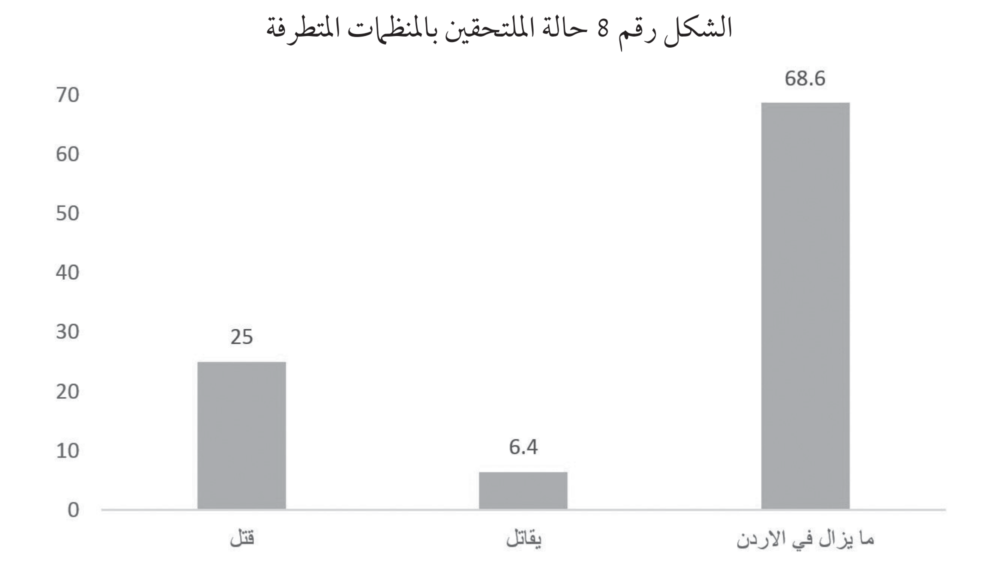
المحافظة	اللواء	العدد	٪
العاصمة	قصبة عمان	40	41.7
	ماركا	23	24.0
	القويسمة	14	14.6
	الجامعة	11	11.5
	وادي السير	7	7.3
	سحاب	1	1.0
	الجيزة	0	0.0
	ناعور	0	0.0
	الموقر	0	0.0
	المجموع	96	100.0

المحافظة	اللواء	العدد	٪
البلقاء	قصبة السلط	68	72.3
	الشونة الجنوبية	2	2.1
	دير علا	0	0.0
	عين الباشا	24	25.5
	ماحص والفحيص	0	0.0
	المجموع	94	100.0
الزرقاء	قصبة الزرقاء	133	42.8
	الرصيفة	178	57.2
	الهاشمية	0	0.0
	المجموع	311	100.0
مادبا	قصبة مادبا	0	0.0
	ذيبان	2	100.0
	المجموع	2	1.7
اربد	قصبة إربد	88	75.2
	الرمثا	4	3.4
	الكوره	7	6.0
	بني كنانة	1	0.9
	الأغوار الشمالية	16	13.7
	بني عبيد	1	0.9
	المزار الشمالي	0	0.0
	الطيبة	0	0.0
	الوسطية	0	0.0
	المجموع	117	100.0
المفرق	قصبة المفرق	4	80.0
	البادية الشمالية	0	0.0
	البادية الشمالية الغربية	1	20.0
	الرويشد	0	0.0
	المجموع	5	100.0
جرش	قصبة جرش	4	80.0

المحافظة	اللواء	العدد	٪
عجلون	قصبة عجلون	1	20.0
	كفرنجة	0	0.0
	المجموع	5	100.0
الكرك	قصبة الكرك	25	75.8
	المزار الجنوبي	2	6.1
	الاغوار الجنوبية	0	0.0
	القصر	6	18.2
	عي	0	0.0
	فقوع	0	0.0
	القطرانة	0	0.0
	المجموع	33	100.0
الطفيلة	قصبة الطفيلة	0	0.0
	بصيرا	1	100.0
	الحسا	0	0.0
	المجموع	1	100.0
معان	قصبة معان	67	100.0
	البترا	0	0.0
	الحسينية	0	0.0
	الشوبك	0	0.0
	المجموع	67	100.0
العقبة	قصبة العقبة	1	100.0
	القويرة	0	0.0
	المجموع	1	100.0

الغالبية من المشمولين بالدراسة أو قاعدة البيانات ما زالوا موجودين بالأردن 68.6٪، بينما قتل منهم 25٪ وما يزال منهم من يقاتل في سورية 16.3٪.

الشكل رقم 8 حالة الملتحقين بالمنظمات المتطرفة

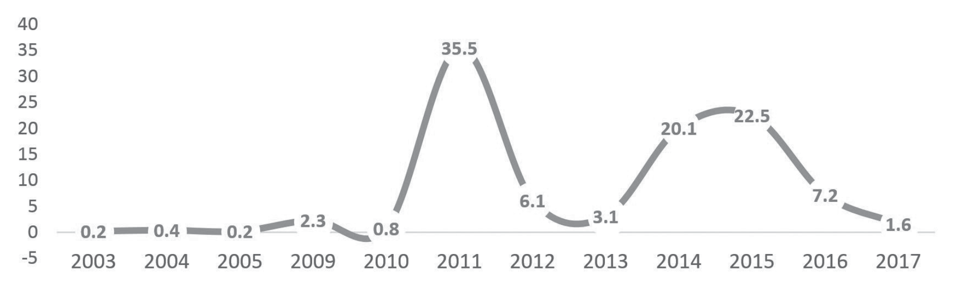


6. تاريخ الاعتقال

ينطبق تاريخ الاعتقال فقط على الموجودين بالأردن، إذ يلاحظ وجود نسب بسيطة من الذين تم اعتقالهم قبل اندلاع الحروب الأهلية في العراق وسورية، وهذا قد يكون مرتبطاً بنزاعات سابقة على ذلك، وبخاصة مع صعود تنظيم «القاعدة» في العراق بعد الاحتلال الأميركي للعراق، ولكن اللافت أن العام 2011 شكل صعوداً كبيراً بنسبة المعتقلين والذي قد يرتبط مباشرة بالأزمة السورية مع التراجع النسبي في حالات الاعتقال في العامين 2012 و 2013 ثم صعودها مرة أخرى في العامين 2014 و 2015 بالتزامن مع سيطرة «داعش» على مساحات شاسعة من العراق، وإعلان ما يسمى بـ«الدولة الإسلامية» وتراجع النسب مرة أخرى في العامين 2016 و 2017، ما يدل، بشكل واضح، على أن تنامي الالتحاق بهذه التنظيمات مرتبط بصعودها وتناميها إثر الصراعات الإقليمية في دول الجوار أكثر من ارتباطها بتحولات داخلية في الأردن. بالطبع؛ هذا لا يعني عدم وجود عوامل مساعدة لنمو هذه الظاهرة في الأردن، ولكن النمو في ناحية الالتحاق بهذه التنظيمات ترتبط، بشكل كبير،

بالتطورات الخارجية ولا سيما الدول المجاورة، وهذا يدل على طبيعة هذه التنظيمات والصيغة المذهبية التي اكتسبها الصراع في سوريا والعراق. ومن جانب آخر، قد يدل ذلك على تكتيف جهود الإرهاب بالأردن بأبعادها المختلفة.

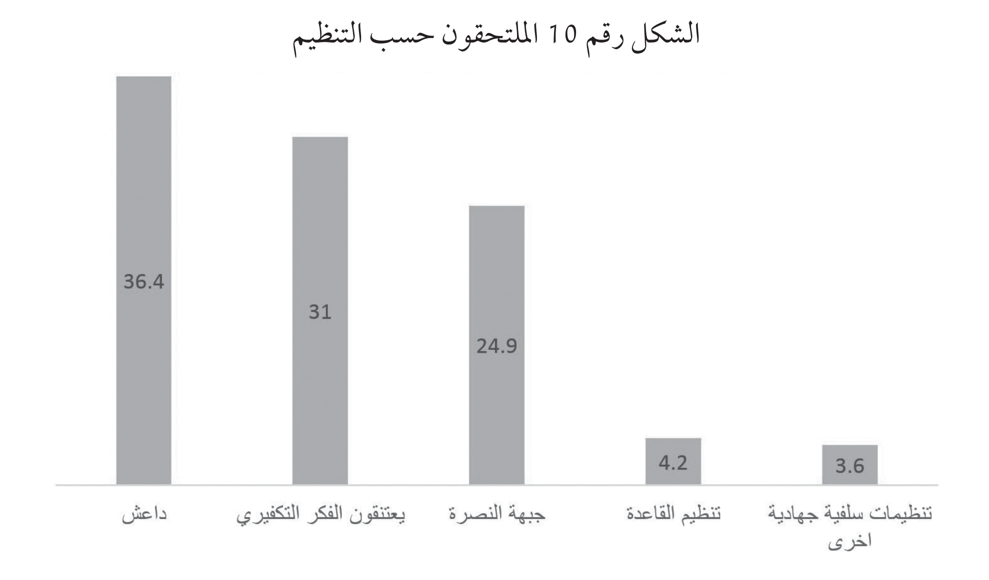

الشكل رقم 9 تاريخ الاعتقال للملتحقين بالمنظمات المتطرفة في الأردن



7. الملتحقون حسب التنظيم

يتضح من الشكل رقم (10) أن أكثر من ثلث الملتحقين ينتمون لتنظيم «داعش» (36.4٪)، بينما يوجد أقل من الثلث تقريباً من المنتمين للتيارات «السلفية الجهادية» في الأردن أو من معتنقي الفكر التكفيري بشكل عام. بالمقابل، فإن ربع الملتحقين هم من أعضاء «جبهة النصرة» ونسبة ضئيلة تنتمي لـ «القاعدة» ولتنظيمات سلفية جهادية خارج الأردن أخرى. هذه النتيجة تؤكد من زاوية اخرى، أن صعود ظاهرة التطرف العنيف في الأردن مرتبط بشكل اساس ومباشر بصعود التنظيمات المتطرفة في الدول المجاورة والمتفرعة تحديدا من تنظيم «القاعدة» والإشارة هنا لـ «داعش» و «جبهة النصرة»، ولكن بالمقابل، لا بد من الإشارة إلى أن «التنظيمات الجهادية» الموجودة في الأردن تتكفل المخزون الأساس للانخراط بهذه التنظيمات المتطرفة، وقد تكون شكلت السند أو الركيزة الأيدولوجية لها: تنظيراً وتجنيداً.

الشكل رقم 10 الملتحقون حسب التنظيم



7-1 العمر والتنظيم

ما يقارب نصف الشباب في الفئة العمرية 22 عاماً فما دون 47.6٪ هم من الملتحقين بتنظيم «داعش»، وأكثر من الثلث 36.2٪ كانوا ملتحقين بـ «جبهة النصرة»، ونسبة متدنية من المنتمين للفكر التكفيري بشكل عام، أي من لَا توجد عنهم إشارات واضحة فميا إذا كانوا أقرب إلى تنظيم داعش والنصرة، بخاصة في قضايا محكمة أمن الدولة، التي يشير فيها الحكم على الشخص بانتمائه إلى «التيار التكفيري» بصورة عامة. أما بالنسبة للفئة العمرية من الشباب 23-29 فأكثر من ثلثهم 38٪ ينتمون لتنظيم «داعش»، والثلث تقريباً هم من معتنقي الفكر التكفيري، وأكثر من الخمس ينتمون لـ «جبهة النصرة».

بالرغم من أن الالتحاق بـ «داعش» و «جبهة النصرة» موجود لدى كل الفئات العمرية، إلا أنه عندما ترتفع الفئة العمرية يلاحظ أن نسبة الملتحقين بتنظيم «داعش» و «جبهة النصرة» تنخفض نسبياً. وبالمقابل ترتفع نسبة الذين يعتنقون الفكر التكفيري بشكل عام كلما ارتفعت فئتهم العمرية بشكل عام. وإذا أخذنا بالاعتبار أن هذه

التنظيمات المتطرفة تحتاج للمقاتلين من جانب وللداعمين فكرياً وسياسياً من جانب آخر أنهما يستهدفان الفئات العمرية المختلفة، ومن جانب آخر قد تعكس الفترات الزمنية للالتحاق بهذا الفكر وهذه التنظيمات إذ قد يكون الأكبر عمراً قد التحقوا بفترات سابقة مقارنة بالفئات الشابة التي تم استقطابها بالسنوات العشر الأخرى، كنتيجة مباشرة للتطورات الإقليمية والعالمية.

الجدول رقم 2 العمر والتنظيم

	داعش	تنظيم القاعدة	جبهة النصرة	يعتنقون الفكر التكفيري	تنظيمات سلفية جهادية أخرى	المجموع
22 فما دون	47.6	1.0	36.2	12.4	2.9	100.0
23-29	38.0	4.7	22.6	32.1	2.6	100.0
30-39	31.5	3.3	22.1	38.0	5.2	100.0
40 فما فوق	31.3	7.1	19.2	38.4	4.0	100.0
المجموع	36.4	4.0	24.1	31.8	3.7	100.0

7-2 التعليم والتنظيم

أما فيما يختص بالتعليم؛ فنلاحظ أن حملة «التوجيهي فما دون» يتوزعون بشكل متساوٍ تقريباً على تنظيم «داعش» و «جبهة النصرة» والذين يعتنقون الفكر التنظيمي بشكل عام. كما يلاحظ زيادة نسبة الملتحقين بـ«داعش» مع ارتفاع المستوى التعليمي «الثانوي» 37.6٪ و «أعلى من الثانوي» 38.1٪ ولكن ما يقارب نصف الملتحقين بـ«داعش» هم من حملة الثانوية العامة، ويتوزع النصف الثاني بين فئة الأقل من الثانوي والأعلى منه. أما بالنسبة لـ «جبهة النصرة»، فنلاحظ تراجع نسب الالتحاق بالتنظيم مع ارتفاع المستوى التعليمي. وحول من يعتنقون الفكر التكفيري بشكل عام، فتبين أن ما يقارب النصف هم من حملة الشهادة الثانوية، والثلث تقريباً من الذين مستواهم التعليمي دون الثانوية. أي أن 80٪ هم من حملة الثانوية فما دون، والبقية من الفئة الأعلى من «التوجيهي».

والنتيجة الرئيسية المتعلقة بالتعليم والالتحاق بالتنظيمات المتطرفة، هي أن غالبية الملتحقين بهذه التنظيمات هم من المستويات التعليمية المتدنية مع وجود نسبة وازنة من الذين يحملون مستوى تعليمياً أعلى من الثانوية، وبخاصة من حملة الشهادة الجامعية الأولى، كما تم توضيحه سابقاً.

الجدول رقم 3 التعليم والتنظيم

	داعش	تنظيم القاعدة	جبهة النصرة	يعتنقون الفكر التكفيري	تنظيمات سلفية جهادية أخرى	المجموع
اقل من الثانوي	32.0	0.0	30.4	34.8	2.8	100.0
الثانوي	37.6	5.8	17.5	35.8	3.3	100.0
أعلى من الثانوي	38.1	4.8	27.9	25.9	3.4	100.0
المجموع	36.0	3.8	23.9	33.1	3.2	100.0

الحالة العملية والتنظيم

الذين يعملون يشكلون أغلبية 69.4٪ من قاعدة البيانات الحالية، بينما المتعطلون يشكلون 30.6٪، ونسبة الملتحقين بتنظيم «داعش» من العاملين هي أكثر من الثلث 35.5٪ ويشكل ذلك أكثر من ثلثي 67٪ الملتحقين «بداعش»، بينما الثلث المتبقي من المتعطلين. كذلك ربع العاملين ملتحقون بـ«جبهة النصرة» 25.1٪ وذلك يشكل 62.4٪ من كل الملتحقين بـ«الجبهة» بينما 30.3٪ من العاملين هم من الذين يعتنقون الفكر التكفيري، ولكنهم يشكلون 81٪ من كل الذين يعتنقون الفكر التكفيري.

أما بالنسبة للمتعطلين؛ فإنهم يشكلون 33٪ من كل الملتحقين بـ«داعش»، بينما يشكل 42.9٪ من الملتحقين بتنظيم القاعدة و 37.6٪ من الملتحقين بـ«جبهة النصرة» و 19٪ من الذين يعتنقون الفكر التكفيري. الاستنتاج الرئيسي هو أن العاملين يتوزعون

بدرجات متفاوتة على التنظيمات المختلفة، ولكن يشكلون غالبية الذين يعتنقون الفكر التكفيري. وبالمقابل؛ يتوزع المتعطلون أكثر على التنظيمات المتطرفة العنيفة 80.7٪، ويتواجدون بدرجة أقل لدى فئة الذين يعتنقون الفكر التكفيري بشكل عام.

الجدول رقم 4 الحالة العملية والتنظيم

	داعش	تنظيم القاعدة	جبهة النصرة	يعتنقون الفكر التكفيري	تنظيمات سلفية جهادية أخرى	المجموع
يعمل	35.5	3.8	25.1	30.3	5.2	100.0
متعطل	39.8	6.5	34.4	16.1	3.2	100.0
المجموع	36.8	4.6	28.0	26.0	4.6	100.0

3-7 قطاع العمل والتنظيم

بالرغم من أن غالبية الملتحقين بهذه التنظيمات هم من القطاع الخاص 78.4٪ إلا أنه يوجد ما يقارب الخمس 21.6٪ من القطاع العام. بالإشارة إلى الجدول (رقم 5) اللاحق، يلاحظ أن النسبة الأكبر 41.5٪ من القطاع ينتمون لـ «جبهة النصرة» وأكثر من الثلث بقليل 34.1٪ ملتحقون بـ «داعش» ونسبة أقل من الخمس 17.1٪ يعتنقون الفكر التكفيري. وهذا يعني أن الغالبية من القطاع العام بقاعدة البيانات هذه 79.4٪ ينتمون للتنظيمات المتطرفة العنيفة، والبقية من الذين يعتنقون الفكر التكفيري. بالمقابل، وفيما يتعلق بالقطاع الخاص، يلاحظ أن 61.25٪ ينتمون للتنظيمات المتطرفة العنيفة، والثلث تقريباً 33.5٪ يعتنقون الفكر التكفيري. وهذا يشكل 90٪ تقريباً من الذين يعتنقون الفكر التكفيري. والاستنتاج أن منتسبي القطاع العام يتخذون منحى الالتحاق بالتنظيمات المتطرفة العنيفة أكثر من القطاع الخاص، ويلاحظ أن لدى القطاع الخاص توزيعاً متبايناً بين التنظيمات العنيفة، ولكن تشكل الغالبية فيه من المنتمين للفكر التكفيري بشكل عام.

الجدول رقم 5 قطاع العمل والتنظيم

	داعش	تنظيم القاعدة	جبهة النصرة	يعتنقون الفكر التكفيري	تنظيمات سلفية جهادية أخرى	المجموع
عام	34.1	2.4	41.5	17.1	4.9	100.0
خاص	35.9	4.1	21.2	33.5	5.3	100.0
المجموع	35.5	3.8	25.1	30.3	5.2	100.0

4-7 المهنة والتنظيم

يعكس توزيع المهن المختلفة على التنظيمات أنماطاً مثيرة للاهتمام والمتابعة، إذ إن ما يقارب من ثلثي هذه الفئة ملتحقون بالتنظيمات المتطرفة، أما ما يقارب الثلث الآخر فينتمون للذين يعتنقون الفكر التكفيري بشكل عام. ونلاحظ النمط نفسه لدى فئة الاختصاصيين تقريباً، فالغالبية تنتمي للتنظيمات المتطرفة، وأكثر من الثلث للتنظيمات التكفيرية بشكل عام. ويعكس الباعة في المحال التجارية النمط نفسه للذين يتملكون اعمالا خاصة، وإن كانت هناك اختلافات بسيطة.

في حين يعكس العمال المهرة والسواقون نمطاً متشابهاً، إذ يتوزعون بين الالتحاق بـ «داعش» واعتناق الفكر التكفيري. أما العاملون بالمؤسسات الدينية فالغالبية العظمى منهم من الملتحقين بـ «داعش» و «جبهة النصرة» و «القاعدة» ولا وجود لهم لدى معتنقي الفكر التكفيِري نهائياً. ويتوزع المدرسون بالترتيب على تنظيم «داعش» و «الفكر التكفيري» ثم «جبهة النصرة».

وإذا ما نظرنا للبيانات بطريقة مختلفة، نجد أن أكثر المهن التحاقا بـ «داعش» هي المهن الأولية والوظائف في المؤسسات الدينية والمدرسين يليها أصَحاب الأعمال الحرة. أما «جبهة النصرة» فأكثر المهن التحاقاً بها هي الموظفون الحكوميون؛ والعاملون بالمؤسسات الدينية؛ والاختصاصيون. أما معتنقو الفكر التكفيري؛ فأكثر المهن التحاقاً بها هي: العمال المهرة؛ ثم السواقون؛ تليهم الاختصاصيون؛ فأصحاب الاعمال الحرة؛ والمدرسون أو المعلمون.

الجدول رقم 6 المهنة والتنظيم

	داعش	تنظيم القاعدة	جبهة النصرة	يعتنقون الفكر التكفيري	تنظيمات سلفية جهادية أخرى	المجموع
أعمال حرة في القطاع الخاص	37.3	3.9	23.5	31.4	3.9	100.0
الاختصاصيون (طبيب، مهندس، مدرس، أستاذ جامعه، ممرض)	15.4	7.7	38.5	38.5	0.0	100.0
الباعة في محال تجارية	34.2	2.6	26.3	28.9	7.9	100.0
عمال مهرة	29.2	0.0	16.7	50.0	4.2	100.0
مهن أولية	55.6	0.0	16.7	27.8	0.0	100.0
وظائف في مؤسسات دينية (إمام مسجد، خادم، مؤذن)	46.2	7.7	46.2	0.0	0.0	100.0
موظف حكومي/ مؤسسات عامة	28.6	0.0	47.6	14.3	9.5	100.0
سائق	29.4	17.6	5.9	41.2	5.9	100.0
مدرس/ معلم	43.8	0.0	12.5	31.3	12.5	100.0
المجموع	35.5	3.8	25.1	30.3	5.2	100.0
خاص	35.9	4.1	21.2	33.5	5.3	100.0
المجموع	35.5	3.8	25.1	30.3	5.2	100.0

7-5 المحافظة والتنظيم

أظهرت نتائج التحليل أنّ الملتحقين بتنظيم «داعش» كانوا الأعلى في محافظة الكرك، إذ شكلوا ما نسبته 88.5٪ من جميع الملتحقين في التنظيمات داخل المحافظة. أما في محافظة البلقاء فكانت نسبة الملتحقين بتنظيم «داعش» 53.6٪ ونسبة من يعتنقون الفكر التكفيري 29.8٪، وفي محافظة إربد كانت نسبة الملتحقين بتنظيم «داعش» 42.9٪ تليها من يعتنقون الفكر التكفيري ومن ثم الملتحقون بـ «جبهة النصرة».

وكان التواجد الأعلى لمن يعتنقون الفكر التكفيري في محافظة الزرقاء 45.6٪، تليها محافظة البلقاء، ومن ثم محافظة إربد.

في محافظة معان؛ كان أكثر الأشخاص المنتسبين فيها للتنظيمات الارهابية ينتمون لتنظيم «جبهة النصرة» 64.6٪، وتعكس بقية المحافظات التي كان أغلب الملتحقين بها لتنظيم «داعش» أو الذين يعتنقون الفكر التكفيري بشكل عام. كذلك؛ فقد جاءت أعلى نسبة دعم للذين يعتنقون الفكر التكفيري في محافظة الزرقاء، وبذلك تكون قد تميزت عن بقية المحافظات التي يتوزع الدعم بها على تيارات مختلفة، ومن ثم المنتسبين للتنظيمات السلفية الجهادية الأخرى 13.8٪.

الجدول رقم 7 المحافظة والتنظيم

	داعش	تنظيم القاعدة	جبهة النصرة	يعتنقون الفكر التكفيري	تنظيمات سلفية جهادية أخرى	المجموع
إربد	42.9	1.6	25.4	29.4	0.8	100.0
البلقاء	53.6	1.2	11.9	29.8	3.6	100.0
الزرقاء	27.2	6.3	18.8	45.6	2.2	100.0
العاصمة	40.5	5.1	27.8	20.3	6.3	100.0
الكرك	88.5	0.0	11.5	0.0	0.0	100.0
معان	12.3	4.6	64.6	4.6	13.8	100.0
باقي المملكة	50.0	0.0	35.7	14.3	0.0	100.0
المجموع	36.5	4.1	24.8	31.1	3.6	100.0

7-6 التهمة والتنظيم

فيما يتعلق بتهمة إثارة النعرات الطائفية الموجهة للأفراد، كان 91.7٪ منهم يعتنقون الفكر التكفيري، أما تهمة المحاولة/ القيام بأعمال إرهابية، فكان أيضاً 77.3٪ منهم يعتنقون الفكر التكفيري. وبالنسبة لتهمة الدعم والترويج لجماعات إرهابية، كان 85.9٪، منهم ينتمون إلى تنظيم «داعش». أما تهمة الالتحاق ومحاولة الالتحاق بجماعات إرهابية مسلحة، فكان 48.3٪ ينتمون إلى تنظيم «داعش»، و 41.1٪ ينتمون إلى تنظيم «جبهة النصرة»، ولتهمة حيازة وتصنيع مواد مفرقعه وحيازة أسلحة، كان 66.3٪ ينتمون إلى تنظيم «داعش»، و 19.4٪ لتنظيم «القاعدة».

وحول تهمة محاولة الدخول والخروج من المملكة بطرق غير مشروعة، كان 55.4٪ ينتمون إلى تنظيم «جبهة النصرة»، و 26.1٪ ينتمون إلى تنظيم «داعش»، وتهمة القيام بأعمال من شأنها تعريض مصالح الدولة والمواطنين للخطر، كان 58.2٪ ينتمون إلى تنظيم «داعش»، و 28.6٪ ينتمون إلى «جبهة النصرة». وبشأن تهمة المؤامرة بقصد القيام بأعمال إرهابية، كان 63.2 ينتمون إلى تنظيم «داعش»، و 21.1٪ ينتمون إلى تنظيم القاعدة.

الجدول رقم 8 التهمة والتنظيم

	داعش	تنظيم القاعدة	جبهة النصرة	يعتنقون الفكر التكفيري	تنظيمات سلفية جهادية أخرى	المجموع
إثارة النعرات الطائفية	3.5	0.9	3.8	91.7	0.0	100.0
المحاولة/ القيام بأعمال إرهابية	12.5	8.	7.8	77.3	1.6	100.0
الدعم والترويج لجماعات إرهابية	85.9	1.6	9.8	2.2	0.5	100.0
الالتحاق ومحاولة الالتحاق بجماعات إرهابية مسلحة	48.3	3.3	41.1	2.2	5.0	100.0
حيازة وتصنيع مواد مفرقعة وحيازة أسلحة	66.3	19.4	5.1	3.1	6.1	100.0
محاولة الدخول والخروج من المملكة بطرق غير مشروعة	26.1	2.2	55.4	0.0	16.3	100.0
القيام بأعمال من شأنها تعريض مصالح الدولة والمواطنين للخطر	58.2	3.3	28.6	0.0	9.9	100.0
المؤامرة بقصد القيام بأعمال إرهابية	63.2	21.1	5.3	7.9	2.6	100.0
المجموع	33.6	3.4	15.6	44.1	3.3	100.0

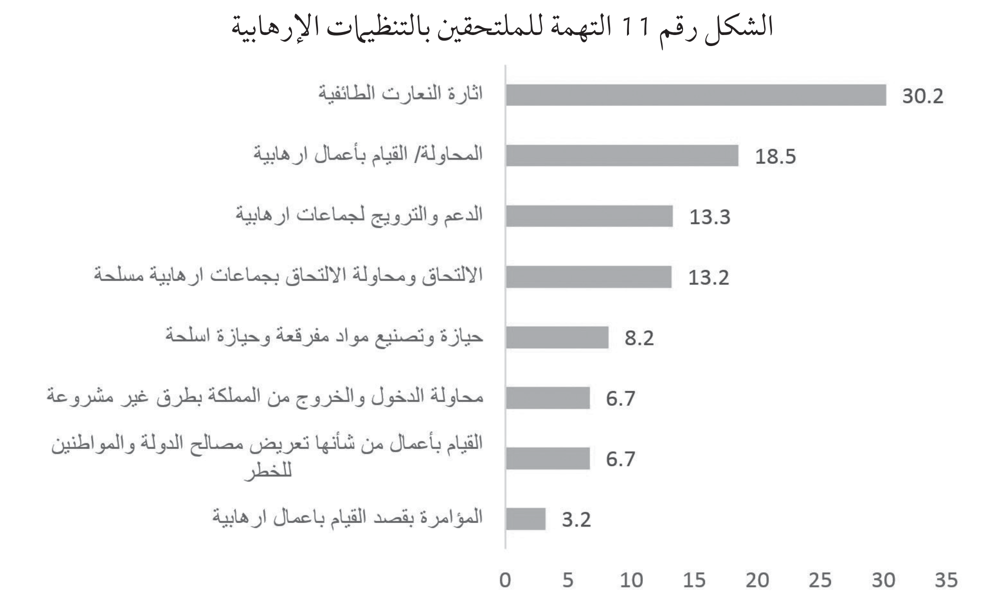
وبهذا يتضح أن تنظيم داعش حاز على نسبة أكبر من التهم المرتبطة بالترويج للتنظيم من جانب وفي تهم مرتبطة بسلوكيات عنيفة أو تقود للعنف. أما «جبهة النصرة»، فقد حازت على بعض التهم المرتبطة بالالتحاق أو محاولة دخول أو خروج الحدود للالتحاق بالتنظيم. أما معتنقو الفكر التكفيري، فقد تركزت تهمهم في إثارة النعرات الطائفية والمحاولة/ القيام بأعمال إرهابية داخل الأردن. توضح هذه النتائج أن أغلب التهم لـ «داعش» و «جبهة النصرة» كانت مرتبطة بالملتحقين بهذه التنظيمات القيام بأعمال إرهابية أو المحاولة والمساعدة بالقيام بأعمال إرهابية خارج الأردن بشكل أساس (الأردن مستهدف أيضاً، ولكن بدرجة أقل) بينما نجد أن معتنقي الفكر التكفيري كانوا يركزون أعمالهم داخل الأردن سواء كان من خلال إثارة النعرات أو محاولة القيام بأعمال إرهابية.

8. التهمة

توزعت التهم على النحو التالي: إثارة النعرات الطائفية لتستحوذ على أقل من ثلث التهم بقليل، بينما كانت بقية التهم «محاولة القيام أو القيام بأعمال إرهابية أو التحضير للقيام بأعمال إرهابية سواء كان ذلك داخل الأردن أم خارجه أو تقديم الدعم من خلال الترويج والدعاية لصالح التنظيمات المتطرفة». وفي هذا السياق؛ جاءت تهمة المحاولة أو القيام بأعمال إرهابية داخل الأردن بالمرتبة الثانية، تلتها تهمتا الدعم والترويج لجماعات إرهابية أو الالتحاق ومحاولة الالتحاق بجماعات إرهابية مسلحة.

أما بقية التهم؛ فتوزعت على محاولة الدخول والخروج من المملكة، والقيام بأعمال من شأنها تعريض مصالح الدولة والمواطنين للخطر. إن طبيعة التهم الموجهة تدل على أن أغلبها تهم مرتبطة بأعمال سواء كانت ترويجية أو فعلية لتحقيق مصالح تلك التنظيمات في الأردن من جانب، ودعم التنظيمات أو محاولة الذهاب للمناطق التي تتواجد بها هذه التنظيمات خارج الأردن من جانب آخر.

الشكل رقم 11 التهمة للملتحقين بالتنظيمات الإرهابية



8-1 العمر والتهمة

يتضح من الجدول (رقم 7) اللاحق حول العمر ونوع التهمة، أن الأنشطة الأكبر للفئة العمرية 22 عاماً فما دون، هي في: الدعم والترويج للجماعات الإرهابية 25.1٪، والالتحاق ومحاولة الالتحاق بجماعات إرهابية مسلحة 25.7٪، بينما توزعت بقية التهم على: القيام بأعمال من شأنها أن تعرض مصالح الدولة والمواطنين للخطر؛ وإثارة النعرات الطائفية.

أما الفئة العمرية الثانية الأعلى 23-34 عاما؛ فكانت أكثر تهمة موجهة لها هي: إثارة النعرات الطائفية 30.8٪؛ تلتها بالأهمية المحاولة والقيام بأعمال إرهابية؛ والدعم والترويج لجماعات إرهابية. بالنسبة للفئات العمرية الأكبر؛ نلاحظ أن نمط التهم متشابه نوعاً ما، إذ ترتفع النسبة لتهمة إثارة النعرات الطائفية ومحاولة القيام أو القيام بأعمال إرهابية داخل الأردن باختلاف عن الفئات السابقة الأصغر عمرياً والتي أبدت ميلاً أكثر للسلوكيات العنيفة خارج الأردن وداخله.

الجدول رقم 9 العمر والتهمة

	إثارة النعرات الطائفية	المحاولة/ القيام بأعمال إرهابية	الدعم والترويج لجماعات إرهابية	الالتحاق ومحاولة الالتحاق بجماعات إرهابية مسلحة	حيازة وتصنيع مواد مفرقعة وحيازة أسلحة	القيام بأعمال من شأنها تعريض مصالح الدولة والمواطنين للخطر	محاولة الدخول والخروج من المملكة بطرق غير مشروعة	المؤامرة بقصد القيام بأعمال إرهابية	المجموع
22 فما دون	12.9	6.4	25.1	25.7	7.6	13.5	7.0	1.8	100.0
23-29	30.8	18.7	13.2	13.0	6.9	7.3	6.9	3.1	100.0
30-39	35.2	22.7	9.7	8.9	9.7	5.0	6.0	2.8	100.0
40 فما فوق	32.5	18.4	12.4	12.8	7.3	4.7	7.3	4.7	100.0
المجموع	30.5	18.6	13.3	13.1	8.1	6.8	6.6	3.1	100.0

8-2 المستوى التعليمي والتهمة

كما هو مبين بالجدول رقم (10) اللاحق، لا تشير البيانات إلى أية أنماط تميز المتهمين ونوع التهمة حسب المستوى التعليمي، إذ يوجد شبه تطابق بين المستويات التعليمية في ثلاث تهم تمثل تقريباً ثلثي المتهمين، وهي إثارة النعرات، والمحاولة/ القيام بأعمال إرهابية، والدعم والترويج لجماعات إرهابية. فيما توجد فروقات بسيطة تتعلق بالالتحاق ومحاولة الالتحاق بجماعات إرهابية مسلحة، إذ نلحظ تشابهاً وتماثلاً أكثر بالنسبة للفئة الأقل من الثانوي والأعلى من الجامعي، بينما يلاحظ ارتفاع نسبة الذين وجهت لهم تهمة حيازة وتصنيع مواد مفرقعة وحيازة أسلحة لدى حملة الشهادات الجامعية.

الجدول رقم 10 المستوى التعليمي والتهمة

	إثارة النعرات الطائفية	المحاولة/ القيام بأعمال إرهابية	الدعم والترويج لجماعات إرهابية	الالتحاق ومحاولة الالتحاق بجماعات إرهابية مسلحة	حيازة وتصنيع مواد مفرقعة وحيازة أسلحة	القيام بأعمال من شأنها تعريض مصالح الدولة والمواطنين للخطر	محاولة الدخول والخروج من المملكة بطرق غير مشروعة	المؤامرة بقصد القيام بأعمال إرهابية	المجموع
أقل من ثانوي	32.5	20.0	13.0	15.4	6.4	7.1	2.9	2.7	100.0
ثانوي	31.1	19.3	12.1	8.5	11.0	6.9	7.8	3.3	100.0
أعلى من ثانوي	32.0	18.1	14.3	18.1	2.3	5.0	8.1	1.9	100.0
المجموع	31.7	19.3	12.8	12.6	7.8	6.6	6.3	2.9	100.0

7-3 المهنة والتهمة

هناك تباين واضح بطبيعة المهنة ونوع التهمة، وهناك بالطبع تقاطعات؛ فكما يشير الجدول رقم (11) اللاحق إلى أن أعلى ثلاث تهم لذوي الأعمال الحرة هي في إثارة النعرات الطائفية: والمحاولة أو القيام بأعمال إرهابية؛ وحيازة وتصنيع مواد مفرقعة وحيازة أسلحة. أما بالنسبة للاختصاصيين؛ فأكثر تهمتين هما: إثارة النعرات الطائفية؛ والالتحاق أو محاولة الالتحاق بجماعات إرهابية. في حين كان الباعة في المحال التجارية يتشابهون بالتهم مع أصحاب الأعمال الحرة في القطاع الخاص. أما العمال

المهرة والمهن الأولية؛ فتتركز تهمهم في: إثارة النعرات الطائفية؛ والقيام أو محاولة القيام بأعمال إرهابية؛ وحيازة وتصنيع المتفجرات والأسلحة.

وتتركز التهم الموجهة للموظفين العاملين في المؤسسات الدينية في: الالتحاق أو محاولة الالتحاق بجماعات إرهابية؛ والدعم والترويج لجماعات إرهابية؛ ومحاولة الخروج من المملكة بطرق غير مشروعة.

أما بالنسبة للعاملين في مؤسسات حكومية أو عامة؛ فتركزت تهمهم على: الدعم والترويج لجماعات إرهابية؛ ومحاولة الخروج والدخول للمملكة بطرق غير مشروعة. كذلك الحال بالنسبة للمدرسين ومديري المدارس، فأعلى نسبة تهمة لهم هي إثارة النعرات الطائفية، ولكن تتوزع غالبية المهن على: محاولة القيام بأعمال إرهابية؛ والالتحاق أو محاولة الالتحاق بجماعات إرهابية مسلحة؛ والقيام بأعمال من شأنها تعريض أمن المملكة للخطر.

بالرغم من أن هناك تنوعاً بالتهم الموجهة حسب المهنة، إلا أنه يبرز نمطان واضحان يؤشران إلى تباين أو اختلاف بين بعض المهن عن بعضها بعضاً؛ فمثلاً نلاحظ أنه يوجد تنوع بالتهم الموجهة لذوي الأعمال الحرة والعاملين في القطاع الخاص، ولكن أعلاها كان في إثارة النعرات، وأقلها في القيام بأعمال من شأنها تعريض مصالح الدولة والمواطنين للخطر. والنمط الثاني هو في العاملين في المؤسسات الدينية التي تتركز تهمهم في أربع تهم فقط، إذ بلغت أعلاها في الدعم والترويج لجماعات إرهابية؛ ومحاولة الدخول والخروج من المملكة بطرق غير شرعية؛ والالتحاق أو محاولة الالتحاق بالمنظمات الإرهابية؛ والقيام بأعمال تعرض الأمن للخطر، ولكنها تتسم بالعنف. وينطبق ذلك على مهنة الموظفين الحكوميين بالرغم من اتساع الموظفين العامين.

أما المدرسون/ المديرون؛ فبحكم طبيعة المهنة، كانت أكثر تهمة هي إثارة النعرات الطائفية، ولكن أيضاً تتوزع التهم لهذه الفئة على سلوكيات عنيفة أخرى متنوعة.

الجدول رقم 11 المهنة والتهمة

	إثارة النعرات الطائفية	المحاولة/ القيام بأعمال إرهابية	الدعم والترويج لجماعات إرهابية	الالتحاق ومحاولة الالتحاق بجماعات إرهابية مسلحة	حيازة وتصنيع مواد مفرقعة وحيازة أسلحة	القيام بأعمال من شأنها تعريض مصالح الدولة والمواطنين للخطر	محاولة الدخول والخروج من المملكة بطرق غير مشروعة	المؤامرة بقصد القيام بأعمال إرهابية	المجموع
أعمال حرة في القطاع الخاص	32.8	22.4	14.7	6.9	7.8	6.9	3.4	5.2	100.0
الاختصاصيون (طبيب، مهندس، مدرس، أستاذ جامعة، ممرض)	33.3	14.3	0.0	23.8	9.5	9.5	9.5	0.0	100.0
الباعة في محال تجارية	28.4	22.7	19.3	6.8	5.7	5.7	8.0	3.4	100.0
عمال مهرة	35.2	24.1	14.8	7.4	9.3	5.6	1.9	1.9	100.0
مهن أولية	24.0	20.0	20.0	4.0	14.0	6.0	6.0	6.0	100.0
وظائف في مؤسسات دينية (إمام مسجد، خادم، مؤذن)	0.0	0.0	0.0	18.2	31.8	31.8	18.2	0.0	100.0
موظف حكومي/ مؤسسات عامة	15.8	15.8	0.0	34.2	13.2	21.1	0.0	0.0	100.0
سائق	35.7	16.7	14.3	4.8	4.8	9.5	14.3	0.0	100.0
مدرس/ معلم	35.7	17.9	0.0	17.9	14.3	10.7	3.6	0.0	100.0
المجموع	28.8	19.6	12.6	10.7	10.0	9.4	6.1	2.8	100.0

7-4 المحافظة والتهمة

كان هناك تباين بين المحافظات وطبيعة التهم. فبالنسبة لتهمة إثارة النعرات، يلاحظ أنها كانت الأعلى في محافظة الزرقاء تلتها البلقاء وإربد، وتتراجع في بقية المحافظات لتنعدم كلياً في محافظة الكرك. أما تهمة محاولة القيام بأعمال إرهابية، فهي الأعلى لدى محافظة معان، تلتها الزرقاء، وإربد، وهي غير موجودة بالكرك.

وحول تهمة الدعم والترويج؛ فكان أعلاها في بقية المحافظات (أي المحافظات الأخرى غير الواردة في الجدول التالي)، ثم في الكرك، تلتها البلقاء والعاصمة عمان. وتبرز معان كأعلى محافظة في تهمة الالتحاق أو محاولة الالتحاق بجماعات إرهابية مسلحة، بينما تستحوذ الكرك على تهمة حيازة وتصنيع مواد مفرقعة وحيازة أسلحة.

الجدول رقم 12 المحافظة والتهمة

	إثارة النعرات الطائفية	المحاولة/ القيام بأعمال إرهابية	الدعم والترويج لجماعات إرهابية	الالتحاق ومحاولة الالتحاق بجماعات إرهابية مسلحة	حيازة وتصنيع مواد مفرقعة وحيازة أسلحة	القيام بأعمال من شأنها تعريض مصالح الدولة والمواطنين للخطر	محاولة الدخول والخروج من المملكة بطرق غير مشروعة	المؤامرة بقصد القيام بأعمال إرهابية	المجموع
إربد	26.0	18.8	13.5	6.6	15.3	6.9	8.7	4.2	100.0
البلقاء	33.6	17.5	20.3	15.4	2.1	2.8	7.7	0.7	100.0
الزرقاء	41.2	21.4	9.3	8.7	5.0	6.8	5.3	2.5	100.0
العاصمة	17.7	12.2	16.5	20.1	9.8	11.6	9.1	3.0	100.0
الكرك	0.0	0.0	30.2	15.1	24.5	9.4	9.4	11.3	100.0
معان	6.9	25.3	8.0	47.1	3.4	3.4	3.4	2.3	100.0
بقية المملكة	9.1	4.5	45.5	22.7	9.1	0.0	0.0	9.1	100.0
المجموع	30.4	18.5	13.4	13.1	8.1	6.8	6.6	3.1	100.0

الفصل الرابع

لماذا؛ وكيف؛ أصبحوا «جهاديين»؟

«دراسة حالات»

الفصل الرابع

لماذا؛ وكيف؛ أصبحوا «جهاديين»؟

«دراسة حالات»

المقدّمة

سننتقل في هذا الفصل إلى حالات دراسية محدّدة، نتناولها بدرجة أكثر عمقاً، لمعرفة المسارات التي اتخذتها الشخصيات المدروسة حتى وصلت إلى الالتزام بـ «التيار السلفي الجهادي»، والانضمام إلى جماعات «جهادية» في الخارج، مثل «جبهة النصرة» وتنظيم الدولة الإسلامية «داعش».

الهدف من دراسة هذه النماذج هو الوقوف على صورة أكثر وضوحاً ومقاربة محددة من عوامل الدفع والجذب على السواء؛ أي تلك التي تدفع أولئك الشباب بعيداً عن المجتمع نحو تلك الجماعات، وعوامل الجذب المقابلة التي تستهوي الشباب إليها، هذا من زاوية، من زاوية ثانية من المفيد معرفة الطريق التي سلكتها هذه الحالات: فكرياً ونفسياً حتى وصلت إلى هذه النقطة، سواء بالانضمام إلى «الجهاديين»، أو الهجرة للاندماج بتلك الجماعات أو حتى تنفيذ عمليات انتحارية.

مثل هذه الحالات توضّح لنا، أيضاً، بدرجة أفضل، أهمية وقيمة العوامل الأيديولوجية أو النفسية أو المجتمعية التي ساهمت في عملية «صناعة الجهاديين»، والخطوات التي قطعوها والمراحل التي مرّوا بها، خلال تلك الرحلة.

سنلاحظ في هذا الفصل أنّنا أمام مسارات متعددة: الأول هو الذي كان ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين: فكرياً أو تنظيمياً، ثم تحول إلى «الجهادية»، بدرجة رئيسة،

أو اتجاهات إسلامية أخرى، مثل جماعة الدعوة والتبليغ والسلفية التقليدية والحركية، والثاني هو المسار الذي تديّن داخل السجن من خلال التعرّف على أفراد هذا التيار، والثالث من كان ليس لديه أي سابقة أو خبرة بـ «التيارات الجهادية»، لكنّه تأثر بصورة متسارعة بخطابهم وبما يحدث في المنطقة.

حضور من لهم خلفية إخوانية في هذا الفصل، لدينا قرابة 6 حالات من 11 حالة لا يعكس الواقع الحقيقي؛ بمعنى أنّه لا يعني، بالضرورة، وجود نسبة معتبرة ممن تحولوا نحو «التيار الجهادي»، أو اندمجوا في «النصرة» أو «داعش»، من خلفية فكرية أو تنظيمية تنتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين، وإنّما ما عزّز هذا النموذج في هذا الفصل هو فقط مسألة توافر المصادر، وعدم وجود التحفظات وحالة الرفض المعروفة لدى أوساط التيار الجهادي بالتحدث عن تجاربهم، فعلى النقيض من ذلك الوصول إلى من لديهم جذور إخوانية وأوساطهم الاجتماعية كان أكثر سهولة للباحثين.

بالضرورة، واجهنا المشكلات والصعوبات والعوائق ذاتها - التي تحدثنا عنها في عملية بناء قاعدة البيانات- عندما انتقلنا إلى دراسة الحالات بصورة أكثر تفصيلاً، وكان العامل السلبي الأكبر الذي واجهنا هو عدم رغبة الأهالي بالتحدث عن أبنائهم، والخشية من ذكر أسمائهم، لذلك تفضّل كثير من العائلات الصمت وعدم الحديث، فضلاً عن وجود توجيهات حكومية للعديد ممن انضموا إلى تلك المنظمات ثم عادوا بضرورة عدم الالتقاء مع إعلاميين أو باحثين والتصريح بأي شيء!.

لم تكن المهمة، إذاً، سهلة أو في متناول اليد، فقد وجدنا حواجز وجدران عديدة تحول دون الوصول إلى العديد من الحالات الدراسية المهمة، التي كنّا نتطلّع إلى عرضها في هذا الفصل، واعتمدنا - كما هي الحال- في الفصول الأخرى من الدراسة على منهجية «كرة الثلج»؛ أي الوصول من حالة إلى أخرى، حتى تمكّنا من تكوين هذا الفصل ودراسة الحالات المطروحة فيه.

النماذج والأمثلة المطروحة في هذا الفصل ليست هي كل ما تجمّع لدينا، فهنالك حالات ونماذج مختلفة ومتنوعة وصلنا إلى معلومات تفصيلية فيها، لكن لأنّ المصادر لم تكن مباشرة، وبدرجة أولى من المعلومات، لم ندرجها في هذا الفصل أولاً، وتجنّبنا النماذج والأمثلة المعروفة إعلامياً وسياسياً، والتي سبق وأن قدّمت عنها تغطيات إعلامية أو إجريت عليها دراسات ونشرت كتب تتناول مسيرتها، بخاصة القيادات «الجهادية» الأردنية المعروفة عالمياً، مثل أبو محمد المقدسي؛ وأبو قتادة الفلسطيني؛ أبو مصعب الزرقاوي، وأبو أنس الشامي (عمر يوسف)، فتجارب هؤلاء وحيواتهم لقيت اهتماماً إعلامياً ودراسياً كبيراً، ما أغنى عن تناولهم هنا.

وتجنّبنا، كذلك، النماذج القيادية الجديدة، التي حظيت بدراسة مسبقة وبتغطية إعلامية Profiles، مثل: د. سعد الحنيطي؛ والطبيب منيف سمارة؛ وعمر مهدي زيدان؛ والطبيب همّام البلوي؛ والطبيب صلاح العناني؛ أبو سياف المعاني؛ وأبو محمد الطحّاوي، وغيرهم.

لذلك حاولنا التركيز على نماذج جديدة خاصة بهذه الدراسة، والوصول إلى المصادر الرئيسة الأولية عنها، من عائلة وأصدقاء، أو هم أنفسهم إن كان ذلك ممكناً، بينما استفدنا من الحالات السابقة، ومما حصلنا عليه من معلومات ودراسات تفصيلية عن حالات أخرى من أبناء «التيار الجهادي»، بخاصة خلال مرحلة إعداد الدراسة.

بقي أن نشير إلى أنّنا تعمّدنا ذكر الأسماء الأولى فقط في أغلب هذه الحالات التزاماً بالاتفاق مع أهاليهم وأصدقائهم، وفي بعض الأحيان تبديل بعض الأسماء، وفي هذه الحالة أشرنا إلى تلك النماذج في هامش الدراسة.

– 1 –

مجموعة حيّ نزال: من «الإخوان» إلى «النصرة»

خلال العاميّن: 2012 و2013 توجه إلى سورية للقتال هناك ضد النظام السوري الشباب الثلاثة: عبدالله؛ وأنس؛ وجهاد، على التوالي، ثم لحقهم صالح، ممن جمعتهم صداقة المسجد، في حيّ نزال، الذي يقع شرق العاصمة عمّان.(1)

لم تكن لديهم خلفية تاريخية في العلاقة مع «التيار السلفي الجهادي»، ولم يتم اعتقالهم أو اتهامهم على هذا الأساس مسبقاً، كما هي حال كثيرين ممن توجّهوا إلى سورية ليقاتلوا هناك. بل على النقيض من ذلك تماماً؛ فقد كان الثلاثة أقرب إلى جماعة الإخوان المسلمين، إن لم يكونوا أعضاءً منتظمين فيها، وتربوا في حلقات قريبة من الجماعة في مساجد حيّ نزال، وعُرفوا في أوساط شباب «الجماعة»، وأحدهم، وهو جهاد، كان ناشطاً معروفاً وفاعلاً في الحراك الأردني المطالب بالإصلاح السياسي ومحاربة الفساد، في العام 2011.(2)

نحن أمام نموذج مهم، يتطلب دراسةً معمّقة، ويتمثّل بوجود مجموعة من الشباب بينهم قواسم مشتركة أساسية، فهم من المنطقة السكنية ذاتها، حيّ نزال، وهم في سنّ الشباب المبكّر، هم مواليد بين 1991–1995، أي أن أعمارهم عندما ذهبوا كانت أقل أو لم تتجاوز بداية العقد العشرين من عمره، وهم أيضاً إما أعضاء في جماعة الإخوان المسلمين، أو من القريبين منها، وانتقلوا جميعاً من «الإخوان» إلى «جبهة النصرة» في

---

(1) سنكتفي بذكر الأسماء الأولى من الشخصيات، إلّا إذا كان هنالك في المصادر والمراجع عناوين مرتبطة بالأسماء الكاملة لهم، فسنبقيها.

(2) انظر إلى: أحمد أبو أحمد وضحى برقاوي، جهاد غبن «الرجل البخاخ» من الألوان إلى حمل السلاح، موقع عمان نت، 20–3–2013 ، موقع عمان نت، الرابط التالي: http://ar.ammannet.net/news/239253 ،

وكذلك: أليس سو، فتى اسمه جهاد من رماد الربيع العربي إلى ساحة المعركة في سوريا، ترجمة تقوى المساعدة، موقع حبر. كوم، 1–7–201، على الرابط التالي: https://www.7iber.com/politics-economics/jihad-jordan-syria-isis/

وأيضاً إلى: محمد فضيلات، الأردني جهاد شعراوي موزع العلكة الإصلاحي قتيلاً في سورية، صحيفة العربي الجديد، 25–10–2013.

سورية، وليس إلى تنظيم الدولة الإسلامية، داعش، كما أنّ مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية تشير إلى أنّهم يقعون بين الطبقة الوسطى الدنيا والطبقة الفقيرة، وهم أيضاً من طلاب الجامعات.

تتباين صفاتهم الشخصية، كما يذكر بعض أصدقائهم، إذ يوصف أنس بأنّه حاد في طباعه، وإذا اقتنع بأمر يذهب إلى أبعد مدى، وعنيد، أمّا جهاد، فكان منفتحاً على اتجاهات مختلفة، وبالرغم من أنّه يحمل قدراً كبيراً من طاقة العمل والنشاط، إلاّ أنّه هادئ الطباع، بينما صالح كان أقرب إلى الطابع الساخر والكوميدي في أحيانٍ كثيرة، في حين أنّ عبدالله كان يميل إلى الهدوء والأعمال المرتبطة بالدعوة في المسجد، بعيداً عن الاشتباك المباشر مع القضايا السياسية الداخلية.

وبالرغم من أنّ الأربعة هم من جماعة الإخوان، أو مقربون منها، إلاّ أنّ الوحيد فيهم الذي عرف باهتمامه بقضايا الإصلاح السياسي الداخلي والحراك، وكان ناشطاً إلى أبعد مدى، هو جهاد، بينما يشير أصدقاء وقريبون لعبدالله وأنس وحتى صالح إلى أنّهم لم يكونوا مقتنعين بأهمية الوضع الداخلي وقصة الإصلاح الديمقراطي، فكانوا يفكّرون أكثر بالقضية الفلسطينية، قبل أن تداهمهم أحداث الربيع العربي، التي انشغلوا بها، وبما يحدث في سورية تحديداً، بدلاً من الاهتمام بالحراك الداخلي، كما فعل جهاد، الذي لم يكن أصلاً في مراحل مشاركته في الحراك في «الإخوان» رسمياً، قبل أن يؤكّد أصدقاء له بأنّه أصبح أقرب للإخوان مع دخوله الجامعة.

في الصفحات التالية؛ سنتناول ثلاثة نماذج رئيسة (من الأربعة، لتوافر المعلومات المطلوبة عنها)، وهي: جهاد؛ أنس؛ وعبدالله، ونراقب كيف حدثت رحلة التحّول من «الإخوان» إلى «جبهة النصرة» في سورية..

1. جهاد و «انهيار حلم الربيع العربي»؛

(جهاد) هو من سكان حيّ نزال، من مواليد 27 كانون الثاني (يناير) العام 1994، من أسرة أقرب إلى الطبقة الفقيرة، والده عامل في مصنع أحذية، ووالدته كانت تعمل

في مصنع كذلك، وهي حاصلة على دبلوم باللغة الإنجليزية من الكلية المتوسطة في عمان، وهو الابن الأكبر، وله شقيق صغير، وشقيقة أصغر منه.[1]

يشير أحد أصدقاء (جهاد) إلى أنّ نقطة التحول الكبرى في حياته جاءت عندما كان عمره 16 عاماً في الصف الأول الثانوي، في العام 2011، ففتح عينيه على أحداث الربيع العربي، وسقوط النظامين المصري والتونسي، فانطلق إلى المشاركة بالفعاليات والنشاطات الشعبية المختلفة، التي بدأت في عمّان، للمطالبة بالإصلاح السياسي ومحاربة الفساد.[2]

يصفه أصدقاؤه في الحراك بأنّه كان نشيطاً للغاية، لا يترك مشاركة ولا فعالية يقرأ عنها أو يسمع بها، حتى لو لم يَعرِف المنظّمين إلاّ شارك فيها، وكان خلال أوقاتٍ أخرى، يكتب على الجدران بـبخّاخ للألوان معه، عبارات الإصلاح، فأُطلق عليه بين معارفه مصطلح «الرجل البخّاخ»، ولأنّه من عائلة فقيرة محدودة الدخل، كان يضطر إلى العمل في مصنع للعلكة مشهور في عمّان (مصنع شعراوي)، ليساعده ما يأتيه من هذا العمل، في مصروفاته خلال تنقله في أنشطة الحراك، فأطلقوا عليه مصطلح «أبو شعراوي»![3]

يفسّر أحد أصدقائه، ممن كانوا يؤثرون فيه بخاصة في المراحل الأولى من اندماجه بالحراك، هذا النشاط الكبير لدى (جهاد) في الحراك، بالرغم من عمره الصغير، بأنّ وعيه قد تفتح على «الربيع العربي»، وبالمشاهد التي نقلها الإعلام لهدم الدكتاتوريات والرمزيات الاستبدادية، فأصبح يشعر بأنّ «الربيع العربي» هو الحلم والمشروع، الذي يبحث عنه، ولأنّه يمتلك قدراً كبيراً من الشجاعة والإصرار، بخاصة إذا آمن بشيء ما، فإنّه انخرط في الحراك إلى أقصى وأبعد مدى ممكن، لدرجة التماهي معه، وأصبح معروفاً في أوساط الشباب الحراكي، بصورة ملحوظة![4]

---

(1) انظر إلى: صفحة والدته على موقع التواصل الاجتماعي «الفيس بوك»
https://www.facebook.com/umjihad.ghaben?hc_ref=SEARCH&fref=nf

(2) لقاء خاص مع صديق له (م.ج) بتاريخ 14-7-2017.

(3) انظر: على سبيل المثال: أحمد أبو أحمد وضحى برقاوي، جهاد غبن «الرجل البخاخ»: من الألوان إلى حمل السلاح، المرجع السابق، وكذلك: أليس سو، فتى اسمه جهاد: من رماد الربيع العربي إلى ساحة الجهاد في سوريا، المرجع السابق.

(4) مقابلة مع صديقه (م.ج)، المصدر السابق.

في مرحلة لاحقة برزت لديه ميول يسارية، « كان دينياً أقرب إلى الإخوان وحركياً أقرب إلى اليسار»، كما يصفه أحد أصدقائه، لكن التأثر الأكبر كان بالحراك الشبابي المستقل، كان يلائم شخصيته أكثر من الالتزام بأحزاب وقيادات وعمل روتيني.[1]

وبالرغم من أنّه – أيديولوجياً – لم يكن قد نضج؛ بمعنى أنّه لم يتأسس على قراءات فكرية وسياسية، كما هي حال الشباب الحزبي، إلاّ أنّه ولج إلى لحظة «الربيع العربي» بكل كيانه وأفكاره، وأصبحت تلك اللحظة مفتاحه للتعرف على مجموعات مختلفة ومتعددة من الشباب الناشط في الحراك، من إخوان وإسلاميين، إلى يساريين، بخاصة حزب الوحدة الشعبية، إلى مستقلّين، فاقترب منهم جميعاً، وبدأ يثقّف نفسه سياسياً، ويسأل بصورة مكثفة عن الخلافات الأيديولوجية والأفكار والآراء، خلال مرحلة مشاركته في الحراك، حتى أدّاه انتظم مع شبيبة حزب الوحدة الشعبية لفترة من الوقت، أشهراً عدة، قبل أن يقطع معهم نتيجة الخلافات الجوهرية بينه وبينهم في قضية الدين، كما يذكر صديقٌ له.[2]

في الأثناء كان (جهاد) مولعاً بمواقع التواصل الاجتماعي «السوشيال ميديا»، ويؤمن بأهميتها، ما جعله يحب الإعلام ويرغب بدراسته، بيد أنّ التخصص الذي وجده في الجامعة الأردنية، كلية الآداب هو اللغة العربية. وفي مرحلة معينة أحب الجيش الأردني، وتعلّق بفكرة العمل في القوات المسلحة، تحت تأثير أصدقاء أردنيين يتغنون بالوطنية الأردنية، من تيار (زمزم)، الذي انفصل عن جماعة الإخوان، لكنّه عدل عن الفكرة لأسباب مرتبطة بطبيعة التركيبة الأردنية، فهو من أصول فلسطينية، وأغلبية أفراد الجيش والقوات المسلّحة من عشائر شرق أردنية.[3]

---

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه. بالنسبة لتيار زمزم، فهو يضم مجموعة من القيادات والشخصيات الإخوانية المرتبطة بجناح الحمائم، ذي الأغلبية الشرق أردنية، وشخصيات أخرى، تجمعوا معاً وأطلق مبادرة سمية بمبادرة زمزم (باسم الفندق الذي أعلنت فيه)، ثم قاموا بتأسيس حزب سياسي جديد. انظر إلى: «مبادرة «زمزم» المنشقة عن الأخوان المسلمين تحولت لحزب سياسي تحت التأسيس في الأردن»، موقع الرأي اليوم، 26-3-2016، الرابط التالي: http://www.raialyoum.com/?p=412994

شارك (جهاد) في المسيرات التي تطالب بالإصلاح السياسي في الأردن، بكثافة، وفي الوقت نفسه انضم إلى ناشطين آخرين، سوريين وأردنيين، في فعّاليات عديدة دعماً للثورة السورية في مواجهة نظام الأسد في البدايات، فكان يقف طويلاً معهم أمام السفارة السورية في عمّان، أو في أماكن أخرى، فلم يكن يغيب إلاّ نادراً عن أيّ فعالية، أو حتى ندوة تتناول الشأن العام![1]

عُجنت شخصيته بلحظة «الربيع العربي» والحراك الشعبي الأردني، وملأ مشهد ميدان التحرير في مصر وتونس والتعذيب في سورية خياله السياسي. لكن ما الذي حدث، إذاً، حتى تغيّر مسار رحلة (جهاد) من الأمل والطموح بربيع يتم إنتاجه في الأردن، بنسخة محلية، ليغادر خارج الأردن، ويلتحق بـ «جبهة النصرة»، التي لا تتبنى الديمقراطية أصلاً، وترفض مفهوم الدولة المدنية، وتؤمن حتى في بسورية بإقامة دولة إسلامية، لا ديمقراطية على غرار ما كانت تدعو إليه الفعاليات السورية أو العربية والأردنية المؤيدة لها، التي كان يشارك فيها جهاد نفسه في عمّان بجوار السفارة السورية؟!

يجيب أصدقاءٌ له عن ذلك بسببين رئيسين:[2]

السبب الأول يتمثّل بخبو الحراك الشعبي الأردني، مع العام 2012، وتراجع زخم المسيرات والفعاليات والأنشطة المختلفة، وظهور علامات الإحباط لدى الشباب، من عدم القدرة على إنضاج حالة شعبية سلمية شبيهة بما حدث في مصر وتونس، وبمحدودية القدرة على التجميع والحشد لدى الشباب الحراكي في الأردن، وتزامن ذلك مع دخول (جهاد) نفسه إلى عام الثانوية العامة، وتفريغ نفسه جزئياً للدراسة والعمل، كي يحاول اجتياز تلك المرحلة، وكان يشكو لأصدقائه من ذلك العام، الذي كان يريد أن يتجاوزه بأي طريقة، من أجل الالتحاق بالجامعة، وهو فعلاً ما حدث، عندما قبل (جهاد) في الجامعة الأردنية بكلية الآداب، فوجد هناك نفسه أقرب، مرّة

(1) لقاء مع صديق له، طلب عدم ذكر اسمه، بتاريخ 17-6-2017، في مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية.

(2) مقابلة مع صديقه (م.ج)، مصدر سبق ذكره، وكذلك مقابلة مع صديق آخر له (م.أ)، بتاريخ 20-7-2017.

أخرى، لأبناء الاتجاه الإسلامي، أي الذين ينتمون إلى جماعة الإخوان المسلمين، ويرى بعض أصدقائه أنّه دخل فعلياً في «الإخوان» خلال تلك الشهور الأولى من عامه الدراسي، بعدما كان سابقاً قريباً منهم ومن حلقاتهم، متردداً بالانضمام الرسمي لهم، وهو ما حدث في العام الأول لدخوله الجامعة.

انتهاء جذوة الحراك في الأردن لم يكن خفيف الوطأة على روح الشاب (جهاد) وعقله وتحول الثورات العربية إلى حروب داخلية في كل من سوريا واليمن، كل ذلك خلق ثقوباً شديدة في المشروع الذي شيده في خياله عن الزمن المقبل، الذي كان يشعر بأنّه يقوم بكتابة جزء منه، عبر مشاركته بالحراك وحتى بالشعارات على الجدران.

بالرغم من ذلك من الضروري أن نذكر هنا بأنّ (جهاد) كان نزوعه ثورياً، بما يتجاوز ما تطرحه جماعة الإخوان المسلمين، فقد شارك بما سمي هبة تشرين 2012 احتجاجاً على ارتفاع أسعار السلع، وكان متحمساً لتجاوز شعارات الشباب سقوف إصلاح النظام إلى إسقاطه، وكان يلوم الإخوان في مصر على أنّهم قبلوا التصالح مع «الفلول» (أي أطراف من نظام الرئيس الأسبق حسني مبارك) بعد الثورة، ويرى بأنّ ذلك خطأ، وهو موقف يبدو فيه (جهاد) متأثراً بالأفكار اليسارية.[1]

لم يكن متحمساً للديمقراطية أو الإصلاح السياسي، بالمعنى المطروح في خطاب المعارضة الأردنية، بقدر ما كان يتطلع إلى الحرية بمعناها الواسع، ومفهومه للديمقراطية مرتبط بخلفيته الدينية أو المحافظة أكثر مما هو مرتبط بالأفكار الليبرالية المطلقة في الغرب، التي تريد إقامة صرح ديمقراطي على قاعدة علمانية. كما أنّه وخلال دردشات على مواقع التواصل الاجتماعي عن الدولة المدنية والحريات والديمقراطية كان يصرّ على أنّ المجتمعات العربية مسلمة، ولا بد أن تتأطر الحريات العامة بهذا الإطار.[2]

في شهر آب (أغسطس) 2012، قام (جهاد) بنشر فيديو له على موقع «اليوتيوب»، لا تتجاوز مدته 18 ثانية، يعلن فيه مقاطعة الانتخابات النيابية التالية، التي لم يشارك

(1) لقاء خاص مع صديقه (م.ج)، المصدر السابق.

(2) المصدر نفسه.

فيها الإسلاميون، وقام فيه بمحاكاة الجنود السوريين المنشقين، إذ أبرز هويته وأعلن مقاطعة الانتخابات، وخلفه علمان أردنيان من الحجم الصغير، مطالباً الشعب بمقاطعتها؛ لأنّها تأتي وفق قانون الصوت الواحد، بدعوى أنّها ستنتج مجلس نواب مزور يبيع مقدرات الوطن ويبرىء الفاسدين، منهياً كلامه بعبارة «عاش الشعب الأردني سامياً مقامه»، وهي عبارات مستوحاة من الخطاب الحراكي الشعبي، الذي كان أكثر راديكالية وأعلى سقفاً في النقد، من خطاب الإخوان المسلمين الكلاسيكي.[1]

ويذكر صديق له كيف أنّه قام خلال الاصطفاف الصباحي لطلاب مدرسته الحكومية بالهتاف عاش الشعب الأردني، وردّد طلاب آخرون (كان قد اتفق معهم سابقاً) الشعار خلفه، وهو شعار الحراك الأكثر راديكالية، كما ذكرنا سابقاً، ما أرعب مدير المدرسة والمعلّمين، واستدعوه، وحاولوا إقناعه بعدم تكرار ذلك، خشية من وصول الأمر إلى الجهات الأمنية، ما كان قد يؤدي إلى الإضرار به وبالإدارة نفسها.[2]

ربما مثل هذه النزوعات والأفكار لدى (جهاد)، كانت سبباً من أسباب تسهيل رحلته إلى «جبهة النصرة»، من دون عوائق نفسية وفكرية حقيقية، فهو لم يكن حراكياً بالمعنى الحزبي التقليدي، بقدر ما كان شابّاً تفتح وعيه على لحظة «الربيع العربي»، واندمج في الحراك إلى أبعد مدى، وانخرط في الاتجاهات الأكثر راديكالية فيه، ذات السقوف المرتفعة، التي لم تخضع لتأطير الأحزاب، بخاصة الإسلاميين.

---

(1) انظر إلى: على غرار انشقاقات الجيش السوري: مواطن يدعو لمقاطعة الانتخابات، موقع البوصلة الإخباري، 23-8-2017، على الرابط التالي:

http://www.albosala.com/News/Jordan/2012/8/23/%d8%b9%d9%84%d9%89_%d8%ba%d8%b1%d8%a7%d8%b1_%d8%a7%d9%86%d8%b4%d9%82%d8%a7%d9%82%d8%a7%d8%aa_%d8%a7%d9%84%d8%ac%d9%8a%d8%b4_%d8%a7%d9%84%d8%b3%d9%88%d8%b1%d9%8a_%d9%85%d9%88%d8%a7%d8%b7%d9%86_%d9%8a%d8%af%d8%b9%d9%88_%d9%84%d9%85%d9%82%d8%a7%d8%b7%d8%b9%d8%a9_%d8%a7%d9%84%d8%a7%d9%86%d8%aa%d8%ae%d8%a7%d8%a8%d8%a7%d8%aa_%d9%81%d9%8a%d8%af%d9%8a%d9%88__#.UDffCR7olug.facebook

(2) مقابلة (م.ج)، المصدر السابق.

أمّا السبب الثاني؛ فيتمثل في مشهدية الثورة السورية التي انتقلت من تظاهرات سلمية تواجه بآلة قتل واعتقالات وردات فعل قاسية من النظام السوري، إلى صدام مسلّح بين الثوّار من جهة والنظام من جهةٍ أخرى، فأخذ المشهد السوري يستولي شيئاً فشيئاً على تفكير (جهاد) وعواطفه، وفي الفعاليات التي يشارك فيها في الجامعة ومناطق أخرى، إذ يلقي القصائد والكلمات في دعم الثورة السورية ومواجهة النظام هناك.[1]

مع تراجع طموح الإصلاح في الأردن، لدى (جهاد)، وصعود مشهد الدم والصدام في سورية، وارتفاع الحالة العاطفية لديه جرّاء الصور التي يبثها الإعلام عن الحالة هناك، بدأ يتوجّه بتفكيره في التغيير والمشاركه فيه من الساحة الداخلية، التي أُغلقت – على الأقل في اللحظة الراهنة– إلى الساحة السورية، وأخذ يضغط على أهله بصورة ملحة على قبول مغادرته للقتال في سورية، وهو ما كان بعدما شعروا أنّ الوضع هناك أصبح يسيطر على ابنهم البكر، ولأنّ عائلته – كما يقول أصدقاؤه أيضاً– هي عائلة بسيطة، متدينة، لم تكن تمتلك ذرائع وأسباباً قوية لممانعة مغادرة ابنهم إلى هناك!.[2]

بالتفكير بالأسباب التي خلقت قراراً لديه بالذهاب إلى سورية، أو مثّلت «القاطرة» لنقله من مرحلة التعاطف إلى مرحلة السفر والمغادرة والمشاركة هناك، فإنّ العامل الأول الذي يتداعى إلى الذهن هو عامل الصداقة، فقد كان هو وأنس، الذي غادر في رحلته الأولى قبله، وعبدالله، وصالح الذي لحق بهم، وغيرهم، أصدقاء مقربين في الحيّ والجامع والجماعة، فشجّعوا بعضهم على المغادرة والسفر والالتحاق بالفصائل المسلّحة السورية.

(1) انظر إلى قصائد ومشاركات لجهاد الغبن على موقع «اليوتيوب» عن سورية،
أولاً قصيدة عن سورية، بعنوان وصيتي، https://www.youtube.com/watch?v=Fb63HSO5EoQ
ثانياً قصيدته عن سورية في مهرجان بالجامعة الأردنية: https://www.youtube.com/watch?v=uMKc4ZeatXE
ثالثاً شريط أعده أصدقاؤه عنه، الرابط التالي: https://www.youtube.com/watch?v=eBlGGE1QOVM

(2) مقابلة مع (م.ج)، المصدر السابق.

يضاف إلى ما سبق عامل آخر، يتمثل برأي بعض أصدقاء (جهاد)، بوجود أفراد من «التيار السلفي الجهادي» في حيّ نزال قاموا من خلف الأضواء والكواليس بدور المسهّل والمنظّم Facilitator لعملية الخروج لدى (جهاد) وأصدقائه، وربما بإقناعهم بالذهاب إلى «جبهة النصرة» تحديداً، التي كانت في البدايات لم تعلن بعد ولاءها لـ «القاعدة»، وتتوافر على قدرة كبيرة على الحشد والتجنيد والتدريب وإمكانيات وخبرة عسكرية لا توجد لدى أغلب الفصائل السورية الأخرى، بخاصة قبل منتصف العام 2013، وبروز تنظيم الدولة الإسلامية «داعش».

قبل الذهاب إلى سورية لم تكن الصورة واضحة تماماً لديه، كان مشوشا فكرياً ذهب إلى سورية وهو يتوقع أن هنالك مشروعاً جديداً، يريد أن يكون جزءاً منه، كان يعتقد أنّ رحيل الأسد مسألة بضعة أعوام، وأنّه سيعمل مع الآخرين على إعمار سورية، كان متفائلاً إلى أبعد الحدود، أو هكذا تم إقناعه، وبدلاً من الوقوف أمام السفارة السورية، من دون القدرة على طرد السفير، فإنّه يستطيع في سورية قتل جنود بشار والدفاع عن المسلمين.

بقي (جهاد) «يطبخ» بفكرة الذهاب إلى سورية، أشهراً عديدة، ويبدو أنّ سفر أصدقائه قبله (عبدالله وأنس)، ودورهما في محاولة حثّ الآخرين من أبناء الحيّ وأصدقائهما في جماعة الإخوان المسلمين، أثر أكثر على (جهاد)، وعزز قناعته بضرورة المغادرة إلى هناك، وهو ما تمّ في منتصف العام 2013، بعد أن ذهب في رحلة لآداء العمرة في السعودية، وعاد من هناك، وقد امتلأ بفكرة الهجرة والقتال في سورية.

قبل أن يذهب كان قد وعد صديقاً له كان يعارض سفره، بخاصة أنّه سينضم إلى «جبهة النصرة»، بألا ينخرط في العمل العسكري، وأن يبقى على صعيد الإعلام، وهو ما لم يلتزم به (جهاد).[1]

---

(1) المصدر نفسه.

كان قبل اعتناقه لأيديولوجيا «جبهة النصرة» في عمان منفتحاً على حوارات ونقاشات وحضر ندوات واطلع على الآراء الأخرى، حتى أنّه -كما ذكرنا- انتظم لفترة من الوقت مع حزب الوحدة الشعبية، لكن بعدما ذهب إلى سورية وانضم إلى «جبهة النصرة» تغيرت مواقفه وأفكاره تجاه الآخرين، ما بدأ يظهر بوضوح على صفحته على مواقع التواصل الاجتماعي، وفي إحدى المرات كتب خلال مواجهات بين «النصرة» والشيوعيين بأنّه لا بد من إبادة الشيوعيين الكفرة، فصدم أصدقاءه، الذين تشكلت علاقته معهم خلال الحراك الشعبي المطالب بالإصلاح السياسي في الأردن.

يذكر أصدقاؤه أنّ أفكاره تغيرت مع وجوده في «جبهة النصرة»، فأصبح أكثر تشدداً في موقفه من المخالفين، وفي آرائه بما يتعلّق بإقامة الدولة الإسلامية، ورفض الديمقراطية، كان قد عزم على الزواج في سورية قبل مقتله في 20-10-2014.

2. أنس: نتاج «التربية الجهادية» الإخوانية

مواليد عمّان، حيّ نزال، 1993 من عائلة من الطبقة المتوسطة، محافظة دينياً، والده ووالدته ملتزمان، والده أنهى دبلوم هندسة مدنية، لكنه عمل محاسباً في مخبز تعود ملكيته لأنسبائه، أخوال أنس متدينون، لكنهم منقسمون بين التيار السلفي وجماعة الإخوان المسلمين، ووالدته غير متعلمة جامعياً، وهي ربة منزل، وأنس هو الأكبر بين أشقائه، لديه شقيق واحد وثلاث شقيقات.[1]

كان منذ صغرة محافظاً على الصلاة ومتديناً، ومنذ مرحلة مبكرة التزم بالمسجد، وهناك تأثّر بالحلقات التي يعقدها أفراد من جماعة الإخوان المسلمين للأطفال، وأصبح أصدقاؤه والمقربون منه من الجماعة نفسها، مثل جهاد وعبدالله، وكان يشارك في أنشطة الجماعة المعتادة، التي كانت تتحدث دوماً عن القضية الفلسطينية والجهاد في الإسلام، فأصبح متأثراً لدرجة كبيرة بهذا الموضوع، وربما مسكوناً فيه، بخاصة أنّه استمع منذ مرحلة مبكرة وهو في عمر صغير جداً لأشرطة الداعية الكويتي طارق

(1) مقابلة مع والده وخاله بتاريخ 7-8-2016.

سويدان، التي كانت تتحدث عن الغزوات النبوية، فقد أحضرها له خاله لأنّ والديه كانا يقلقان من ملاحظتهما أنّه كان شديد الخوف في الصغر، وعمره 3 أعوام، فقام خاله ببناء عامل القوة والشجاعة لديه بإحضار هذه الأشرطة، التي كانت تتحدث عن بناء الشخصية وعن الغزوات بالتفصيل الشديد، فأثرت في مخيّلة الطفل الصغير منذ مرحلة مبكّرة.[1]

نقطة التحول الرئيسة في حياته، كما يلاحظ والده، التي رفعت اهتمامه بالأنشطة الدينية والأوضاع السياسية كانت في العام 2007. أي مع الحرب على غزة، وكان عمره قرابة 14 عاماً، فبدأ يتفاعل بصورة كبيرة مع الأحداث، ويتأثر عاطفياً بالصور والأخبار الواردة من غزة، ما عزّز من خياله الخصب عن الجهاد وقصصه.[2]

ومن الكتب التي أثّرت فيه مبكّراً وجعلت موضوع الجهاد متضخماً لديه هو كتاب «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار الإسلام» لابن النحاس، وقد حققه أحد أساتذة الشريعة المعروفين في جماعة الإخوان المسلمين، د. صلاح الخالدي، وهو كتاب يتحدث عن الجهاد في الإسلام وأهميته وفضائله ويحبب فيه، فكان له تأثير كبير على شخصية (أنس) وأفكاره.

برأي خاله أنّ «الطفل شُحن مبكّراً بموضوع الجهاد، وأصبح مولعاً به، من خلال التعبئة الإخوانية للقضية الفلسطينية وموضوع حماس، لكن التفريغ حصل في سورية، بعدما انطلقت الثورة السورية».[3]

لدينا - إذاً- عنصر بنيوي مؤسس في شخصية الفتى، فهو من عائلة متدينة، وتربيته وتنشئته دينية، ولديه خيال خصب، بسبب القراءة والتعبئة الإخوانية في موضوع الجهاد تحديداً، وفيما يخص القضية الفلسطينية، نتيجة العاطفة الهائلة المشحونة تجاه حركة حماس، من قبل شباب جماعة الإخوان المسلمين ومؤيديهم، وهي الأفكار التي وجدت أذناً صاغية وتأثيراً عميقاً في شخصية (أنس).

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر السابق.

(3) لقاء خاص مع خاله، المصدر السابق.

أمّا العنصر الثاني من التأثير؛ فتمثل بأحداث الثورة السورية، في آذار/ مارس من العام 2011، أي عندما أصبح عمره 18 عاماً، فمن الواضح من خلال متابعة فيديوهات لأنشطته في عمّان، وهو يلقي الشعر والقصائد، ومن خلال شهادات أصدقائه، أنّه كان متفاعلاً ومنفعلاً بما يحدث هناك إلى أبعد مدى، حتى إنّه - كما يذكر والده- كان يحاكي مشهد الجنود السوريين المنشقين عن الجيش السوري، فيرفع هويته ويعلن انشقاقه مثلهم.[1]

فالأحداث السورية بدأت وهو على أعتاب الجامعة، وتأثر بها كثيراً، وكان يرجز شعراً على طريقة الراب يتحدث فيه عن الثورة السورية وينتقد بشار الأسد، وأصبح يفكّر بصورة جدية بالذهاب إلى هناك للانتقال من التعبئة النظرية عن موضوع الجهاد إلى التطبيق العملي، ففي إحدى القصائد المسجلة له على قناة «اليوتيوب» بعنوان «أنا لا أقول الكلام المنمّق» يتحدث عن بشار الأسد، وحمزة الخطيب ومشاهد القتل في سورية، ويبكي خلال إلقاء القصيدة، التي رجزها هو، ويقول «عار علينا أن نبقى جالسين.. وبشار ما زال في المؤتمرات يضحك».[2]

شارك في الحراك بصورة محدودة جداً في العام 2011، ويبدو أنّه لم يكن مقتنعاً - كما يذكر أحد أصدقائه- بجدوى الإصلاح السياسي في الأردن، ولا بالدعوات من أجل تغيير قانون الانتخاب، فكان أكثر اهتماماً بالساحة السورية، وبالقتال الدائر هناك، وهو ما كان يهيمن على نقاشاته مع أصدقائه في الجماعة وخارجها، بخاصة في جماعة الإخوان المسلمين.

يذكر عدد من أصدقائه أنّه حادّ أكثر من غيره من الأصدقاء، في النقاشات والحوارات، ويميل إلى الأفكار الصارمة في التعامل مع موضوع الاختلافات الفكرية، وكان يشعر بالضيق مما يعتبره مخالفات دينية تقع في المجتمع، مثل رؤية الفتيات بلباس

(1) مقابلة خاصة مع والده، مصدر سابق.

(2) انظر إلى: قصيدة لأنس عن سورية بعنوان «أنا لا أقول الكلام المنمّق»، على الرابط التالي: https://www.youtube.com/watch?v=Izn_5Dhcr14

غير محتشم، وزجاجات البيرة الفارغة بالقرب من المخبز الذي كان يعمل به، فكان مندفعاً في تدينه ومواقفه بدرجة حادّة، وهو أقرب حتى في داخل الإخوان إلى الاتجاه المتأثر بأفكار سيد قطب، من التيارات الأخرى، بالرغم من أنّه لم يكن يقرأ كثيراً، وغير مهتم بالدراسة، ولم يكن حتى في المدرسة متفوقاً في دراسته.[1]

سافر مع عائلته في العام 2011 لأداء العمرة، ثم في العام التالي سافر مع آخرين، وهناك التقى صديقه عبدالله واتفقا، كما يظنّ والده، على الذهاب إلى سورية والمشاركة في القتال.[2]

دخل جامعة العلوم الإسلامية، في العام 2012، بتخصص الشريعة، وعندما أراد والده بعد سفره التفكير بعودته وإعادته إلى الجامعة، تفاجأ بأنّ علاماته كانت جميعاً راسبة، لأنّه لم يدرس في ذلك العام، بل استغل نقوداً أعطاها والده له لدفع رسوم الجامعة، من أجل تمويل رحلته إلى تركيا، ثم إلى سورية.[3]

يجمع أصدقاؤه وأهله بأنّه كان غير مهتم بالدراسة والقراءة، وأنّه كان شخصية نشيطة، ويتمتع بطاقة كبيرة، وعاطفة جيّاشة، فهو شخص عاطفي عموماً.[4]

تأثر بخطبة للشيخ السعودي محمد العريفي، وبخطب الشيخ الأردني أبو قتيبة، الذي يركّز على الموضوعات الجهادية في خطبه، وقد تمّ منعه الآن من الخطابة، وكانت لهذه الأجواء المشحونة بما يحدث في سورية وبمشاهد القتل والتدمير بالتزاوج مع تنشئته التي خصّبت خياله عن الجهاد وصوره، الدور الأكبر في دفعه إلى رحلته الأولى إلى سورية.[5]

من خلال أسئلته المتكررة لأشخاص في حيّ نزال، لكن لديهم إطلاع على الأمور في سورية، وخبرة في فصائل الثورة هناك بدأ يبحث عن طريق للخروج والوصول إلى

(1) لقاء مع صديقه أنس، بتاريخ 20-6-2017، في عمّان.

(2) مقابلة مع والده، المصدر السابق.

(3) لقاء خاص مع والده، المصدر السابق.

(4) ذلك رأي خاله ووالده وصديقين له، سبق الإشارة إلى هذه المصادر.

(5) لقاء مع صديقه أنس، المصدر السابق.

سورية، وأحد هؤلاء كان سوريّاً تقيم عائلته منذ عقود في عمان، انتقل إلى سورية مع بداية الثورة، وبدأ (أنس) يتواصل معه، ولاحقاً قرر الذهاب إلى هناك.

غادر (أنس) في 12-9-2012، من مطار الملكة علياء إلى تركيا، ومن مطار اسطنبول ذهب إلى مطار محلي مجاور إلى أنطاكيا، ويستغرب والده كيف قام بهذه الرحلة، وهو ابن الـ19 عاماً، ولا يعرف التحدث بالإنجليزية مطلقاً، وكيف استطاع التعامل مع سائقي التاكسي وغيرهم من غير لغة.[1]

وصل إلى أنطاكيا وهناك بدأ بالبحث عن صديقه السوري، ليتواصل معه، إلى أن وجده بعد أيام عديدة، وأصرّ عليه أن ينقله إلى سورية للانضمام إلى أحد الفصائل، وكان صديقه يحاول إقناعه بالعودة، لكن (أنس) أصرّ إلى درجة كاد يخنق صديقه، فوافق الأخير، وذهب به إلى سورية، وهناك مكث (أنس) قرابة 10 أيام مع فصيل، ولم يشعر بالراحة لعدم التزامهم الكامل بالإسلام، وخلال تلك الفترة كانت الاتصالات من قبل أهله معه مستمرة، ومحاولات إقناعه دائمة، إلى أن وافق على العودة إلى عمان.

عاد إلى عمان، بعد أن قطع مسافة طويلة مشياً على الأقدام بين الحدود التركية والسورية، حتى وصل إلى أنطاكيا، ومن هناك قام برحلة العودة الأولى والأخيرة. لم يتم اعتقاله، في الأردن، لفترة طويلة، فقط حدث ذلك لأيام عدة، بعد عودته بأيام، ثم أطلق سراحه، لكنه بقي خلال هذه الفترة متعلّقاً بفكرة الذهاب إلى هناك ومصرّاً عليها، وعمل في المخبز مع والده لفترة، وبالرغم من أنّ والديه أخفوا جواز سفره وحاولوا بكافة السبل إقناعه بعدم الذهاب، إلاّ أنّهم لم يتمكنوا من منعه في النهاية، فقد كان مصرّاً إلى درجة كبيرة، ويتحيّن الفرصة للعودة، ويبدو أنّه كان على تواصل مع (عبدالله)، الذي انضم خلال تلك الفترة إلى «النصرة»، ووعده بترتيب الأمور، وتسهيل عملية وصوله إلى «جبهة النصرة»، فعاد (أنس) إلى هناك بعدما أمضى قرابة 10 شهور في عمان.

---

(1) لقاء خاص مع والده، المصدر السابق.

وبالرغم من المحاولات المكثفة من أهله لإقناعه بعدم جدوى الذهاب والمشاركة هناك في القتال، وكان خاله ذو التوجه السلفي، الذي يمتلك ثقافة شرعية وسياسية واسعة، يحاول باستمرار مناقشته بأفكاره وبفكرة الذهاب، لكن من الواضح أنّ شخصية (أنس) العنيدة وعاطفته الجيّاشة تجاه سورية، وأصدقائه الذين سافروا إلى هناك، بعد أن لحق (جهاد غبن) بهم إلى هناك، كل تلك العوامل أصبحت أكثر قوة من محاولة أهله وخاله!.[1]

سافر (أنس)، للمرة الثانية إلى سورية، ويبدو أنّها في منتصف العام 2013، ويشير أحد أصدقائه إلى أنّها كانت مختلفة، فقد عبر الحدود الأردنية- السورية، جنوباً، إلى درعا، مشياً على الأقدام، ثم انتقل من هناك إلى ريف أدلب، والتقى بصديقه (عبدالله عبدالله)، واندمج مع «جبهة النصرة»، وأخذ يشارك بصورة كبيرة في المواجهات، وارتفع موقعه هناك بعد مقتل أصدقائه، (جهاد) و(عبدالله)، إذ أصبح أكثر جرأة، ولُقّب بـ «بلبل النصرة»، لأنّه كان يحرّض على القتال، وله أشعار موجودة على «اليوتيوب»، وهو يغني ضد الأسد وقياداته العسكرية مشجعاً عناصر «النصرة»، وقتل في معركة سهل الغاب 27-7-2015، وقد كان مع فرقة الاندماجيين، في تلك المعركة، ويقول أحد أصدقائه أنّه أخبره بأنّه يريد الذهاب قريباً إلى السماء ليلتقي بأصدقائه الذين سبقوه.[2]

لاحظ أهله تغير أفكاره خلال الرحلة الثانية من خلال الاتصالات، التي كانت تتم بينه وبينهم، إذ أصبح مقتنعاً بالأيديولوجيا الجهادية، وله موقف سلبي من جماعة الإخوان المسلمين، وهو الموقف الذي برز في وصيته الأخيرة، التي انتقد فيها ما اعتبره تقاعس «الإخوان» عن الجهاد، وكذلك الحال لمسوا أنّه أصبح على تواصل مع شيوخ

(1) لقاء مع كل من خاله ووالده، مصادر سبق ذكرها.

(2) انظر إلى قصيدة تحفيزية له لمقاتلين من «النصرة»، على الرابط التالي:

https://www.youtube.com/watch?v=2T8rNPJznmw ، انظر كذلك إلى قصيدة له ألقاها، وهو يضع خلفه علم النصرة قبل مقتله بشهور، بعنوان «دخلناها بحدّ السيف»، ويقصد بذلك مدينة إدلب، على الرابط التالي:

https://www.youtube.com/watch?v=2T8rNPJznmw

التيار في الأردن، مثل أبو محمد المقدسي؛ وإياد القنيبي؛ وأبو قتادة الفلسطيني، وفي سورية كان متأثراً بالدكتور عبدالله المحسيني من «جبهة النصرة».

قُتل خلال معركة مع قوات النظام السوري في إدلب في شهر تموز/ يوليو 2015.

3. عبدالله: تغلغل «فكرة الجهاد» في الشخصية؛

من مواليد العام 1991، 27 نيسان/ ابريل، كان يدرس دبلوم هندسة في جامعة البلقاء التطبيقية، من سكان حيّ نزال، من عائلة تنتمي إلى الطبقة الوسطى، ووالده قريب من خطّ الإخوان المسلمين، ووالدته (مدنية الأشقر)، هي ابنة أحد علماء الدين المعروفين في العالم العربي، د. عمر الأشقر، وكان من كبار فقهاء جماعة الإخوان المسلمين.[1]

شقيقته (فاطمة) تعمل في مجال التدريس،[2] ووالدته مدرّبة في مجال تخفيف الوزن والتغذية، ولديه شقيق آخر.[3] وقد تربّى (عبدالله) منذ الصغر في حلقات في المسجد، بخاصة مسجد الصالحين، الذي كان ينشط فيه، ويقوم بتدريس القرآن، والمشاركة في الأنشطة المختلفة، وانتمى مبكّراً لجماعة الإخوان المسلمين، فهو صناعة إخوانية، تقريباً، منذ صغرة إلى مرحلة الجامعة.

يقول أحد أصدقائه « تعرّفت عليه في الجامعة، في العام 2010، عندما كان يدرس في الجامعة، وكان وقتها عضواً ناشطاً في الاتجاه الإسلامي، في الجامعة، ونمت بيننا صداقة وطيدة، بسبب إعجابنا المشترك بتنظيم «القاعدة»، وبشخصية أسامة بن لادن، وبمفهوم الجهاد، وما تقوم به حركة حماس في فلسطين من قتال لليهود».[4]

---

(1) انظر إلى صفحة والدته على موقع التواصل الاجتماعي: https://www.facebook.com/ooom.abdallah

(2) https://www.facebook.com/fatima.abuhalimeh

(3) https://www.facebook.com/yahya.najeh.180?fref=pb&hc_location=friends_tab

(4) لقاء مع صديقه رفض ذكر اسمه في الكتاب، وزميله في الجامعة، بتاريخ 20-7-2017، في عمّان.

ويضيف صديقه أنّهما كانا يلقبان من قبل أصدقائهم في جماعة الإخوان، من الطلاب، على سبيل المزاح، بأنّهما «التيار الجهادي في جماعة الإخوان المسلمين»، وهو توصيف يعكس التوجهّات الفكرية لـ (عبدالله) واهتماماته.

يشير أصدقاؤه إلى أنّه، بالرغم من مشاركته مع «الإخوان» بنشاطات اتحاد الطلبة، والتزامه بما يطلب منه، إلاّ أنّ اهتمامه الأكبر ونشاطه الدائم هو في «العمل المسجدي»؛ أي النشاطات داخل المساجد، المعروفة لدى «الإخـوان»، من تدريس القرآن، والأنشطة الأخرى، مثل الرحلات، والتربية الروحية، والأخلاق، فهو أقرب إلى هذه الجوانب من الأنشطة السياسية والحزبية، التي لم تكن من ضمن اهتماماته وأولوياته، كما يقول أصدقاؤه المقربون، إلاّ ضمن اهتمامه بالقضية الفلسطينية وموضوع الجهاد، وأحوال المجتمعات العربية والمسلمة بشكل عام.[1]

كان (عبدالله) صديقاً لأنس، ولجهاد، ولمجموعة من شباب الإخوان المسلمين في حيّ نزال، وكان مثلهم على درجة كبيرة من التأثّر بما يحدث خلال لحظة «الربيع العربي»، بخاصة في سورية، وما تتناقله شاشات التلفاز من صور المذابح والقتل، والانشقاقات داخل الجيش السوري، ما عزّز عواطفه الجهادية، وأحدث لديه رغبة في القتال في سورية، مع تشجيع متبادل بينه وبين أصدقائه الآخرين، جهاد وأنس.

ويذكر أحد أصدقائه بأنّه كان يتحدث منذ فترة مبكّرة عن السفر إلى سورية، ويتشارك هذه الأفكار والمشاعر، بصورة خاصة، مع أصدقائه من جماعة الإخوان في حيّ نزال، ومع (أنس)، حتى قرر هو وأنس المغادرة، بصورة منفردة إلى هناك، ما تمّ فعلاً في الشهور الأخيرة من العام 2012، بعد أن أعلن على موقع التواصل الاجتماعي، أنّه ذاهب إلى تأدية العمرة، ويبدو أنّه انتقل بعد ذلك إلى سورية.[2]

في البداية، انضمّ (عبدالله) إلى كتائب الإيمان، في ريف حماة، وهي كتائب مقرّبة من جماعة الإخوان المسلمين، واستمر معهم إلى بضعة أشهر، إلى أن وصل إلى قناعة بأنّ

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

نقص الموارد والخبرة العسكرية لدى الكتائب يحدّ من قوتها وتأثيرها، فانتقل بعد فترة قصيرة إلى «جبهة النصرة»، وانضم إليها، ليلتحق به كلّ من أنس وجهاد وإسحاق، وأردنيون آخرون، في ريف إدلب.

السؤال المهم يتمثل فيما إذا كان الانتقال إلى سورية، وتحديداً «جبهة النصرة»، يعتبر نقطة تحوّل في مسيرة (عبدالله) أو انعطافة من اتجاه فكري إلى آخر، أم أنّ هنالك تواصلا وخطاً متدرجا، بدأ بـ «الإخوان» والميول الجهادية لديه، ووصل به إلى «جبهة النصرة»، من دون وجود قفزة كبيرة من اتجاه فكري إلى آخر؟

هذا السؤال مهم في حالة (عبدالله)، نظراً لأنّ أصدقاءه يقولون إنّه بالرغم من انتمائه للإخوان المسلمين منذ الصغر، والتزامه بخط الجماعة السلمي في الأردن، وبمواقفها السياسية، إلاّ أنّه كان لا يخفي ميوله الجهادية، سواء في فلسطين سابقاً أو دعم الثورة السورية لاحقاً، وحتى إعجابه بقيادات في «القاعدة»، وهذا ما نلحظة حتى على صفحته على «الفيس بوك»، موقع التواصل الاجتماعي.

بالعودة إلى صفحة (عبدالله) على موقع التواصل الاجتماعي، «الفيس بوك»، منذ العام 2012 إلى العام 2014، نجد أنّ هنالك خطّاً واضحاً في كتاباته، يبدأ بوضوح التزامه مع جماعة الإخوان المسلمين وأفكارها وأنشطتها، إلى منتصف العام 2013، إذ كان يتحدث عن «الجماعة» بوصفها البذرة التي زرعها البنا، مؤسس «الجماعة»، في مصر، وجنى محمد مرسي، الرئيس المصري المعزول ثمارها.[1]

ونجده أيضاً يتغنى بأسامة بن لادن والقائد الشيشاني، سامر سويلم، الملقب خطاب، حتى أ\إنّ البروفايل الشخصي له على صفحته على «الفيس بوك» هو صورة خطاب، ومن الواضح أنّه معجب بشخصيته بصورة خاصة، وهذه المواقف لديه نجدها منذ العام 2012؛ أي قبل سفره إلى سورية وانضمامه أولاً لكتائب الإيمان، في ريف حماة المقربة من «الإخوان»، ثم انتقاله إلى «جبهة النصرة»، ما يعزز الفكرة

(1) https://www.facebook.com/profile.php?id=100000960188198 (لاحقاً وجدنا أنّ صفحته تمّ حذفها من موقع «الفيس بوك»، إما بسبب المحتوى أو التقادم والوفاة)

التي ذكرناها سابقاً وتتمثل في أنّه منذ انضمامه إلى جماعة الإخوان المسلمين كان يميل إلى الأفكار الجهادية، ومتأثراً بها، ثم جاءت أحداث الربيع العربي، وسورية تحديداً، لتطلق هذا المكبوت الشعوري لديه، وتغذيه بصورة كبيرة، ويتضح ذلك من خلال حجم الاهتمام بما يحدث في سورية على صفحته، إذ نجده يتحدث، باستمرار، عن المجازر وأخبار الثورة السورية، وعن الجانب العسكري، بداية من الانشقاقات وصولاً إلى العمليات، ويشير إلى خطب الشيخ السعودي، محمد العريفي، الذي كان من أكثر الداعين إلى القتال في سورية.[1]

في صفحته في وقت مبكّر من العام 2012، يشيد بالداعية السعودي المعتقل خالد الراشد، المعروف بقربه من «التيار السلفي الجهادي»، وبأحد قادة «القاعدة» في اليمن، فهد القصع، الذي قُتل في قصف أميركي، ويتحدث عن رجولة أسامة بن لادن، ويضع صورة لأبي قتادة الفلسطيني، الذي سلمته بريطانيا للأردن، ويقول له «نفتخر بوجودك بيننا»، وأبو قتادة معروف بأنّه من منظّري السلفية الجهادية والقريب من «القاعدة»، ويضع صورة لكلاشينكوف ويقول بأنّه «أمنية حياتي». وفي الوقت نفسه يشارك أنشطة «الإخوان» من مسيرات لدعم «الأقصى»، ويتحدث بفخر عن محمد مرسي، رئيس مصر السابق، ويضع شعار الإخوان المسلمين على صفحته مفتخراً بالجماعة.[2]

هذا وذاك يؤكدان على أنّه كان يجمع في شخصيته هذه الميول، فهو من الإخوان المسلمين تنظيمياً، وعاطفياً وفكرياً متأثر بأفكار الجهاد، بخاصة في فلسطين، ثم سورية، ومتعاطف مع القاعدة وأسامة بن لادن، وقياداتها الأخرى، يمكن القول بأنّه كان يضع رجلاً في الإخوان والأخرى في «التيارات الجهادية» عموماً، و «القاعدة» خصوصاً.

المنشور الذي قد يمثّل علامة فارقة على صفحته على «الفيس بوك»، وليس نقطة تحوّل - لأنّه كما قلنا كان لا يحمل أفكاراً عدائية لـ «القاعدة»، بل متعاطفاً معها، لكنه لم يكن قد حسم موقفه من تأييدها أو الانضمام إليها- هو عندما أعلن بأنّ «جبهة

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه.

النصرة هي الحل الإسلامي في سوريا»، وكان على ما يبدو قد حسم خياراته وانضم إلى «الجبهة»، ثم في 20 كانون الأول/ ديسمبر 2013 وضع علم النصرة على صفحته، وكان في تعليقاته مع أصدقائه يدافع عنها بالقول «ومهما كان هناك أخطاء فهم أفضل من الذين يجلسون في بيوتهم وينظِّرون على المجاهدين فعلوا كذا وكذا وهكذا أفضل والجماعة الفلانية والفصيل الفلاني، بل منهم من يصد عن سبيل الله وهم كثير فيقول هي فتنة وليس هناك تنظيم وهم بحاجة المال والسلاح فقط وأنت على ثغر حتى وصلنا إلى ان نسمع من بعض المشايخ دروساً في إقناع الشباب بعدم الجهاد في سوريا».[1]

وفي تعليق عبدالله السابق انتقادٌ مُبَطّنٌ لجماعة الإخوان المسلمين، بخاصة في حيّ نزال، إذ بدأوا يشعرون بالقلق من تحفيز عبدالله وأنس وجهاد لكثير من أصدقائهم من شباب الإخوان المسلمين للحاق بهم إلى سورية، والانضمام إلى «جبهة النصرة»، فـ«استيقظت» قيادة الجماعة إلى ضرورة محاولة منع تسرب أعضاء آخرين، تحت تأثير هؤلاء الشباب، كما يذكر أصدقاؤهم من أبناء الجماعة.[2]

كانت وجهة نظر (عبدالله)، كما ينقل عنه أحد أصدقائه، هي أن يشاركوا في مشروع الثورة السورية، ما يؤدي إلى التخلص من بشار الأسد، وفي الوقت نفسه يمثّل ذلك إعداداً عسكرياً لهم، ولجيل جديد، من أجل المهمة التي كان يتوق لها وهي «تحرير فلسطين»، وربما تذكّرنا هذه الفكرة بما حدث خلال فترة الجهاد الأفغاني في مرحلة الثمانينيات، عندما قاد د. عبدالله عزّام، أحد قيادات جماعة الإخوان المسلمين في الأردن، الذي كان يعمل حينها في السعودية، الحملات الترويجية لمشاركة الشباب العرب في القتال الأفغاني، ضد الحكومة المتحالفة مع الاتحاد السوفييتي حينها، وكانت حجّة عزّام في التوجه نحو أفغانستان، لا فلسطين، هي أنّها مرحلة إعداد عسكري وتدريب للشباب الإسلاميين، من أجل مهمة تحرير فلسطين، طالما أنّ الحدود الجغرافية مغلقة أمام المهمة المنتظرة!

(1) المرجع نفسه.

(2) لقاء مع صديق لعبدالله، مصدر سبق ذكره.

في تفسير وجوده في «جبهة النصرة»، كان يقول (عبدالله) لأصدقائه في الأردن بأنّها - أي الجبهة - أفضل الخيارات الموجودة، لما تمتلكه من خبرة قتالية وإمكانيات غير متوافرة لدى فصائل إسلامية أخرى، مثل كتائب الإيمان المقربة من الإخوان، التي انضم إليها في البداية، وأنّها - أي النصرة - بالرغم من أخطائها فهي تقوم بمهمات كبيرة، وكان يرى أنّ زيادة عدد المعتدلين في صفوف تلك الحركات سيؤدي إلى تخفيف حدة التطرف الموجودة، وحماية الثورة السورية من الانزلاق إلى ذلك المستوى.

مثل هذا الموقف، الذي اتخذه (عبدالله) وأصدقاؤه جهاد وأنس، لتبرير انضمامهم إلى «جبهة النصرة»، لم يؤدّ إلى تغيير في مسار الحركة، ولا إلى زيادة منسوب الاعتدال فيها، لكنّه دفع إلى تغيير في أفكار ومواقف المجموعة الإخوانية فيها، وإذا كان (عبدالله) أبقى على شعرة معاوية مع «الإخوان»، ولم يصل إلى انتقادات علنية أو إلى انقلاب موقفه من جماعته الأمّ، فإنّ الحال كانت مختلفة لدى كل من جهاد وأنس، اللذين بدأت تظهر عليهما آثار فكر جبهة النصرة، في دردشاتهما الخاصة مع أصدقائهما السابقين من الإخوان في الأردن، الذين لاحظوا أنّهما - أي أنس وجهاد-، بخلاف (عبدالله)، أصبحا أكثر تأثراً بأفكار «النصرة» وأكثر وضوحاً في انتقاد جماعة الإخوان المسلمين.

أصبح (عبدالله) مسؤولاً عسكرياً، ومدرّباً في «النصرة»، وسمّى نفسه بـأبي مهند الفلسطيني، وقُتل في شهر تشرين الأول/ اكتوبر 2014، بعد أيام من مقتل صديقه جهاد.[1]

(1) انظر إلى، موقع عاجل، مقتل أحد قياديي ومدربي «النصرة» وخلافات بجبل الزاوية، بتاريخ 26-10-2014، على الرابط التالي: http://breakingnews.sy/ar/article/47901.html

4. استنتاجات؛

لا تخرج حالة (صالح)، في المجمل، بما توافر لدينا من معلومات ومعطيات، على المعالم العامة للنماذج السابقة، فهو طالب جامعي، من جماعة الإخوان المسلمين، كان معروفاً بنزعته إلى السخرية، يدرس الهندسة، من سكان حيّ نزال، من مواليد العام 1995.[1]

إذا عدنا إلى الحالات السابقة؛ سنجد أنّ هنالك قواسم مشتركة عديدة بينها، سبق أن أشرنا إليها في المقدمة، وثنايا الفصل، من بينها أنّهم ينتمون إلى جماعة الإخوان المسلمين، وكانوا معروفين بنزوعهم إلى الأفكار الجهادية، التي تربوا عليها من خلال تأييد حركة حماس في فلسطين، لكنّها تُرجمت عملياً في المشهد السوري، وهنالك قاسم آخر، فهم غالباً شباب، من مواليد النصف الأول في عقد التسعينيات (1990-1995)؛ أي أنّهم إما قبل أو في بداية العشرينيات من عمرهم، في مرحلة تتغلّب فيها العواطف على الحسابات العقلية، وعندما خرجوا لم يكونوا متزوجين، ويقعون من حيث الطبقة الاجتماعية ما بين المتوسطة الدنيا والفقيرة، وهم طلاب جامعيون، وعائلاتهم جميعاً متدينة محافظة.

من خلال الشهادات السابقة؛ لاحظنا، أيضاً، أنّ هنالك عوامل مؤثّرة ورئيسة ساهمت في دفع الشباب إلى أحضان جبهة النصرة، من بينها ما حدث في سورية نفسها من مشاهد قتل وتدمير، وتفاعلهم الشديد مع الأحداث هناك، ذلك تفاعل مع نزوع «جهادي» لديهم وتربية مرتبطة بالمخيال «الجهادي».

لكن العامل الآخر، الذي وجدناه مهمّاً في هذه الحالات، يتمثل في دور التربية الإخوانية، بخاصة في بعض شعب الإخوان، المحسوبة على ما يسمى تيار «الصقور» في الجماعة، والتي تتسم بالتعاطف الشديد مع حركة حماس، مثل حيّ نزال، إذ يكون هنالك منسوب مرتفع من «الأفكار الجهادية الحماسية»، والأناشيد التي تحث على

(1) لقاء مع صديق لهم جميعاً (أ.ف) بتاريخ 12-7-2017.

الجهاد، وهي وإن كانت مركّزة في دعم كتائب عز الدين القسّام، الجناح العسكري لحركة حماس، لكنّها في الوقت نفسه تحمل معاني دينية عديدة في أهمية الجهاد، والشهادة في الإسلام، وفضيلة ذلك، وهي الأفكار التي ساهمت في دور كبير بتنشئة كل من أنس وعبدالله، كما لاحظنا، وربما أعداد أخرى من شباب الإخوان، الذين وإن شاركوهم تلك الآراء، إلاّ أنّهم ربما لم يفعلوا ذلك لأسباب نفسية أو اجتماعية أو فكرية خاصة بهم، لكنّهم، كما يذكر بعضهم، كانوا مترددين جداً بين اللحاق بأصدقائهم، تحت تأثير دعواتهم لهم بالحضور إلى سورية والمشاركة في القتال هناك.[1]

يشير أصدقاؤهم إلى أنّ موقف جماعة الإخوان في البداية كان سائلاً، غير واضح، بل لقي سفر هؤلاء الشباب بدايةً ترحيباً من أوساط إخوانية، على اعتبار أنّهم ذاهبون للقتال لنصرة الشعب السوري. لكن في مرحلة لاحقة بدأ الموقف العام يتغيّر، عندما أخذ الذاهبون يحاولون التأثير في الآخرين بخاصة أصدقائهم في حيّ نزال ليذهبوا مثلهم إلى سورية، ما جعل الجماعة تشعر بالقلق، وتحاول أن تستعين بشخصيات تعارض فكرة الذهاب ليحاضروا على شباب الإخوان.[2]

ومن زاوية أخرى، اتضح لدى «الجماعة» في عمان بأنّ الشباب الذاهبين انتقلوا إلى «جبهة النصرة»، ما أثار المخاوف والقلق من وجود تحولات فكرية وأيديولوجية لديهم، بسبب الاختلافات على هذا الصعيد بين «جبهة النصرة» وجماعة الإخوان المسلمين.

لم تكن هنالك «ممانعة» حقيقية لدى «الجماعة» تجاه الشباب الذين ذهبوا، إنّما عملت على منع آخرين من الالتحاق بهم، خشية من التحول إلى «جبهة النصرة»، لكن الشباب السابقين لم يجدوا «حاجزاً» فكرياً أو نفسياً كبيراً في الانتقال إلى «جبهة النصرة»، بل يرى أحد أصدقائهم من الإخوان أنّ « الجماعة واجهت مشكلة حقيقية في مناقشة الذين يدعون إلى المشاركة هناك، إذ إنّ شيوخ الجماعة الصقور كانوا يقولون بوجوب الجهاد في مواجهة الحكام الظالمين، والجماعة تدعم الثورة السورية، وهنالك

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه، وكذلك مقابلة مع (م.ج) المرجع السابق.

حرب بين المعارضة والنظام السوري، الذي نكّل بالجماعة سابقاً، والجهاد في مثل هذه الحالة واجب لمن يستطيع إليه، وفقاً لتلك الآراء الدينية والسياسية، المتداولة في جماعة الإخوان، فما الذي يمنع، إذاً، شباب الجماعة من الانتقال للمشاركة في دعم الثورة المسلّحة ضد النظام السوري؟!».[1]

في المحصلة، بالرغم من محدودية عدد من تخلّوا عن جماعة الإخوان المسلمين والتحقوا بالقتال في سورية، مع «جبهة النصرة»، إلاّ أنّ ذلك يفتح الباب لأسئلة مستقبلية عن مدى حصانة أبناء «الجماعة» ثقافياً وفكرياً ونفسياً من الانجرار إلى جماعات تتبنى أيديولوجيات دينية متشددة مقارنة بما تعلنه «الجماعة».

(1) أحد أصدقائهم، الذين يعفر جهاد وأنس وعبدالله، مقابلة معه بتاريخ 20-8-2017.

– 2 –

من «القطبية» إلى «الجهادية»

قُتل (رياض هديب) في سورية، في بداية 2013، وكان أحد القادة الشرعيين البارزين في «جبهة النصرة». أي المتخصصين بالعلوم الشرعية، بعد أن أمضى عاماً هناك، وكان قبل ذلك قد قاتل في العراق في العام 2005، وعاد إلى الأردن، وكان شقيقه عادل (طبيب بيطري) قُتل بعد الاحتلال الأميركي 2003، إلى جانب المقاومة العراقية، في معركة المطار المشهورة بين المقاومة والقوات الأميركية غداة الاجتياح.[1]

نموذج (رياض هديب) أكثر تعقيداً من النماذج الأخرى، فهو في الأصل من جماعة الإخوان المسلمين، منذ أن كان طالباً في الجامعة، كما يشير معارفه وأصدقاؤه من أبناء «الجماعة»، وكان متأثراً – لدرجةٍ كبيرة– بأفكار سيد قطب، درس البكالوريوس في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ثم الماجستير، وعندما غادر إلى سورية، في بداية العام 2012، لينضم إلى «جبهة النصرة» هناك، كان في الفصل الأخير من الدكتوراه، بتخصص الحديث النبوي.[2]

هو متزوج، ولديه ستة أبناء، وزوجته مدرّسة في مدرسة إسلامية خاصة، وتدرس الدراسات العليا. هو من مواليد العام 1975، من عائلة تنتمي إلى الطبقة الوسطى، سكّان حيّ المهاجرين القريب، في جبل عمان، وكان يعمل مدرّساً في مدارس خاصة ذات طابعٍ إسلامي.[3]

---

(1) انظر إلى بعض التقارير الصحفية والإعلامية عن رياض هديب، الطحاوي يعلن استشهاد المسؤول الشرعي لجبهة النصرة، موقع عمون الإلكتروني، 15–1–2013، على الرابط التالي: http://www.ammonnews.net/article/142238،

وكذلك: رائد رمان، استشهاد إمام مسجد أردني بقصف جوي في سورية، صحيفة السبيل اليومية، 15–1–2013،

وأيضاً انظر: عائلة الدكتور هديب تؤكد استشهاده في سورية وتستقبل المعزّين اليوم، موقع البوصلة الإلكتروني 15–1–2013،

(2) لقاء مع أحد أصدقائه وزملائه، فضّل عدم ذكر اسمه، في 9 أيلول/ سبتمبر 2017.

(3) المرجع نفسه.

لا توجد تفاصيل كثيرة عن طفولة (رياض هديب)، لكن ما هو معروف أنّه كان متديناً منذ صغره، ودرس في الجامعة الأردنية (بين الأعوام 1993-1997) بكالوريوس شريعة، وعمل إماماً ومدرّساً في مسجد في منطقة الجبيهة، وأكمل دراسة الماجستير، وكان خلال تلك المدّة مرتبطاً بجماعة الإخوان المسلمين، ومشاركاً فاعلاً في أنشطتها، وينتمي لمدرستها الفكرية بصورة كبيرة، كما يذكر أحد معارفه من نواب جبهة العمل الإسلامي الحاليين.

علاقته بالإخوان المسلمين رسمياً انتهت في العام 2003، كما يرجّح بعض أصدقائه من «الجماعة»، قبل أن يغادر إلى العراق ويقاتل هناك إلى جانب المقاومة، لكن بعد عودته في العام 2005، بقي على علاقة جيّدة وتواصل مستمر مع أصدقائه من الإخوان المسلمين، وكان على علاقة صداقة وزمالة مهنية ويمثلون الحلقة القريبة منه، بالرغم من الاختلافات الفكرية التي بدأت تظهر فيما بينهم، كما يذكر أحد زملائه.[1]

نقاط التحوّل وأسبابه

يرى صديق له، نائب في مجلس النواب الأردني عن حزب جبهة العمل الإسلامي، أنّ (رياض) ينتمي - بصورة كبيرة- إلى مدرسة الإخوان المسلمين الأيديولوجية، لكن مقتل شقيقه الأصغر، في العراق (في معركة المطار)، أثّر فيه كثيراً، وكانا قريبين من بعضهما، وشقيقه في الأصل كان قريباً أيضاً من جماعة الإخوان المسلمين.[2]

إلاّ أن صديقاً آخر لـ (رياض)، من الإخوان أيضاً، يشير إلى عوامل أخرى، من ضمنها شخصية (رياض) نفسها، فهو بطبعه عاطفي، لديه حب شديد للدين، وكان أقرب إلى مدرسة سيد قطب، وهي مدرسة أيديولوجية أقل مرونة من المدرسة البراغماتية في داخل الجماعة، وكان لأجل ذلك يشعر بأنّ الإخوان يقدّمون تنازلات للدولة أكبر مما ينبغي، وأنّ ذلك فيه إضعاف للمبادئ التي يحملونها.[3]

(1) حوار مع صديق له، فضّل عدم ذكر اسمه، المصدر السابق.

(2) مقابلة مع النائب أحمد الرقب، عضو مجلس النواب عن جبهة العمل الإسلامي، بتاريخ 10-9-2017.

(3) حوار مع صديق له، فضّل عدم ذكر اسمه، المصدر السابق.

ومن المعروف أنّ «الإخوان» ابتعدوا تقليدياً عن مدرسة سيد قطب العقائدية الأيديولوجية، وأخذوا مع مرور الوقت، منذ بداية التسعينيات يقتربون من المدارس البراغماتية، ويندمجون أكثر في العملية السياسية، وأعلنوا قبولهم بالديمقراطية والتعددية في العام 2003، وربما لو نظرنا إلى هذه التطورات في الخطاب الإخواني؛ فإنّها تتناقض - إلى درجة كبيرة - مع ما تتبنّاه مدرسة سيد قطب، التي يرى زملاء رياض أنّه أقرب إليها.

إذاً المسافة بين ما يؤمن به وسلوك الإخوان البراغماتي ساهم بدرجة كبيرة إلى خلخلة علاقة (رياض) بـ «الجماعة»، ثم يمكن أن نضيف إلى ذلك مقتل شقيقه في العراق، وشعور رياض بعداوة مع الأميركيين، كل ذلك ساهم بانتقاله التدريجي من «الجماعة» إلى «السلفية الجهادية».

منذ العام 2007 طرح (رياض) على رفاق له رغبته بالعودة إلى العراق، لينضم إلى المقاومة الإسلامية هناك، ضد القوات الأميركية، لكنّ رفاقه أقنعوه بعدم الذهاب إلى هناك لأسباب متعددة، منها حالة الفوضى والاقتتال الداخلي والخلافات بين الفصائل الجهادية نفسها. لكن أحدهم لاحظ لاحقاً بأنّ (رياض) لم يعد يتحدث معهم بصراحة عن رغباته، كما كانت عليه الحال سابقاً، حتى إنّه لم يخبرهم بنيته الذهاب إلى سورية قبل أن يعرفوا بعد ذلك، بالرغم من بقاء التواصل بينهم بحكم الصداقة والزمالة في العمل![1]

من القصص، التي يذكر زملاؤه أنّها أثرت فيه؛ تلك المواجهة التي حدثت بين حركة «حماس» و «تيار السلفية الجهادية» في غزة، في آب/ أغسطس 2009، في مسجد ابن تيمية، إذ كان الطبيب عبد اللطيف موسى (الملقب أبو النور)، قد أعلن إقامة إمارة إسلامية في غزة، ثم انتهت المواجهة المسلّحة إلى مقتله.[2]

(1) المرجع نفسه.

(2) انظر إلى: عبد اللطيف موسى.. مؤسس أول إمارة إسلامية في غزة، موقع بوابة الحركات الإسلامية، 13 آب/ اغسطس 2015، على الرابط التالي: http://www.islamist-movements.com/30832

يتذكر أصدقاء (رياض هديب) أنّه ناقشهم بغضب من موقف «حماس» وما قاموا به، وأعرب عن عدم رضاه عن ذلك، وشعروا خلال تلك الأعوام أنّ علاقة (هديب) بـ «التيار السلفي الجهادي»، على صعيد القيادات فقط، مثل أبو محمد المقدسي أَصبحت أكثر قوة وعمقاً، ويبدو أنّ تطور تلك العلاقة تزامن مع دخول جيل جديد على «السلفية الجهادية»، نسبة منهم من الأكاديميين وذوي الشهادات العلمية العليا، حاصلين على درجات الدكتوراه والماجستير أو أطباء وغيرهم، مع ذلك لم تكن علاقة (رياض) بالمقدسي وأقطاب «السلفية الجهادية» معروفة لدى أغلب أبناء التيار نفسه، ويبدو أنّها كانت خاصة وبإطارٍ محدود، لكن بعد أن قتل (هديب)، وأقام ذووه ما يسمى «عرس الشهيد»، أمّت أعداد كبيرة من الجهاديين الموقع، وكان «التيار السلفي الجهادي» نفسه، هو من أعلن مقتل (هديب)، وليس جماعة الإخوان المسلمين، التي تركها سابقاً، ويبدو أن «الجهاديين» أصبحوا يرونه أقرب إليهم.[1]

بالرغم من ذلك بقيت شخصية (رياض) خليطاً بين «الإخوانية» و «السلفية الجهادية»، فأصدقاؤه وزملاؤه في المدرسة مقربون من الأخوان المسلمين، وهو أقرب إلى سيد قطب ومدرسته، لكن حبه للقتال، تحت عنوان الجهاد، كما يذكر صديقه، وابتعاد «الإخوان» عن مدرسة سيد قطب، وقصة مقتل شقيقه على يد الأميركان في معركة المطار، كل تلك الأحداث في حياته، جعلته يتدرّج نحو «السلفية الجهادية»، وينتهي مقتولاً بوصفه قائداً لـ «النصرة».

ربما يكشف هذه المفارقاتَ أو الملابسات في نموذج (رياض) أنّ من تحدّث في الاحتفال، الذي أقامه ذووه بمقتله (شهادته) هو أحد قادة جماعة الإخوان المسلمين سابقاً، د. صلاح الخالدي، وهو من أبرز المعروفين بانتمائهم والتزامهم بمدرسة سيد قطب الأيديولوجية، وكان قد كتب رسالة الدكتوراه عن سيد قطب.[2]

---

(1) لقاء مع صديق له، لِـ فضّ عدم ذكر اسمه، المصدر السابق.

(2) انظر مقطع فيديو مصوّر لكلمة الخالدي في «عرس الشهيد»، على الرابط التالي:

https://www.youtube.com/watch?v=AemumQMqjq8&t=3s

يلخّص نموذج (رياض هديب)، من زاوية أخرى، جدلية سبق وأن أشرنا إليها عند الحديث عن مجموعة «حي نزّال» (ذوي الخلفية الإخوانية)، وهي التباينات، وفي أحيان التناقضات، بين التربية الإخوانية والواقع السياسي، أو حتى السلوك السياسي لجماعة الإخوان المسلمين. فـَ (رياض) – كأولئك الشباب– كان يجادل بأنّ ما تعلّموه وما درسوه ويدرّسونه هو أنّ «الجهاد» فرض على المسلمين، في حالة الاحتلال أو مقاومة الطغيان، وواقع الحال في سورية، كما كانت في العراق، منذ العام 2003، وفقاً لهذه الرؤية، ينطبق عليه «واجب الجهاد»، فلماذا إذاً التخلّي عن هذا الواجب، ومحاولة اختلاق الأعذار بعدم القيام به؟!.[1]

وفقاً لأصدقائه كان هذا أساس الجدال بينه وبينهم، وربما لو عدنا قرابة ثلاثة عقود ونصف العقد، لوجدنا بأنّ من أسس للمشاركة العربية في «الجهاد الأفغاني»، كان أحد قادة الإخوان المسلمين سابقاً في الأردن، د. عبدالله عزّام، وهو «الجهاد» الذي مهّد الطريق لاحقاً لتأسيس تنظيم «القاعدة» على يد أسامة بن لادن بالتحالف مع حركة الجهاد المصرية، بقيادة أيمن الظواهري. ولو عدنا إلى أصول جماعة الجهاد، لوجدنا أنّ أفكار سيد قطب حول الحاكمية والكفر بالطاغوت (أي نزع الشرعية عن الحكومات غير الإسلامية)، ورفض حلول «منتصف الطريق»، بالإصرار على إقامة الدولة الإسلامية، هي الأفكار الأمّ لتأسيس الجهاد المصرية، والحركة الراديكالية الإسلامية عموماً، التي ينتمي إليها (رياض هديب) فكرياً، قبل أن ينتمي إليها عملياً في الأعوام الأخيرة من حياته، عبر اقترابه من «السلفية الجهادية»، ثم ليصبح قائداً في «جبهة النصرة»، المنبثقة عن «القاعدة».

خلاصة الأمر: أنّ تفسير نموذج (رياض) يدخل ضمن الدائرة الأيديولوجية التي تبدأ من أفكار سيد قطب، مروراً بنموذج عبدالله عزام، والسلفية الجهادية، وموقع مفهوم الجهاد لدى الفلسطينيين، عموماً، الذين لعبوا دوراً كبيراً في الحركة الجهادية

(1) لقاء مع صديق له، فضّل عدم ذكر اسمه، المصدر السابق.

المعاصرة، من د. صالح سرية، في قضية الكلية الفنية العسكرية في مصر، في منتصف السبعينيات، إلى سالم الرحّال، نحو عبدالله عزام، فأبو محمد المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني، وأخيراً أبو أنس الشامي، المرشد الروحي لأبي مصعب الزرقاوي.[1]

بهذا الخصوص؛ يشير أحد أصدقاء (رياض) إلى أنّه كان متأثراً أيضاً بنموذج أبو أنس الشامي، واسمه عمر يوسف، وكان إمام مسجد في منطقة صويلح، وأقرب إلى المدرسة السلفية الحركية، متأثراً بالدكتور سفر الحوالي في السعودية، حيث عاش ودرس هناك، لكنّه - أي أبو أنس- انتقل في الأعوام الأخيرة، بعد احتلال العراق، وغداة أحداث 11 سبتمبر، من «السلفية الحركية» إلى «السلفية الجهادية»، فأصبح قريباً من المقدسي، ومنتقداً للحوالي، الذي أخذ موقفاً ناقداً من قيام القاعدة بتفجيرات 11 سبتمبر، بينما كان أبو أنس يؤيدها، ثم انتقل فجأة إلى العراق، وانضم إلى الزرقاوي، وأصبح المستشار الشرعي له، قبل أن يقتل في العراق في العام 2004.

(رياض هديب)، وإن كان من «الإخوان» وليس «سلفياً» مثل أبو أنس الشامي، إلاّ أنّه مرّ بمراحل شبيهة، من التحوّل نحو انتقاد مرجعيته الحركية الإخوانية، والانتقال إلى المرجعية الفقهية والعقائدية السلفية الجهادية، في الأعوام الأخيرة، وربما لذلك نجده متأثراً بشخصية أبو أنس الشامي، الذي قاتل في العراق وقُتل هناك، كما فعل (رياض) الذي قاتل في العراق وقُتل في سوريا، بعد قرابة 10 أعوام على مقتل الشامي في العراق.

(1) المصدر السابق.

– 3 –

عبد الرحمن: التدرّج من التبليغ إلى «داعش»

في مساء يوم السبت 30 حزيران/ يونيو 2016 قُتل عدد من قادة الجيش الحرّ، في أحد المنازل في بلدة أنخل (في ريف درعا الغربي)، ومن بين القتلى قاسم محمد السمير، قائد المجلس العسكري في أنخل، وقائد لواء مجاهدي حوران، وقُتل في العملية، أيضاً، امرأة وطفل صغير، كانا في المنزل لحظة الانفجار.[1]

تبنّت المواقع المحسوبة على جيش خالد بن الوليد[2] العملية، وأعلنت أنّ منفذها هو المدعو «أبو حمزة المهاجر» الأردني، لكن من دون توضيح أو إفصاح عن الاسم الحقيقي له، باستثناء الإشارة إلى أنّ من قام بها هو أردني ووصفته بأنّه «أسد من أسود الطفيلة».

مررت وسائل الإعلام العربية والأردنية الخبر من دون البحث عن اسم منفذ العملية، ولم يتم الإعلان (كما يتم في بعض الأحيان) من قبل ذويه بصورة كبيرة على مواقع التواصل الاجتماعي عن فتح «بيت لعرس الشهيد»، لكن الصورة التي نشرت في مواقع «داعش» لمنفّذ العملية قادتنا إلى معرفته عبر مواقع التواصل الاجتماعي، من خلال أحد «البروفايلات الرئيسة»، تبيّن أنّها تعود إلى شقيقه الأكبر، ثم إلى صفحته، التي بتصفحها تمكنا من الوصول إلى عدد من أصدقائه المقربين.

المرحلة الأولى: بعيداً عن التديّن

منفّذ العملية هو (عبد الرحمن)، من مواليد 11–7–1990، مدينة الإحساء في محافظة الطفيلة، مسقط رأسه، والده كان يعمل في شركة الفوسفات، ليس متعلماً أنهى الثانوية العامة، لكنه – أي والده– كان ملتزماً مع جماعة الدعوة والتبليغ، وسافر

(1) انتحاريان من جيش خالد بن الوليد يوديان بحياة ستة من قادة الجبهة الجنوبية بدرعا، موقع الدرر الشامية الالكتروني، 3–7–2016، على الرابط التالي: http://eldorar.com/node/100082

(2) أحد الفصائل الموالية لتنظيم داعش في محافظة درعا، ويتشكل من فصائل مختلفة، أبرزها شهداء اليرموك، وسيطر على مجموعة من القرى في حوض اليرموك في ريف درعا الغربي بعد أن أعلن مبايعته لتنظيم داعش.

معهم إلى الهند وباكستان. أمّا والدة عبد الرحمن، فهي غير متعلمة، وبالرغم من عدم حصولهما على التعليم الجامعي، إلاّ أنّ شقيقه الجامعي نائل يقول إنّهما مثقفان.[1]

لدى (عبد الرحمن) 6 أشقاء ذكور وشقيقة وحيدة. وعبد الرحمن هو قبل الأخير، عاش في منطقة الإحساء مع عائلته، بالقرب من عمل والده، ودرس في مدرسة الأقصى الخاصة، ذات الطابع الإسلامي، ثم أكمل دراسته في مدرسة الإحساء الثانوية للبنين.

يتحدث شقيقه الأكبر نائل عن طفولة (عبد الرحمن)، رابطاً ذلك بطبيعة البيئة في منطقة الحسا، فهي مساكن لعاملين في شركة الفوسفات من مناطق مختلفة، تشبه الزرقاء، لذلك فإنّ المراهقين يسعون إلى إثبات رجولتهم وقوتهم، وهكذا كان يفعل نائل ويقلده شقيقه الصغير (عبد الرحمن)، للذين كانا يضطران إلى الدخول في مشاجرات مع آخرين.[2]

يضيف نائل « كان عبد الرحمن صغيراً هادئاً، تم تحول إلى «مشكلجي»، وكانت لديه ميول للانحراف مثل باقي الشباب، وعندما دخلتُ الجامعة أصبحتُ أكثر حرصاً على أشقائي وأخشى عليهم من الضياع، وأخذتُ ألتزم بالخروج في المناطق القريبة مع جماعة الدعوة والتبليغ. لكن ميولي السياسية كانت أقرب إلى جماعة الإخوان المسلمين، والائتلاف الإسلامي في الجامعة، بالرغم من أنني لم أنتم رسمياً إلى الجماعة».[3]

بعدما أنهى (عبد الرحمن) دراسته الثانوية في الحسا 2008، انتقل إلى مدينة الزرقاء، للدراسة في كلية رفيدا الإسلامية، «فني مختبرات طبية»، وكان في السنة الأولى غير ملتزم دينياً، كما يذكر زميله في السكن، ليث، الذي كان يدرس معه في الكلية نفسها، ويتشاركان السكن مع عدد آخر من الطلاب.[4]

---

(1) لقاء خاص مع شقيقه في 15-7-2017.

(2) المصدر نفسه.

(3) المرجع السابق.

(4) مقابلة مع ليث عبر اتصال هاتفي بتاريخ 8-7-2017.

من جماعة التبليغ إلى الإخوان

يقول زميله « كنا في البداية في مرحلة طيش الشباب، نتعرف على الفتيات ونمضي أوقاتاً طويلة في الحديث عبر الهواتف الذكية، واستمرت الحال هكذا إلى نهاية السنة الأولى من الكلية، كانت هنالك عطلة، قرابة شهر ونصف، عاد خلالها عبد الرحمن إلى قريته الحسا في الطفيلة، ثم لما رجع كان شخصاً مختلفاً، منقلباً بصورة كلية عما نعرفه في مرحلة سابقة».

يصف زميله تلك التحولات بالقول «أصبح يحافظ على الصلاة بصورة كاملة في مصلى الكلية، ويرتدي الثوب العربي ويمسك المسواك، ويرتدي الطاقية دوماً، ملتزم دينياً بصورة كاملة، حتى المزاح المعتاد بيننا أصبح متحفظاً فيه، مع ذلك حافظ على علاقتنا معه»..[1]

يفسّر شقيقه نائل التحوّل الذي حدث مع (عبد الرحمن) بأنّه متوقع وطبيعي، كما حصل معه هو عندما دخل إلى الجامعة، وقد يكون السبب في ذلك، وفق تحليل شقيقه، إلى خلفية والدهم الدينية والدعوية، التي كانت تؤثر في أفراد الأسرة، وإن بصورة غير مباشرة.[2]

لم يكن تديّن (عبد الرحمن) سياسياً، في البداية، بل كان أقرب إلى جماعة الدعوة والتبليغ التي يؤمن والده بأفكارها، والتي تقوم على الابتعاد عن الشأن السياسي بالكلية، والتركيز على القضايا الروحية والدينية والأخلاقية، ودعوة الناس إلى الالتزام بالعبادات، ويرجّح نائل، الذي كان منهمكاً خلال تلك الفترة في عمله بأنّ (عبد الرحمن) خرج مع جماعة التبليغ للعبادة والدعوة في بعض المناطق.

المهم في الأمر أنّ «نقطة تحوّل» حدثت في صيف 2009، خلال وجوده في الاحساء، أثرت في مسار (عبد الرحمن) وقلبته من شاب غير ملتزم وليس متديّناً إلى النقيض

(1) المصدر نفسه.

(2) مقابلة مع شقيقه، المصدر السابق.

تماماً، ومن محب للفتيات والهواتف الذكية والمزاح إلى شخص يحافظ على الصلوات ويرتدي اللباس الإسلامي (كما يعتقد)، ويؤدي الصلوات في الكلية، ويؤطر علاقاته مع الآخرين وفقاً لشخصيته الجديدة.

أدى لباس (عبد الرحمن) إلى مشكلات بينه وبين عميد الكلية، الذي طلب منه التزام اللباس العادي في الكلية، لكنه رفض، ما وصل إلى حدّ توجيه إنذارات له على خلفية ذلك، يقول صديقه ليث «عندما كنت أدعوه إلى تجنب مثل هذا الاصطدام مع العميد كان يجيب «أهم شيء رضى ربي وديني».[1]

خلال فترة دراسته كان (عبد الرحمن) يعمل في محاولة لتأمين أجرة السكن ومصاريفه اليومية، كي لا يرهق أسرته مالياً.

تخرج (عبد الرحمن) في الكلية في شهر آب/ أغسطس 2010، وعاد للعمل في الطفيلة، في مركز العيص الصحي، وهناك بدأت علاقته تتوطّد مع بعض الطلاب الجامعيين، المحسوبين على جماعة الإخوان المسلمين، من خلال تأثير زميله في السكن هناك، عبدالله، وبدأت عملية إدماج عبد الرحمن بأنشطة جماعة الإخوان المسلمين هناك، وخلال تلك الفترة تعرّف عليه (عبد الرحمن)، الذي كان يدرس في جامعة الطفيلة، عبر صديقهما المشترك عبدالله، وكان صديقه عبدالرحمن أيضاً عضواً فاعلاً في جماعة الإخوان المسلمين.[2]

في الأثناء، بدأت إرهاصات «الربيع العربي»، وكان شقيقه نائل قد تمّ تعيينه في وزارة التربية والتعليم، مدرساً للتربية الرياضية، بينما (عبد الرحمن) يعمل في مركز صحي في الطفيلة، واشترك الشقيقان في الحراك الشبابي، الذي يطالب بإصلاحات سياسية وديمقراطية، ويرفع شعارات تندّد بالفساد السياسي والاقتصادي، وتطالب بمحاسبة الفاسدين.

---

(1) مقابلة مع ليث، المصدر السابق.

(2) مقابلة مع صديقه عبد الرحمن بتاريخ 12-7-2017.

يتذكر نائل كيف شارك مع (عبد الرحمن) في العديد من الفعاليات، وبالرغم من بروز حراك حيّ الطفايلة في عمان، وكان الأعلى سقفاً بين الحراكات الموجودة، بشعاراته ومطالبه، إلاّ أنّ الشقيقين (نائل وعبد الرحمن) التزما مع الحراك الإسلامي، الأقرب إلى جماعة الإخوان المسلمين، خلال تلك الفترة، وشاركا بقرابة 20 فعالية، من تظاهرات واعتصامات، أغلبها في عمان، في جبل الحسين وفي جبل القصور، وحضرا العديد من الندوات المرتبطة بمطالب التغيير، لشخصيات معارضة ذات سقف مرتفع، مثل: ليث شبيلات؛ ورياض النوايسة.[1]

اقترابه من الإخوان المسلمين والمشاركة في الحراك الشبابي المطالب بالإصلاح، يمثل المرحلة التالية من التحولات الفكرية والروحية التي حدثت لـ (عبد الرحمن)، إذ أصبح – كما يصفه صديقه عبد الرحمن– أخاً مسلماً في أفكاره وسلوكه ونشاطه، وإن لم يكن قد وصل إلى مرحلة العضوية الكاملة في الجماعة، لكنّه كان منخرطاً مع أفرادها وأنشطتهم بالكامل.[2]

لاحقاً، وبعدما أخذ الحراك الشعبي يتراجع وينتكس تأثر (عبد الرحمن) بذلك، وإن كان استمر مرتبطاً بأفكار الإخوان المسلمين، وساهم في أنشطة مركز العيص التابع لجمعية المحافظة على القرآن الكريم، وكان ناشطاً وفاعلاً في المركز، إذ حاز خلال دراسته في الزرقاء (في العام الثاني من الكلية) على شهادة إجازة في القرآن من قبل أحد الشيوخ المعروفين هناك.

بالرغم من أنّ (عبد الرحمن) بقي ملتزماً مع أنشطة الإخوان، إلاّ أنّ تراجع الأمل بالحراك الشعبي الأردني أثّر فيه، ثم الانتكاسات التي لحقت بـ «الثورات العربية»، مع ازدياد العنف في سورية، ثم الانقلاب العسكري في مصر، في شهر تموز/ يوليو 2013، كانت كل تلك الأحداث تحفر عميقاً في مشاعر وعواطف وقناعات (عبد الرحمن).

(1) مقابلة مع شقيقه نائل، المصدر السابق.

(2) مقابلة مع صديقه عبد الرحمن، المصدر السابق.

يمكن ملاحظة حجم التأثر بالأحداث المتتابعة السابقة (تراجع الحراك الأردني، ما يحدث في سورية، الانقلاب في مصر) على صفحته على مواقع التواصل الاجتماعي، «الفيس بوك»، إذ نجده يعرض صوراً لضحايا النظام السوري، بخاصة الأطفال، ثم نجده لاحقاً يغيّر «البروفايل» الشخصي ليضع عليه علامة رابعة (في إشارة إلى اعتصام رابعة الذي أدى إلى قتل وجرح مئات المعتصمين في ميدان رابعة العدوية في القاهرة)، ويكتب داعماً للرئيس المعزول في جماعة الإخوان المسلمين محمد مرسي، ويتهكم على تهمة علاقة مرسي بـ «حماس»، وينشر صوراً لتظاهرات أردنية منددة بالانقلاب العسكري المصري، وهيَ في جلّها إشارات إلى استمرار تأثره بالإخوان المسلمين من جهة، لكن وفي الوقت نفسه تأثره أيضاً بالأحداث الدرامية في المنطقة وانتكاسة الأمل بالمسارات الديمقراطية الناشئة مع الثورات الشعبية العربية.[1]

من «جبهة النصرة» إلى «داعش»

خلال تلك الفترة كان (عبد الرحمن) يتعرّف على مجموعة من الأشخاص المرتبطين بـ «التيار السلفي الجهادي»، وهم من الطلاب الذين يدرسون في جامعة الطفيلة، وقد أتوا من مدينة الرصيفة التي من المعروف أنّ «التيار السلفي الجهادي» ينتشر فيها بصورة أكبر من المحافظات الأخرى.

الشيخ سعيد، وهو طالب هندسة من الرصيفة، كان له تأثير في عبد الرحمن، وفق ما يعتقد شقيقه نائل وصديقه عبد الرحمن، وبالرغم من عدم وجود معلومات إضافية عن سعيد، سوى أنّ شقيقه غادر إلى سورية قبل (عبد الرحمن) بشهور، وأنّه مؤمن بـ «الأفكار الجهادية».[2]

(1) انظر إلى رابط صفحته على «الفيس بوك»، التي تجعل من صورة «البروفايل» الرئيس فيها عبارة «غرباء»، كناية عن المسلمين الملتزمين، https://web.facebook.com/profile.php?id=100003641825305

(2) مقابلات مع شقيقه وصديقه، سبق ذكرها.

في البداية كان (عبد الرحمن) يؤكد لشقيقه نائل بأنّه يختلف مع «المجموعة السلفية الجهادية»، ويحاول أن يقنعهم بتغيير أفكارهم. لكن نائل – في الوقت نفسه– كان يخشى على شقيقه أن يتأثر بهم، وهذا بالفعل ما حدث، لكن (عبد الرحمن) لم يكن يريد أن يقلق شقيقه ولا أن يضع نفسه تحت ضغوطه.

يرى نائل أنّ سبباً جوهرياً في تحوّل (عبد الرحمن) إلى «السلفية الجهادية» يكمن بتراجع الحراك الأردني وانتكاسة «الربيع العربي»، وتحوّل مطالب الشباب من الديمقراطية إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، ومن ذلك في الطفيلة أيضاً.

في العام 2012 تزوج نائل، واضطر إلى تكثيف جهده في كسب الرزق، فابتعد قليلاً عن النشاط السياسي. في الوقت نفسه كان (عبد الرحمن) في طريقه إلى «السلفية الجهادية»، وهو ما تمّ فعلاً عندما غادر في الشهور الأولى من العام 2014، على الأغلب، إلى سورية، عبر منطقة نصيب، متسللاً، ولينضم مباشرةً إلى «جبهة النصرة».

مَنْ وراء تحوّل (عبد الرحمن)؟ ومن هم المؤثرون فيه؟ لا يجزم نائل بذلك، لكنه يرى بأنّ مجموعة الطلاب الذين يدرسون في الطفيلة، وأغلبهم من الرصيفة، كان لهم دور كبير في ذلك، وفي مقدمتهم من يدعى الشيخ سعيد، الذي درس الهندسة في الطفيلة، فذهب شقيقه في منتصف العام 2012 إلى سورية، ويبدو أنّه أثر في عبد الرحمن الذي غادر إلى هناك برفقة صديق له من جامعة الطفيلة.[1]

اتصل (عبد الرحمن) بوالدته فور اجتياز الحدود، وأخبرها بأنّه في سورية، واتصل به لاحقاً نائل وحاول إقناعه بالرجوع، لكن الأمر قد فات، ولم تنجح محاولات الأهل المستمرة بإقناع (عبد الرحمن) بالعودة إلى الأردن.

وصل (عبد الرحمن) إلى سورية، محافظة درعا، والتحق بـ «جبهة النصرة»، ووضع (عبد الرحمن) في القسم الشرعي في «الجبهة»، وأخذ ينشَط هناك، إلى أن ظهرت الخلافات والانقسامات الحادّة في وسط الجهاديين أنفسهم، بين أنصار تنظيم الدولة

(1) مقابلة مع شقيقه نائل، المصدر السابق.

الإسلامية من جهة، وتنظيم «جبهة النصرة» (المدعوم من القاعدة) من جهةٍ أخرى، فانشقت مجموعات عديدة عن «جبهة النصرة» والتحقت بتنظيم الدولة، وحدثت بلبلة كبيرة في أوساط الأردنيين في «جبهة النصرة»، إذ انشقت نسبة منهم وبايعت تنظيم الدولة.

كان نائل يتابع أخبار الانقسام، ويخشى على شقيقه، الذي وضع طريقة دائمة للتواصل معه على تطبيق الواتس أب، وعندما احتدت الخلافات بين «التنظيم» و «الجبهة»، ووصلت إلى مرحلة الصدام المسلّح، قال نائل لـ (عبد الرحمن) «الحمد الله أنّ تنظيم الدولة لا وجود له في درعا»، فكان جواب أخيه « بل نحن نواة تنظيم الدولة»، وتناقش مع شقيقه محاولاً إقناعه بخطأ تنظيم الدولة الإسلامية، إلاّ أنّ الأخير اتهمه بأنّه «ضعيف العقيدة»!

وكانت «جبهة النصرة» قد شعرت بوجود خلافات وبميول لدى (عبد الرحمن) وآخرين بالتحوّل نحو تنظيم الدولة، فقاموا بإرساله إلى الغوطة في دمشق، لكن ذلك لم يؤد إلى تغيير قناعات (عبد الرحمن)، الذي عاد بعد ثلاثة أشهر إلى درعا،

خلال تواصلهم عبر الهاتف كان (عبد الرحمن) يسرد لنائل ملاحظات على «النصرة» وأسباب غضبه منها، من بينها أنّ «النصرة» كانت تتوسع في الاعتبارات الواقعية ومصالحها التنظيمية على حساب النصوص الدينية والمفاهيم الأيديولوجية النظرية، «وكانت تراعي الأقوياء على حساب الضعفاء، ويطبقون الأحكام على الضعفاء»، وفق ما يتذكر نائل من ملاحظات شقيقه على جبهة النصرة في نقاشهما عن الأمر.[1]

وفي آواخر العام 2014 انشقت مجموعة من شرعيي «النصرة» (قرابة 10 أشخاص) ومعهم (عبد الرحمن)، الذي نسّق مع الشرعيين الآخرين وانشقوا عن «النصرة» وانتقلوا إلى لواء شهداء اليرموك، وهناك كان (عبد الرحمن) قريباً من الخال علي البريدي (زعيم شهداء اليرموك)، الذي قامت جبهة النصرة بالإعلان عن

---

(1) المرجع السابق.

اغتياله في شهر 11-2-2015، وأمهلت جيش الفتح (شهداء اليرموك) 24 ساعة للاستسلام وتسليم الأسلحة.

تحدث نائل مع شقيقه خلال ذلك، وحاول إقناعة بتسليم نفسه، لكن (عبد الرحمن) أخبره بأنّه اختار «الشهادة»، ووصف جبهة النصرة بـ «جبهة الخسة والنذالة»، فبدا واضحاً لنائل أنّ شقيقه قطع طريق العودة إلى «النصرة» على نفسه، وأنّه قد كفّرهم.[1]

تزوج (عبد الرحمن) في بداية العام 2015، من ابنة عائلة في ريف درعا، موالية لتنظيم الدولة، وله ابن عمره قرابة 6 أشهر الآن، ويعتقد نائل أن تلك العائلة كان لها دور في قرار (عبد الرحمن) تنفيذ عملية انتحارية ضد الجيش الحرّ بعد ذلك.

كان (عبد الرحمن) يتواصل مع عائلته على مجموعات «الواتس أب» وبالمكالمات الهاتفية، وكان واضحاً لنائل أن أفكار شقيقه بدأت تتغير بصورة كبيرة عما سبق، وبعد أسبوع من تنفيذ (عبد الرحمن) للعملية الانتحارية حصل نائل على كلمة صوتية مسجلة لـ (عبد الرحمن) يتحدث فيها عن العملية التي نفذها ضد الجيش الحرّ، الذي كان (عبدَ الرحمن) يتهمه بالخيانة والعمالة للأردن.

هنالك وصية كتبها (عبد الرحمن) قبل خروجه من الأردن، وتركها لعائلته يحثهم فيها على الصبر وعدم البكاء عندما يستشهد، وعلى عدم إقامة عزاء له، ويدعو أشقاءه إلى الالتزام بالشريعة، وإلى ترك الأرجيلة والدخان.[2]

خارطة الطريق إلى «داعش»: التفاعلات، المؤثرون، البيئة

في تتبع المراحل التي مرّ بها (عبد الرحمن) نجد أنّنا أمام نموذج متسلسل من عدم الالتزام الديني (مرحلة المراهقة والشباب)، ثم التوجه إلى الالتزام والعمل الدعوي، البعيد عن السياسة (منذ العام الثاني في الكلية، 2009، أي كان عمره 19 عاماً)، أي جماعة الدعوة والتبليغ، وبعد التخرج تأثر بجماعة الإخوان المسلمين والتزم بأنشطتها

(1) المرجع نفسه.

(2) المرجع نفسه

الدعوية، وشارك في الحراك الشعبي 2011-2013، (21-23 عاماً)، ولاحقاً انتقل إلى سورية واندمج بـ«جبهة النصرة» (2014)، أي من الإخوان المسلمين إلى «السلفية الجهادية»، ثم في العامِ 2015 إلى منتصف 2016، انشق عن «النصرة» ومبايعة تنظيم داعش، وتزوج من ابنة عائلة موالية للتنظيم، وأخيراً قام بعملية انتحارية في نهاية حزيران/ يونيو 2015، ضد قيادي من الجيش الحرّ، ما أدى إلى مقتله ومقتل امرأة وطفل متواجدين في المنزل خلال العملية.

في قراءة هذا الخط البياني التصاعدي المستمر، نجد أنّ هنالك شخصيات رئيسية لعبت دوراً في كل مرحلة من المراحل السابقة، بداية من التنشئة الدينية وشخصية والده الذي كان ينتمي لجماعة الدعوة والتبليغ، في مرحلة التدين الأولى في العام الثاني من الكلية، وفي مرحلة التحوّل نحو جماعة الإخوان المسلمين، ساهمت شخصيات مثل رفيقه في السكن والطلاب الإخوان في جامعة الطفيلة في تجنيده، إضافة إلى تأثر شقيقه الأكبر نائل بـ «الجماعة»، وفي مرحلة التحّول نحو السلفية الجهادية، نجد شخصية مثل «الشيخَ سعيد»، ولاحقاً بتحوله من «النصرة» إلى «تنظيم الدولة» نجد شخصيات أردنية في القسم الشرعي لـــ «النصرة»، ممن انشقت وانتقلت إلى تنظيم الدولة كان لها تأثير منه، ومن بين الشَخصيات، كما يعتقد شقيقه، عائلة زوجته السورية، وهي عائلة قريبة من تنظيم الدولة الإسلامية.

السؤال المرتبط بالتأثير الواضح للأشخاص في مسيرة (عبد الرحمن)، يقودنا إلى تفسير السبب في قابليته السريعة للانجذاب والتأثر بأشخاص آخرين؟

يبدو أنّ السبب يعود في ذلك إلى أكثر من عامل، فـ(عبد الرحمن)، كما يذكر شقيقه نائل، عاش في منطقة الحسا، في بيئة اجتماعية تدفع إلى إبراز عناصر الشجاعة لمواجهة الخوف من الآخرين، وساهمت جذوره من الطفيلة في تسهيل انتقاله إلى خطابات وفضاءات أكثر تطرفاً، فمن المعروف أنّ الحراك الشعبي المطالب بالإصلاح لأبناء محافظة الطفيلة كان الأعلى سقفاً وهتافاتهم كانت الأكثر حدّة وتحدياً للنظام، بل

وصلت إلى الملك نفسه، فيما اكتفت حراكات وخطابات وشعارات أخرى عديدة بسقوف أقل، بما في ذلك جماعة الإخوان المسلمين.

صحيح أنّه في البداية دخل من الباب الدعوي والروحاني، غير المسيس، إلى التديّن، وهو في العام الثاني من الكلية، في مناخات جماعة الدعوة والتبليغ، وربما يكون ذلك بتأثير خلفية والده الدعوية، إلاّ أنّه سرعان ما اندمج في أنشطة «الإخوان»، التي وجدها أنسب لشخصيته والبيئة المحيطة التي أثرت في تنشئته، ثم جاء الحراك الشعبي ليمزج لديه العوامل الدينية (التدين السياسي الجديد- مع الإخوان)، بالعوامل الاجتماعية (- حالة الاحتقان لدى جيل من الشباب في الطفيلة لأسباب اقتصادية واجتماعية، وتجسيد هذا الاحتقان بمفهوم «الفساد»).

هذا التشابك بين العوامل الدينية والاجتماعية تزاوج مع العامل النفسي، الذي ينزع بحكم بيئة التنشئة إلى إظهار الشجاعة والقوة، بما لا يتواءم بطبيعة الحال مع جماعة الدعوة والتبليغ، ويقلّ الإخوان المسلمون درجات عن المستوى النفسي المطلوب للتحدي النفسي، أي إظهار الشجاعة والتحدي، لكن في الوقت نفسه مع ضعف التكوين الفكري والثقافي له، الذي يمكّنه من الانتقال وحيداً من اتجاه إلى آخر، وفق عملية البحث عن الأكثر قوة أو تشدداً في الأوساط الإسلامية، فكان بحاجة إلى أشخاص يلعبون دور «وسيلة نقل» له من مرحلة إلى أخرى، ما يفسّر سهولة تأثره بأشخاص معينين؛ لأنّهم عرفوا، من غير قصد، كيف يدخلون إلى نزوعاته ويدفعونه إلى المرحلة المطلوبة لديه داخلياً.

– 4 –

عامر الضمور.. رحلة في تضاريس السلفيات

أخذ «أبو اليمان الأردني» في فيلم «مواكب النور 2»، الذي أنتجه تنظيم الدولة الإسلامية خلال معركة الموصل، حيّزاً واضحاً من مساحة الفيلم، فالجزء الرئيس من الفيلم مخصص عنه. ظهر وهو يتحدث مع أبنائه الثلاثة، الصغار، عن مشروع «الدولة الإسلامية» بوصفها الدولة الموعودة، التي من الضروري الحفاظ عليها، ثم عن العمليات الانتحارية، والمصير المفترض لمن يقومون بها، إلى الجنة، ما دفع بابنه الصغير (الذي كان يلقبه بأبو دجانة إلى البكاء والحزن)، بينما كان هو – أي أبو اليمان– يحثه على التصلب والقوة.

المشهد الأكثر درامية (لكنها واقعية) في الفيلم تمثّل باللحظات الأخيرة التي سبقت تنفيذ العملية الانتحارية التي قام بها (أبو اليمان الأردني)، إذ حضر أبناؤه الصغار لوداعه وهو يهم بركوب السيارة المفخخة، التي أعدت له، وكان مُقعداً، إذ كان قد أصيب في إحدى المعارك مع تنظيم الدولة، في الحبل الشوكي، ما أدى إلى عدم قدرته على الحركة، منذ عام تقريباً على تنفيذ تلك العملية التي تمّت في شهر نيسان/ أبريل 2017، كما ذكر الفيلم المذكور.

ثمة سمات لافتة غريبة تجمعت في قصة (أبو اليمان الأردني)، إذ تمّ تعريفه بأنّه كان والياً في دمشق، ثم أميراً من أمراء التنظيم، في ولاية البركة؛ أي مدينة الرقة، ثم جندياً في محافظة صلاح الدين، الموصل، في العراق، فلماذا تراجع موقعه من أمير إلى جندي؟ وهل لذلك رابط بين الإصابة التي أقعدته، فلم يعد يقوم بشؤون الإمارة، أم كما يرجّح آخرون بسبب الاختلاف بين واقع التنظيم في سورية والعراق، ففي العراق يكون الأمراء غالباً عراقيين، أم بوضعه داخل التنظيم، الذي لم يتم الكشف عنه؟.

الأمر الثاني اللافت هو أن يقوم بتنفيذ العملية رجل مقعد، بسيارة مفخخة، والأمر الثالث هو أنّ (أبو اليمان) نفسه كان أميراً في تنظيم «جبهة النصرة» في الشام، قبل أن

ينشق عنه ويلتحق بتنظيم الدولة الإسلامية، وتلتحق به عائلته، إلى سورية، ثم يقتل ابنه الأكبر 17 عاماً، قبله بعام، خلال مواجهات أيضاً بين تنظيم الدولة وأطراف أخرى، فهذا الانتقال من مراكز القيادة في «النصرة» إلى مراكز القيادة في تنظيم الدولة الإسلامية، لجهادي أردني، كان خلال تواجده في الأردن، أقرب إلى الجناح الذي أصبح لاحقاً خصماً لأنصار تنظيم الدولة الإسلامية، مثل أبو محمد المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني، كل هذه المتغيرات والتحولات تدفع إلى التعمّق أكثر في شخصية (أبو اليمان) والرحلة التي مرّ بها خلال أعوام حياته التي كانت تشارف على الأربعين قبل مقتله.

***

(أبو اليمان) هو عامر حامد الضمور، وُلد في العام 1978، عاش طفولته وشبابه وأنهى مدرسته في مدينة الزرقاء، وإن كانت عشيرته من مدينة الكرك، فوالده حامد الضمور عمل في القوات المسلّحة، وشارك في حرب الـ67، ومعركة الكرامة، وكان محل عمله خلال العقود التالية في معسكرات الزرقاء، وسكن هو وعائلته في السكن المخصص للعائلات في معسكر الزرقاء، إلى أن تقاعد من الجيش في العام 1989، برتبة وكيل.

انتقلوا إلى حيّ الزواهرة في الزرقاء نفسها، وهناك درس (عامر) في المدارس الحكومية، وهو الأكبر بين أشقائه (له ثلاثة أشقاء وشقيقة)، وكان يرتاد بصورة دائمة مسجد الفلاح، في جوار منزلهم، وتأثر خلال تلك المرحلة المبكّرة من حياته بجماعة الدعوة والتبليغ، إذ كان إمام المسجد هناك ينتمي إلى الجماعة نفسها، وخرج (عامر) في مراحل من عمره مع أفراد «الجماعة» إلى مناطق مختلفة من الأردن، يزورون المساجد ويعتكفون فيها، ويدعون الناس إلى الالتزام بالإسلام.[1] من المعروف أنّ جماعة التبليغ هي جماعة -على العموم- مسالمة تعلن بوضوح أنّها لا تتدخل في السياسة، وأنّها تركّز على مسائل العبادة والتزام الناس بالسلوك الإسلامي.

(1) مقابلة مع والده في حيّ الزواهرة، بتاريخ 15-8-2017.

نجح (عامر) في الثانوية العامة في العام 1994، وحصل على معدلٍ جيّد، ما أتاح له دراسة تخصص الهندسة الميكانيكية في كلية البوليتيكنيك، التي تقع على الطريق بين عمان والزرقاء، وتتبع لجامعة البلقاء التطبيقية.[1]

يتذكره صديقه، في الكلية، جيداً، فقد كان صديقه ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين، بينما (عامر) بدأ يتحول إلى التيار السلفي عموماً، وأقرب إلى تلاميذ الشيخ ناصر الدين الألباني، الذين كانوا يرفضون النقاش في السياسة ويعادون الحركات الإسلامية الأخرى، ويعارضون حتى انتخابات اتحاد الطلبة في الجامعات، بدعوى أنّها تلهي عن مهمة دراسة العلم الشرعي، فكانت العلاقة كما يصفها صديقه بينهما مرتبكة؛ نظراً لأنّ شباب الإخوان والسلفيين التقليديين لم يكونوا على توافق في مواقفهم السياسية ورؤيتهم للواقع والموقف من الحكومات.

يتذكر صديقه كيف أنّ شباب الإخوان المسلمين لم يكونوا يشعرون تجاه (عامر) بالودّ، إلى أن انقطع مدة عن الدراسة في الكلية، وعاد بعد أشهر، لكنه بدا شخصاً مختلفاً في أرائه ومواقفه، وإن كان ما يزال سلفياً، عموماً، إلاّ أنّه أصبح أقرب إلى ما يسمى «السلفية الحركية»؛ أي الاتجاه السلفي الذي لا يعارض العمل السياسي، ولا يقف موقفاً حادّاً من الإخوان المسلمين والجماعات الأخرى.[2]

هو تحوّل كبير، إذاً، في شخصية الطالب (عامر الضمور)، من «السلفية التقليدية» إلى «الحركية»، ما خلق تقارباً بينه وبين صديقه -الإسلامي-، بل أصبح الطلاب «الإخوان» يفكرون جديّاً في استقطاب (عامر) إلى جماعتهم، واعتبروه «عضواً مرشّحاً» في الجماعة، فحدث تقارب أكبر بين صديقه الذي يحدّثنا وبين عامر، خلال تلك المرحلة، وقد أخبره (عامر) أنّه يعمل إماماً لمسجد قريب من منزله، ودعاه لحضور زفافه أيضاً، في تلك الفترة، فقد كان (عامر) يدرس الهندسة المدنية ويعمل إماماً في ذلك المسجد في الوقت نفسه.[3]

(1) المصدر نفسه.

(2) لقاء خاص بصديقه محمد، بتاريخ 7-9-2017.

(3) المصدر نفسه.

في تلك الفترة بدأ (عامر) يطالع كتابات الإخوان المسلمين والسلفيين المسييسين، وكان يقرأ في كتاب سيد قطب «معالم في الطريق»، ويأخذ مساراً فكرياً آخر، ويتغير خطابه من التركيز على قضايا دينية صرفة إلى قضايا ذات أبعاد اجتماعية وسياسية، مثل موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي تعني قيام المسلم الملتزم بالحث والدعوة والعمل على تطبيق مبادىء الإسلام في المجتمع.

لم يجد (عامر) نفسه في دراسة الهندسة، وحصل في نهاية التسعينيات على منحة لدراسة الشريعة في الجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة، وهنا تعرّف عليه صديق آخر كان قد سبقه لدراسة الشريعة في الجامعة الإسلامية، ويتذكر صديقه أنّه بعد وصول (عامر) إلى هناك مع زوجته وعائلته، وقعت أحداث 11 سبتمبر 2001، ما خلق جدلاً كبيراً في الأوساط الدينية السلفية في السعودية بين مؤيد ومعارض لها، ويذكر صديقه أنّ (عامر) كان مؤيداً لتلك العمليات، وكان منشغلاً في تسويغها شرعياً، وكانت هذه خطوات أخرى في طريقه إلى أيديولوجيا «القاعدة» وفكرها.[1]

تلك الأعوام في السعودية كانت أشبه بمفترق طرق، فقد انقسم الطلاب بين مؤيد لـ «القاعدة» ومعارض لها، وكان (عامر) من المجموعة المؤيدة لأعمال «القاعدة»، وَظهر في تلك المرحلة إعجابه بأسامة بن لادن، وبدأ تأثره يظهر أيضاً بشخصية الشيخ الأردني عمر يوسف (أبو أنس الشامي)، الذي زار السعودية حينها، والتقى به (عامر)، وكان عمر يوسف ما يزال إماماً لمسجد في حيّ صويلح في عمان، وأقرب إلى «السلفية الحركية»، قبل أن تأخذ أفكاره مساراً أكثر وضوحاً في تأييد «التيار الجهادي»، ويلتحق بالزرقاوي بعد احتلال العراق، ليصبح أبو أنس الشامي نفسه المرشد الروحي لجماعة الزرقاوي، ويقتل بعد ذلك بعام في عملية فاشلة لتحرير النساء في سجن أبو غريب.

---

(1) مقابلة خاصة مع صديقه (أ.ي)، بتاريخ 7-9-2017.

المهم في الأمر؛ أنّ (عامر) كان خلال تلك الفترة قد أكمل مرحلة أخرى من تحولاته، وأصبح مقتنعاً بفكر أسامة بن لادن و «القاعدة»، وكان يعدّ نفسه، كما يروي صديق له التقاه صدفةً في المسجد الحرام بمكة، ليلتحق بالزرقاوي للقتال في العراق، إلى جانب «القاعدة» هناك، بعد أن أعلن الزرقاوي نفسه مبايعته لأسامة بن لادن في العام 2004.[1]

ما الذي حدث، وأدى إلى تلك القفزة الكبيرة في فكر (عامر الضمور)، خلال الأعوام الأولى من وجوده في السعودية؟.

على الأغلب أنّ الأحداث نفسها خلقت ردات فعل، وسرّعت من عملية التحوّل البطيء التي كان يمرّ بها (عامر)، خلال تلك الفترة، من التبليغ إلى «السلفية التقليدية»، ثم «الحركية»، وأخيراً «الجهادية»، فأحداث 11 سبتمبر خلقت اصطفافاً في أوساط التيار السلفي السعودي، بين مؤيد ومعارض لـ «القاعدة»، بينما تراجع وضعف التيار الحركي- الإصلاحي، الذي كان يمثّله الشيخ سَفر الحوالي وسلمان العودة، فقد أظهر ليناً مع السلطات السعودية وتراجعاً عن الأفكار التي كانا يطرحانها وأثرت في شريحة كبيرة من السلفية في منتصف التسعينيات، ما أدى إلى انقسام التيار «الحركي السلفي» نفسه بين مؤيد لـ «القاعدة»، ومؤيد للشيخين الحوالي والعودة.[2]

أبو أنس الشامي، الذي كان يعدّ حامل لواء مدرسة «السلفية الحركية» في الأردن، وامتداد لفكر سفر الحوالي، هو نفسه انتقل إلى «السلفية الجهادية» وإلى تأييد الزرقاوي، ورفض موقف الحوالي والعودة في إدانة أحداث سبتمبر، وهو الخط نفسه الذي سار عليه (عامر الضمور)؛ أي موقف أبو أنس الشامي، فانتقل إلى هذا الصفّ، ثم جاءت أحداث العراق وبروز نجم الزرقاوي ليعزز هذه التحولات، كل ذلك في سياق بيئة سلفية في الجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة وفي السعودية، وفي سياق حالة

(1) مقابلة مع صديقه محمد، مصدر سبق ذكره.

(2) انظر إلى: ستيفان لاكروا، زمن الصحوة: الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2012، ترجمة عبد الحق الزموري، ص 200-350.

استقطاب شديدة بين تيار سلفي يسمى بـ «الجامية» مؤيد للحكومة السعودية، وضد الإسلاميين عموماً، وبين «سلفية جهادية» أخذت في الصعود، ونشاط لتنظيم القاعدة نفسه في السعودية بلغ أوجه في الأعوام من 2003–2005. أي خلال إقامة (عامر) هناك للدراسة.[1]

في المحصلة، مع العام 2004، وهو العام الأخير لدراسة (عامر) في السعودية، أصبح التحوّل نحو فكر «القاعدة» مكتملاً، ولديه شبكة من الأصدقاء والرفاق ممن ينتمون للفكر نفسه، ما لفت أنظار الأمن السعودي إليه، خلال الفترة الأخيرة من إقامته هناك، ولم نتمكن من معرفة فيما إذا كان قد اعتُقل أم جرى فقط التحقيق معه، والسماح له بإكمال امتحاناته، على شرط مغادرة السعودية فوراً، لكن هنالك إشارة إلى تلك الحادثة في سلسلة مقالات عن «السلفية الجهادية»، على مدونة جرير الحسني، وهو من السلفيين الجهاديين المعارضين لـ «عامر الضمور»، بأنّ الضمور تسبب في اعتقال أحد أبناء مدينة معان، من «التيار السلفي الجهادي»، لمدة أعوام، بسبب معلومات أدلى بها للسلطات السعودية، وهو اتهام من الصعب اختباره وتمحيصه، لكن من الواضح أنّ هنالك مشكلة كانت بين عامر والأمن السعودي في الفترة الأخيرة من دراسته.

عاد (عامر) إلى الأردن، لكن تم اعتقاله بعد عودته بفترة قصيرة، على يد المخابرات العامة الأردنية، بدعوى أنّ له شبكة علاقات مع أفراد من «القاعدة» في السعودية والأردن، ومكث في السجن شهوراً طويلة، قُتل خلالها شقيقه الصغير، محمد، وكان عمره 18 عاماً، ولم ينجح في الثانوية العامة، فتفاجأت عائلة (عامر) بتوجه شقيقه الصغير إلى العراق، والانضمام إلى جماعة الزرقاوي، ومقتله هناك، بعد فترة قصيرة، وقيل إنّه تأثر بأفكار شقيقه (عامر)، لكن والده يرى بأنّ الصغير لم يكن ناجحاً في

(1) انظر إلى: توماس هيغهامر، الجهاد في السعودية: قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 149–239، وكذلك الأمر: محمد أبو رمان، الصراع على السلفية: قراءة في الأيديولوجيات والخلافات وخارطة الانتشار، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2016، بيروت، ص 35–69.

دراسته، وكان غير ناضج في شخصيته وقراراته، ولم يكن متديناً أصلاً قبل قراره التوجه إلى العراق والالتحاق بجماعة الزرقاوي.(1)

خرج (عامر) من السجن، وحاول إيجاد عمل له، فكانت الأبواب تُسّدُّ في طريقه، وهو متزوج ولديه عدد من الأبناء، وخلال تلك الفترة تكرّست علاقته بأوساط «السلفية الجهادية» في الزرقاء، وفي الأردن، وأصبح في أعوام قليلة أحد أبرز الشخصيات القيادية في التيار، ولمع نجمه في أوساط «التيار الجهادي الأردني» مع أحداث «الربيع العربي» 2011، عندما كان يشارك مع د. سعد الحنيطي ومجموعة من الجهاديين في تنظيم مسيرات وتظاهرات سلمية لأفراد «التيار السلفي الجهادي» في الأردن، تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية وبإطلاق سراح المعتقلين، ومن بينهم شيخ التيار أبو محمد المقدسي، وكان (عامر) -في العادة- أحد المتحدثين في تلك الاعتصامات، وممن يتولون التفاوض مع الأمن لتأمين عدم الاصطدام.(2)

ثم وقعت أحداث الزرقاء الشهيرة، في 15 نيسان/ أبريل 2011، إذ حدث صدام بين المتظاهرين من أبناء «التيار الجهادي» ورجال الأمن، وأدى إلى عدد كبير من الإصابات في رجال الأمن، ومن أبناء التيار، ثم إلى حملة اعتقالات واسعة طالت قرابة 200 شخص من «الجهاديين»، تم تحويلهم إلى قضية أحداث الزرقاء، لكنّ (عامر) لم يكن منهم، جرى اعتقاله وتكفيله لاحقاً، بعد التفاهم بين الأمن والمطلوبين الهاربين.

كان (عامر) أحد أبرز المهندسين للاعتصامات السلمية لتيار «السلفية الجهادية»، وكان لديه مخطط لتنظيم شؤون التيار وإحداث تحوّل نوعي في مساره، ويبدو أنّه كان يتشارك هذه الأفكار مع سعد الحنيطي ومنيف سمارة وبعض قيادات ورموز للتيار، ومن ضمن تلك الأفكار إيجاد مدارس أو كتاتيب موازية لأبناء المرتبطين

(1) مقابلة مع والده، المصدر السابق.

(2) انظر إلى: مشاهد فيديو «يوتيوب»، لخطبة عامر الضمور، في مسيرة الزرقاء، قبل وقوع الأحداث، 15-4-2011، على الرابط التالي: https://www.youtube.com/watch?v=0QqXD5gF_eY

وكذلك الأمر: مفاوضات سعد الحنيطي وعامر الضمور مع رجال الأمن قبيل بدء الاشتباكات، على الرابط التالي:

https://www.youtube.com/watch?v=tO4aVgGlHrA

بالتيار، بدلاً من التعليم الحكومي، بخاصة أنّ هنالك نسبة كبيرة من مؤيدي هذا التيار يرفضون وضع أطفالهم في المدارس الحكومية أو الخاصة، حرصاً منهم على تنشئتهم على أفكار التيار.[1]

أحداث الزرقاء كان لها تأثيرها السلبي على الأفكار الجديدة التي كان يدفع نحوها (عامر) وبعض الشباب الجدد في التيار، وحملة الاعتقالات التي طالت المئات، والإدعاءات التي رافقت ذلك من قيادات في التيار بأنّ هنالك تعذيباً حدث للمعتقلين، الذين تمّ تحويلهم إلى القضاء، بتهمة إثارة الشغب والاعتداء على رجال أمن، وكان (عامر) أحد أبرز المتهمين في تلك الأحداث وورد اسمه بصورة خاصة في لائحة الاتهام، لما كان يقوم به من دور قيادي في المسيرة، وذكرت اللائحة اسمه بـ «عامر حامد علي البنوي» والملقب بـ «الخطبا»، واعتُبر فارّاً من وجه العدالة.[2]

تمّ الإفراج لاحقاً عن أغلب المتهمين بكفالة، وتسوية أوضاع الفارّين بالطريقة نفسها، بعد أن تم التفاهم بين لجنة متخصصة بشؤون المطلوبين والقضاء على ذلك، ومن هؤلاء (عامر)، في بداية العام 2012، على أن يلتزموا بحضور جلسات محكمة أمن الدولة.[3]

---

(1) الفتوى المعروفة لأبي محمد المقدسي، شيخ التيار الروحي، تتمثل بعدم إدخال الطلاب إلى المدارس، وقد ألف كتاباً بذلك عنوانه «إعداد الفوارس بهجر فساد المدارس»، لكن القيادات الجديدة في «السلفية الجهادية» حاولت إيجاد بديل عن المدارس الحكومية، كي لا يبقى أبناء مؤيدي التيار بلا تعليم أو شهادات، بخاصة أن نسبة كبيرة من أفراد التيار غير ملتزمين بهذه الفتوى، وهذه الفكرة كان يحاول (عامر الضمور)، كما يذكر والده (في مقابلتنا المشار إليها معه) أن يطوّرها ووضع لها مخططاً رئيساً.

(2) انظر إلى: أولى جلسات محاكمة تنظيم السلفيين الأربعاء: أسماء المتهمين ولائحة الاتهام، موقع سرايا الإخباري، 8-8-2011، على الرابط التالي:

http://www.sarayanews.com/index.php?page=article&id=84186/title/%D8%A7%D9%88%D9%84%D9%89%20%D8%AC%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%AA%20%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%83%D9%85%D8%A9%20%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D9%81%D9%8A%D9%8A%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%B9%D8%A7%D8%A1

(3) انظر إلى: وائل البتيري، التراجع عن توقيف 11 جهادياً، صحيفة السبيل، 26-1-2012.

مع ذلك فإنّ عامر لم ييأس مع بعض أصدقائه، وفي مقدمتهم: سعد الحنيطي؛ ومنيف سمارة؛ وأبو سيّاف وغيرهم من التفكير في تأطير «التيار السلفي الجهادي» وترتيب أموره وتعديل مساره، فتم عقد اجتماع في مزرعة بالضليل (24 شباط/ فبراير 2012) تعود لأحد قيادات التيار هناك، وفيها تمّ اختيار مجلس شورى، واختيار (عامر الضمور) ممثلاً منتخباً من الحضور عن مدينة الزرقاء، مع 9 آخرين عن مناطق مختلفة من المملكة.[1]

هذه الفكرة واجهت صدوداً ورفضاً كبيراً من الاتجاه الآخر في «السلفية الجهادية»، الذي كان يقوده عمر مهدي زيدان، ويطلق عليهم إعلامياً مصطلح «الزرقاويون الجدد»، الذين رفضوا تنظيم المسيرات السلمية في الأصل، ورفضوا اجتماع الضليل، وكالوا الاتهامات القاسية لعامر الضمور وسعد الحنيطي ومجموعة أخرى بأنّهم ليسوا أصلاء في «تيار السلفية الجهادية»، وأنّهم آتوا من خلفيات مختلفة، وكان صاحب مدونة جرير الحسني قد ذكّر بأنّ (عامر) كان من جماعة التبليغ ولم يكن من «السلفية الجهادية».[2]

خلال تلك الفترة كان (عامر) ينشط في الاجتماعات واللقاءات المصغّرة مع من يشاركونه أفكار تنظيم وترتيب شؤون «التيار السلفي الجهادي»، وفي الوقت نفسه يحاول الحصول على مصدر رزق ثابت، ففتح مطعم العزايم في الزرقاء الجديدة، وانتقل مع عائلته إلى هناك، لكنّه عاد بعد فترة وأغلق المطعم بعدما فشل المشروع.

(1) انظر إلى: انشقاقات في «التيار السلفي الجهادي» واتهامات بالأسماء بالتعاون مع المخابرات، موقع السوسنة الإخباري، بتاريخ 2-4-2012، الرابط التالي:

https://www.assawsana.com/portal/pages.php?newsid=112659 ، وانظر كذلك:

وكذلك أبو سياف يهاجم الدخلاء التكفيريين على السلفية، صحيفة الأنباط، الرابط التالي:

http://www.alanbatnews.net/articles/3293

(2) انظر إلى: مقابلة حصرية تكسف خفايا «السلفية الجهادية» في الأردن ونظرتهم للإخوان، موقع السوسنة الإخباري، مقابلة مع جرير الحسني، بتاريخ 3-6-2012، على الرابط التالي: http://www.assawsana.com/portal/pages.php?newsid=116882

توجّه إلى سورية، بصورة مفاجئة لوالده، في أيلول/ سبتمبر 2012، والتحق هناك بـ «جبهة النصرة»، مع زوج شقيقته، محمد جمال (لُقّب أبو قسورة في سورية)، الذي كان صديقاً لـ (عامر) منذ مراحل مبكّرة.

حظي (عامر) بموقع قيادي في «جبهة النصرة»، وشارك في العديد من العمليات، وكانت أبرز قيادات «الجبهة» في درعا وريف دمشق من الأردن، ومن الزرقاء، ممن يعرفهم (عامر) شخصياً، مثل أبو أنس الصحابة وهو مصطفى عبد اللطيف صالح، وأبو جليبيب (إياد الطوباسي) وغيرهم، وكان أحد أمراء «الجبهة» في تلك المنطقة، كما يذكر والده، حتى بدأت الأمور تختلف، وازدادت حدّة الصراع بين «جبهة النصرة» وتنظيم الدولة الإسلامية، الذي بدأ ينسج خيوطه في المناطق الجنوبية ويعمل على إحداث انشقاقات داخل «جبهة النصرة»، ونجح في تشكيل خلايا، ما خلق حرباً أمنية سرية بين الطرفين، وشكوكاً عميقة في ولاء الأفراد في «النصرة» للتنظيم، بخاصة من الأردنيين.

كان أحد ضحايا هذه الشكوك الأردني محمد جمال (أبو قسورة) زوج شقيقة (عامر)، بعدما هرب ابنه قسورة إلى حيّ القابون وأعلن ولاءه لتنظيم الدولة الإسلامية، ما دفع بالجهاز الأمني في «جبهة النصرة» إلى الشكّ في والده، محمد جمال، وإلقاء القبض عليه وقتله، ما أثار لغطاً شديداً في أوساط «الجهاديين» في الداخل والخارج، في آب/ اغسطس، 2015.

ليس واضحاً فيما إذا كان انشقاق (عامر) عن «جبهة النصرة» والتحاقه بتنظيم الدولة الإسلامية جاء بعد أم قبل ما حدث مع زوج شقيقته، لكن أحد أصدقائه، من أبناء «التيار السلفي الجهادي»، يشير إلى أنّ انشقاق (عامر) عن «الجبهة» والتحاقه بتنظيم الدولة جاء على إثر خلافات شخصية مع الأردنيين الذين يتولون هناك قيادة «الجبهة»، إذ جرى تهميشه والتضييق عليه، ما دفعه إلى ترك الجبهة والالتحاق بتنظيم الدولة الإسلامية، والانتقال إلى مدينة الرقة، حيث لحقت به عائلته بعد عامين من مغادرته المفاجئة للأردن، بعدما ساءت أحوالها المادية، فأتت زوجته ومعها أبناؤه الخمسة.

أصبح (عامر) أميراً (كما ذكر تنظيم الدولة في فيلم مواكب النور 2) في «محافظة الرقة» (ولاية البركة)، وقُتل ابنه الأكبر (17 عاماً) خلال مواجهات التنظيم مع خصومه، وأصيب (عامر) برصاص في الحبل الشوكي جعلته مقعداً، غير قادر على الحركة، وفي الأثناء انتقل إلى الموصل، وبقي هناك قرابة العام، مع عائلته، قبل أن يقوم بتنفيذ العملية الانتحارية في شهر آذار/ مارس 2017، ويأتي اتصال هاتفي لعائلته في الزرقاء بمقتل ابنهم، ثم ينتج التنظيم بعد أسابيع فيلماً يوثق عمليته الانتحارية.

وبالرغم من أنّ (عامر) نفّذ العملية الانتحارية في آواخر عهد التنظيم في مدينة الموصل قبل شهور، من أن يفقد سيطرته عليها، وكان واضحاً تماماً بأنّ المسألة هي مسألة وقت، إلاّ أنّ وصيته لزوجته وأبنائه بألا يعودوا إلى الأردن، وبأن يبقوا في المناطق التي يسيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية، بالرغم من وجود مؤشرات قوية على فقدان التنظيم لسيطرته على أغلب المدن والمناطق، ولم يتأكد بعد مصير عائلته بعد مقتله، إلاّ أنّ والده يقول إنّهم لم يتلقوا منذ مقتله، أي خلال الشهور الماضية، أي معلومات عن العائلة، باستثناء أخبار وردت إلى عائلة زوجته بأنّها قتلت مع أبناء (عامر) في قصف جوي أميركي، فانهارت العمارة التي يسكنون بها، وقُتلوا جميعاً.[1]

منذ العام 2012 لاحظنا تحولين أو تطوّرين رئيسين في تجربة (عامر الضمور):

التطور الأول هو قرار السفر إلى سورية، بعد أن كانت أولويته قبل ذلك هي ترتيب أمور التيار في الأردن وتنظيمه، إلاّ أنّه بعد ذلك بشهور قرر فجأة المغادرة إلى سورية، بدلاً من البقاء في الأردن والقيام بالمهمة التي بدأ بها، وتفسير ذلك قد يعود لسبب أو أسباب رئيسة، منها وجود معارضة شديدة وخلافات في أوساط «التيار الجهادي» حول الخطوات التي كان يحاول (عامر) والحنيطي وغيرهم القيام بها، بل وانتقال تلك المعارضة إلى اتهامات صريحة وقاسية بحق (عامر) والتشكيك به، ما جعل من «شبح عدم الثقة»، على حدّ تعبير أحد أصدقائه، يلاحقه دوماً في أوساط التيار، بخاصة

(1) مقابلة مع والده، المرجع السابق.

مقالات جرير الحسني (وأغلب الظنّ أنّه عمر مهدي زيدان)، التي تشكك به وتهاجمه بشدّة، فكان وجود شخص في ساحات القتال بمنزلة شهادة «حسن سلوك» على صدقيته وإخلاصه للفكر الذي يحمله، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، قد يكون ما حدث في الزرقاء 2011، ثم انتكاسات الرهانات والآمال التي تمّ تعليقها على الربيع العربي، والحراك السلمي، المراجعة الدائمة لـ «عامر» في محكمة أمن الدولة والمخابرات، وفشل مشروعه التجاري (المطعم)، وضيق الحال الاقتصادية، بمنزلة عوامل مساندة لقرار الهجرة والانتقال إلى سورية، مع توافد مئات الأردنيين إلى هناك حينها، والنظر إلى الساحة السورية بوصفها الأفق المقبل، الذي يحلم به مشروع «التيار الجهادي العالمي».

أمّا التطور أو التحّول الثاني في مسار (عامر)، فقد كان الانتقال من «جبهة النصرة» إلى تنظيم الدولة الإسلامية، وعلى الأغلب نحن لا نعرف التوقيت، لكن أفكار (عامر) في الأردن في الفترة الأخيرة، وتوجهاته أقرب ما تكون إلى «جبهة النصرة» منها إلى تنظيم الدولة الإسلامية، والمقربون منه في الأردن كانوا أقرب إلى «النصرة»، مع ذلك؛ فإنّ هذه الملاحظة لا تقتصر على (عامر) بل على كثير من الأردنيين، الذين ذهبوا إلى هناك، إذ إنّ نسبة كبيرة منهم تركوا النصرة والتحقوا بتنظيم الدولة، لأسباب تتعلق بالخلافات داخل «النصرة»، وفي حالة (عامر) هنالك إشارة إلى خلافات شخصية مع قيادات «النصرة» في درعا والغوطة.

الحواجر الحركية والحدود الأيديولوجية الفاصلة بين تنظيم الدولة الإسلامية و «جبهة النصرة»، بخاصة للأردنيين هناك، ليست صلبة، هي في حالة سيولة، نظراً لوجود أردنيين هنا وهناك، ولعدم قناعة الأردنيين بوجود خلافات جوهرية كبيرة بين المشروعين (القاعدة- النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية) فتبقى التجارب الشخصية والميول والظروف المحيطة تلعب دوراً كبيراً في تحديد وجهة أو تقلبات الأفراد الأردنيين بين التنظيمين، وهي الحالة نفسها التي وجدناها لدى صديق (عامر)، د. سعد الحنيطي، الذي ذهب إلى سورية بمهمة الإصلاح بين التنظيمين، ثم أصبح قاضياً في «جبهة النصرة»، قبل أن يعلن ولاءه وبيعته لتنظيم الدولة الإسلامية!.

- 5 -

بسّام.. من عالم التهريب إلى «الجهاديين»!

يعتبر (بسّام) من الوجوه المعروفة والبارزة في «تيار السلفية الجهادية»، بالرغم من أنّه ليس عميق الجذور فيه، إذ يعود التزامه - بصورة كبيرة- مع التيار إلى العام 2005 تقريباً، لكنّ نشاطه بعد ذلك أصبح بارزاً وملحوظاً ما بين التجنيد ومحاولات الالتحاق بـ «القاعدة» في العراق، وفترات طويلة من الاعتقال في سورية والأردن، والإضرابَ عن الطعام، وهو كذلك من الجيل القيادي الجديد، الذي بدأ يظهر منذ العام 2005، في التيار ويحاول أن يقوم بتطوير واقعه وتنظيم شؤونه، وكان منزله في بلدة الضليل، هو الموقع المشهور، الذي جرت فيه المحاولة الأولى لاختيار قيادات أو مجلس شورى للتنظيم.

تقع بلدته، الضليل، شمال شرق الزرقاء على بعد 15 كم من المدينة، وجنوب محافظة المفرق، وهي بلدة معروفة بتربية المواشي والأبقار، وقريبة من الحدود السورية، جغرافياً، لذلك ينشط فيها التهريب، لدى البعض أيضاً.

وهو من جذور بدوية، تنتمي قبيلته إلى البدو الرحّل المتنقلين تاريخياً بين بوادي الحجاز والشام والعراق، لكنّ عائلته استقرت في الأردن، في الضليل، منذ عقود، فقد كان والده وكيلاً لأعمال الشريف ناصر بن جميل، في تلك المنطقة.

الولوج إلى عالم المهرّبين

من مواليد العام 1971، درس إلى الصف الثالث الإعدادي، ثم دخل في كلية الشريف ناصر، كانت تعطي شهادة الدبلوم، ثم دخل الخدمة النظامية في القوات المسلّحة الأردنية (4 أعوام) بين 1986-1990، وتوجّه لاحقاً إلى التجارة، وعمل في مجال التهريب بين عمّان وبغداد، وفي تلك الفترة تزوج من عراقية زوجته الأولى، في العراق.

في منتصف التسعينيات اعتُقل وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة أعوام، بسبب التهريب، بعد مواجهة بينهم وبين قوات أردنية على الحدود الأردنية- العراقية، وكان قبل مرحلة السجن بعيداً عن الدين، غير ملتزم، لا يصلّي، ولم يكن يتوافر على أيّ ثقافة دينية أو معرفة واهتمام حتى بالشؤون السياسية.[1]

تصادف سجنه في مركز إصلاح وتأهيل سواقة في النصف الثاني من التسعينيات (1995-1999)، مع وجود أعضاء تنظيم بيعة الإمام (التي تشكّلت منها نواة الصف الأول في التيار السلفي الجهادي في الأردن، حينها، من بينهم أبو محمد المقدسي، أبو مصعب الزرقاوي، وغيرهم)، لكن التأثير الأولي لديه لم يكن بهذه المجموعة، إنّما بمحمد الجغامين، الذي دخل السجن على خلفية أحداث الرابية، وحُكم عليه بالإعدام حينها.

يقول « لم أكن أعرف شيئاً عن الأمور الدينية ولستُ معنياً بالشؤون السياسية، لكن في السجن بدأت تنشأ صداقة بيني وبين محمد الجغامين، فسألته عن السبب بقيامه بتلك المذبحة بحق مجموعة من الأشخاص، أردنيين وعراقيين، وهو على ما يبدو متديّناً، فأجاب بأنّهم ماسونيون، وأنّه تتبعهم حتى اكتشف ذلك، وأنّ لديهم معبداً في منزلهم، ولهذا السبب قام بقتلهم، ودفعني إلى أن أقرأ عن الماسونية ونصحني بكتاب عن الماسونية في العراء لمحمد علي الزعبي، وبالفعل بدأت أقرأ عنهم، وأخذت أتوجه إلى التديّن، متأثراً في البداية بشخصية الجغامين».[2]

« خلال تلك الفترة كانت علاقتنا في السجن في البدايات متوترة مع مجموعة بيعة الإمام، فقد اعتدوا على سجين سعودي ووقفت إلى جانب الأخير، قبل أن تُحل المشكلة، وتبدأ العلاقة بالتدريج بالتحسن معهم، وتعرّفت خلال تلك الفترة على سعود وعيسى الخلايلة، أقارب الزرقاوي، من ثم على أبو مصعب الزرقاوي نفسه، أحمد فضيل الخلايلة».[3]

(1) حوار خاص معه، بتاريخ 1-9-2017.

(2) انظر حول الجغامين، وتفاصيل ما أصبح يعرف بجريمة الرابية، التي وقعت في العام 1998، إلى التقرير التالي: ياسر أبو هلالة، من بين الضحايا نمير آوجي والمحامي الشهير حنا ندة .»دوافع طائفية« وراء جريمتين في عمان راح ضحيتهما 12 شخصاً قبل أشهر، صحيفة الحياة اللندنية، 18-10-1998.

(3) لقاء خاص بالنعيمي، المصدر السابق.

بالرغم من تديّنه في السجن، لم يكن بعد أصبح مقتنعاً بـ «الفكر السلفي الجهادي»، ويذكر أنّه حين توفيّ الملك الأردني الراحل، الحسين بن طلال، كيف انهار من البكاء والحزن عليه. وبعد خروجه من السجن أخذ يسير في طريق الالتزام الديني أكثر، وصار يقرأ في الثقافة الإسلامية، لكنّه كان أقرب إلى جماعة الدعوة والتبليغ، وهي جماعة مسالمة لا تتدخل في السياسة ولا تكفّر الحكام، كما هي حال التيارات الإسلامية الأخرى.[1]

نقطة التحوّل التالية في مساره كانت عندما بدأ يعيد النظر في الأسس التي انبنت عليها أفكار الجماعة والتبليغ، وكانت البداية عندما قرأ حديث «بعثت بالسيف بين يدي الساعة ليعبد الله وحده»، وهو حديث عادةً ما يستشهد فيه الجهاديون في دعوتهم ومحاولاتهم للتجنيد، ويبدو أنّ قراءته للحديث كانت في سياق احتكاكه بمجموعة «جهادية»، فقام بسؤال أصدقائه من جماعة التبليغ عن الحديث، فقالوا إنّه غير صحيح، لكنّه تبيّن لاحقاً أنّ الحديث صحيح، وزاد من عمق نقده لجماعة التبليغ فتركها، وأخذ يتوجه إلى «الأفكار السلفية الجهادية».[2]

كانت معرفته – في البداية– بمجموعة «سلفية جهادية» من سكان الزرقاء، ومنهم رائد النوايشة (قُتل لاحقاً في العراق)، ثم أخذ يلتقي بهم بصورة دورية.[3] لاحقاً مع احتلال العراق، وتنشيط التهريب من قبل «الجهاديين» للقتال هناك، عبر الحدود السورية، انتقل (بسّام) إلى مرحلة جديدة، فذهب إلى سورية، للانضمام إلى جماعة الزرقاوي في العراق، بعد العام 2005، وهناك التقى بعدد من «الجهاديين» الأردنيين،

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر نفسه.

(3) قُتل رائد النوايشة في العراق، بعد أن انضم إلى جماعة الزرقاوي، ويبدو أنّ علاقة الاثنين كانت وثيقة، أي بسام ورائد النوايشة، وحتى بعد مقتل النوايشة، بقيت علاقة بسّام بشقيق النوايشة الأصغر، حمزة، الذي انضم لاحقاً لتنظيم الدولة الإسلامية في سورية.

حول رائد النوايشة، انظر إلى: أحكام بسجن خمسة أردنيين لمحاولتهم الالتحاق بمقاتلين في العراق، أ.ف.ب، 28 أيلول/ سبتمبر 2006، على الرابط التالي: http://www.alwasatnews.com/news/653170.html

ومنهم مصطفى عبد اللطيف صالح (الذي سيصبح لاحقاً أبو أنس الصحابة، أحد أبرز قادة جبهة النصرة في سورية).[1]

تكررت (رحلات) بسام بين سورية والعراق، وتم اعتقاله لأكثر من شهر في الأردن تقريباً، لكنّهم لم يأخذوا إفادة منه، ثم في مرحلة لاحقة اعتُقل في سورية، وبقي هناك في السجون لمدة تجاوزت العام، تعرّف في تلك الفترة على عدد كبير من القيادات السورية «الجهادية»، التي أصبحت لاحقاً تقود الجماعات المقاتلة ضد نظام الأسد بعد العام 2011.

عاد إلى الأردن، ومن الحدود تم اعتقاله، ثم الإفراج عنه، وخلال هذه الفترة بدأت علاقته تنمو أكثر وتتجذّر في «التيار السلفي الجهادي»، ثم بالجيل الجديد، الذي انضم لهذا التيار، مثل: د. سعد الحنيطي؛ ود. عامر الضمور؛ وغيرهم، ممن أصبحوا قريبين من المرشد الروحي للتيار، أبي محمد المقدسي.

دعم (بسّام) (كما فعلت الطبقة القيادية الجديدة من الجهاديين) مشروع تنظيم أمور التيار الجهادي في الأردن، وكان هو من الناشطين في مسألة المسيرات السلمية والاعتصامات، غير المسبوقة، التي قام بها أعضاء التنظيم في مدن متعددة، لعرض مطالبهم السياسية والإفراج عن المعتقلين، إلى أن انتهت الأمور إلى أحداث الزرقاء المعروفة في منتصف نيسان/ أبريل 2011.[2]

اعتُقل، كغيره من «الجهاديين»، بعد أحداث الزرقاء، وبقي مسجوناً إلى نهاية 2011، وأُفرج عنه بكفالة، كما حدث مع بقية أعضاء التنظيم. ثم دعا في مزرعته إلى اجتماع عدد كبير من قيادات هذا التيار في الأردن، بما يزيد على مائة شخص، ومن مختلف المحافظات في شهر شباط/ فبراير 2012، وتم انتخاب عشرة قادة يمثلون أبرز المحافظات التي يتواجد فيها التنظيم، للتفاهم حول مسار التنظيم في المرحلة التالية.[3]

---

(1) لقاء خاص مع بسّام، مصدر سبق ذكره.

(2) المصدر نفسه.

(3) انظر إلى: تامر الصمادي، الجهاديون شكلوا مجلس شورى والطحاوي أبرز قادته، صحيفة السبيل الأردنية، 16-4-2012.

لكن الرياح أتت بما لا تشتهي سفن هذه المجموعة، إذ أدت أحداث الزرقاء، وتسرب مجموعة من الأشخاص إلى سورية لتحفيز الآخرين إلى السفر لسورية والانضمام إلى «النصرة»، فغادر المئات من أبناء التيار إلى هناك، وأصبح الوضع في الأردن هامشياً، وتراجعت أفكار هيكلة التيار وتصحيح مساره وتطويره، لدى من تبقى منهم في الأردن، فطغى المشهد السوري بصورة كبيرة على أولويات واهتمامات «الجهاديين» الأردنيين، الذين أصبحوا يرون فيه ساحة مناسبة للتعبير عن أفكارهم، وهروباً للأمام من سطوة القبضة الأمنية في الأردن.

أعيد اعتقاله في العام 2012، مع أبو محمد الطحّاوي، القيادي الجهادي المعروف، على خلفية الأحداث نفسها (أحداث الزرقاء 2011)، وبقي في السجن ثلاثة أعوام من دون محاكمة، ما دفعه إلى الإعلان عن إضراب عن الطعام، أكثر من مرة، في العام 2013، و2015، ما استمر لأكثر من شهر، تدهورت حالته الصحيّة خلالها، ودخل فيما أسماه بمعركة «الأمعاء الخاوية، مطالباً بإطلاق سراحه، إلى أنّ تم الإفراج عنه وعن الطحاوي في شهر تشرين الأول/ اكتوبر من العام 2015.[1]

يعيش حالياً في مزرعته في الظليل مع زوجتيه وأبنائه، ويراجع الأجهزة الأمنية بصورة دائمة، ويخضع للمراقبة، لكنه يفضّل الحياد والابتعاد قليلاً عن حالة الانقسام التي يعيشها «التيار السلفي الجهادي» في الأردن، الذي انقسم بين أتباع ومؤيدي تنظيم داعش من جهة، وأنصار «جبهة» النصرة من جهةٍ أخرى.

يمكن القول إنّ السمات الشخصية، وبعض الخصائص الاجتماعية، تمثّل مفتاحاً مهماً لفهم رحلة (بسام) إلى عالم الجهاديين، فعلى الصعيد السيكولوجي هو شخصية أقرب إلى حب المغامرة، والبروز والزعامة، والقوة، منذ عمل في مجال التهريب إلى

(1) انظر إلى: طارق الفايد، الجهادي السلفي أبو بندر النعيمي يسجل شكوى ضد محكمة أمن الدولة الأردنية: موقوف منذ أربع سنوات بدون تهمة ولا قضية، القدس العربي، 6-10-2015. و كذلك: السلطات الأردنية تقرر الإفراج عن قيادي السلفية الجهادية أبو محمد الطحاوي لأسباب صحية، موقع الرأي اليوم، 21-10-2015، على الرابط التالي:

http://www.raialyoum.com/?p=333101 ، وكذلك الأمر: «المعتقل السلفي أبو بندر النعيمي: أنا علان الأردن»، موقع عمان نت، على الرابط التالي: http://amman1.net/jonews/jordan-news/98481.html

الانتقال لعالم «الجهاديين»، فإنّ الاعتداد بالنفس واضح، ونزوعه القيادي لا يخفى في أغلب المراحل السابقة.

يضاف إلى ما سبق؛ أنّ أصوله البدوية تشحن اعتداده بنفسه، وتمرّده على الوضع الراهن، مع طبيعة بلدة الضليل وموقعها الجغرافي، إذ تنشط لدى مجموعات عملية التهريب عبر الحدود، وعدم الاعتراف بقوة السلطة، أيضاً هناك عوامل مساعدة أنضجت رحلة (بسام) إلى عوالم التهريب ثم «الجهاديين».

– 6 –

عمر.. التحوّل السريع والتجنيد الخاطف[1]

في شهر آب/ أغسطس من العام 2015، تلقى المهندس المدني، جمال، مكالمة من شخص مجهول، يبارك له فيها بـ «استشهاد شقيقه الصغير»، (عمر)، قائلاً له: «إنّ إخاه قام بتنفيذ عملية وهو الآن في حواصل الطير في الجنة»، وتفسير ذلك أنّها عملية انتحارية، قام من خلالها بتفجير نفسه، من دون أن يكشف المتحدث على الطرف الآخر، من الهاتف، وكان الاتصال من رقم خاص، عن تفاصيل أخرى.[2]

استمع جمال إلى المكالمة، وهو في حالة صدمة كاملة، لم يكن يفكر حينها إلاّ بالطريقة التي سيخبر أهله فيها بمقتل شقيقه، الذي غادر سرّاً إلى سورية، قبل أربعة أشهر (في نيسان/ أبريل 2015)، وقد حاول والده، الذي كان يعمل مهندساً مدنياً، وشقيقه الأكبر أحمد، الذي يعمل في القطاع الخاص، اللحاق به إلى تركيا، بعد يومين من هروبه إلى تنظيم داعش، لكنهما بعد وصولهما مطار أتاتورك في اسطنبول، تلقيا رسالة من ابنهم يخبرهم بها أنّه الآن في سورية، وأنّه لن يتحدث معهم قبل أربعين يوماً. وهذا بالفعل ما حدث. إذ اتصل بهم بعد 45 يوماً من ذلك التاريخ، متحدثاً مع شقيقه جمال، الذي يكبره ببعض أعوام، الذي علم منه أنّه في الرقة، ويتنقل باستمرار، ويقاتل مع تنظيم الدولة.[3]

الصدمة.. اختطاف الابن

حجم صدمة عائلة عمر كان كبيراً، ليس فقط لأنّ ابنهم ترك الدراسة الجامعية، وهو في سنة التخرج من الجامعة الهاشمية، من تخصص هندسة مدنية، بل للسرعة الشديدة التي تحوّل فيها من شاب غير متدين، طائش، عنيد، يحب المغامرات، ويدخل

(1) تمّ تغيير الاسم بالكامل، واستبداله باسم مستعار، وكذلك الحال جميع الأسماء الواردة في هذه القصة، بناءً على طلب العائلة.

(2) مقابلة مع شقيقه جمال، بتاريخ 11-8-2017.

(3) المصدر السابق.

في مشاجرات عديدة، لا يصلي، يدخّن، إلى شاب متدين، في نهاية العام 2014، ويسمع الدروس الدينية، يشاهد الأخبار، بخاصة ما يحدث في سورية، ويطلق لحيته، ثم بعد قرابة 4 أشهر يغادر سراً إلى سورية، بالرغم من كل محاولات عائلته الفاشلة في إقناعه، ومنعه من السفر، إلى درجة مراقبته الشديدة وإخفاء جواز سفره.

ما سرّ الانقلاب المفاجيء في شخصية (عمر)، والسرعة الفائقة التي تمّت بها عملية التجنيد، ثم الهجرة إلى سورية، فالقتل هناك، وهي عموماً لا تتجاوز الـ9 شهور؟

ثمة سببان رئيسان في نظر شقيقيه، جمال وأحمد، وهما محافظان، وملتزمان، لكنهما منفتحان إلى درجة كبيرة في آرائهما، كما هي حالة العائلة، التي يصفها الشقيقان بأنّها عائلة محافظة ميسورة الحال، من الطبقة الوسطى، منفتحة مرنة في التزامها الديني؛ السبب الأول هو شخصية (عمر) نفسها، والثاني هو البيئة الاجتماعية في السلط، وطبيعة العشيرة التي ينتمي إليها (عمر)، وقد تداخل العاملان في حياته ومسيرته وتبادلا التأثير في مراحل حياته القصيرة..

ولد (عمر) في العام 1992، في شهر تموز/ يوليو، وهو الرابع بين أشقائه، درس – كما هي حال أشقائه جميعاً– في مدرسة خاصة، وحصل في الثانوية العامة على معدل مرتفع 93 بالمائة، بالرغم من أنّه كان مهملاً في دراسته، وفقاً لما يقوله شقيقاه، إلاّ أنّه لذكائه الشديد، حصّل على معدل عالٍ أكبر مما حصله شقيقاه المتميزان في الدراسة.

لم يكن (عمر) متديناً خلال مراحل المدرسة، وحتى سنة التخرج من الجامعة، لكن شخصيته كانت مختلفة، بدرجة كبيرة، عن طبيعة شقيقيه الهادئة والمرنة، فقد كان منذ الصغر عنيداً، صلباً، مستقلاً في آرائه ومواقفه عن أسرته، له «عالمه الخاص»، كما يقول شقيقه جمال، « إذا اقتنع في شيء يذهب به إلى أبعد مدى ممكن، لدرجة التطرف فيه، ويصعب كثيراً إقناعه برأي مغاير أو مخالف، ويحب إبراز شخصيته القيادية وسماته وإثبات ذاته بصورة ملموسة».[1]

(1) مقابلة خاصة مع جمال، مصدر سبق ذكره.

خلال مراحل الدراسة لم يكن (عمر) متديناً، لكنه في مرحلة المراهقة الأولى، دخل في طور التدين المفاجيء، لفترة قصيرة، فالتزم بالصلاة في المسجد، وأصبح يحاول فرض رؤيته المتدينة بصورة متشددة في المنزل، ويغلق التلفاز، ولم يستطع أهله إقناعه بضرورة الاعتدال في التدين. فقام والده بتسجيله في ناد صيفي منفتح، للتأثير فيه، وهي الخطة التي انتهت إلى نتائج عكسية تماماً على شخصيته، فعاد بعد أسبوعين من المعسكر الصيفي، لا يصلي، ويدخّن سراً، ويتحدث مع الفتيات، وهي قصة يدلل فيها شقيقاه على طبيعته الحادة في التعامل مع الأمور.[1]

في مرحلة لاحقة، خلال دراسته الثانوية، تعرف على صديق شقيقه الأكبر أحمد، وهو شاب يكبره ببضعة أعوام من العشيرة نفسها، لكنه من الاتجاه الآخر في العشيرة، وهي مجموعة، تتكافل في المشاجرات وإثبات القوة، ولديها اعتداد كبير بمدينة السلط، وشبابها ليسوا ملتزمين دينياً، بل على النقيض من ذلك، يحبون المشاجرات، والظهور القوي، ونسبة منهم تشرب الكحول، وفي حال حدثت مشكلة في السلط، أو مع أبناء السلط، يكون لهم دور كبير، حتى أصبحت هذه المجموعة معروفة على مستوى المملكة، ومرهوبة الجانب من قبل الآخرين.[2]

تأثر (عمر) من الجلسة الأولى بشخصية رائد، بالرغم من أنّ شقيقه الأكبر أحمد، مغاير تماماً لتلك الشخصية. فجمال وأحمد هادئان متدينان منفتحان على الآخرين، يميلون إلى الاعتدال في كل شيء، بينما وجد (عمر) غايته في شخصية رائد، الذي يتحدث عن البطولات والمشاجرات والمغامرات، ما جعل حمزة يتعلق به بسرعة قياسية، ويصبحا صديقين، ويمضيان وقتاً طويلاً معاً، فدخل حمزة منذ مرحلة الثانوية في طور جديد، وهو إثبات الوجود عن طريق المشاجرات والقوة، والالتقاء مع أبناء السلط في التعصب للمدينة، وهو ما تتسم به المجموعة المذكورة، التي تشكلت أصلاً على يد مجموعة من العشيرة نفسها، وما تزال على هذا الميراث.

(1) المصدر السابق، ومقابلة خاصة مع شقيقه الأكبر أحمد بتاريخ 11-8-2017.

(2) مقابلة مع أحمد، المصدر السابق.

ويبدو أنّ «البيئة السلطية» تدخلت بقوة هنا، في شخصية (عمر)، في هذه المرحلة، كبيئة عشائرية، وبخاصة أجواء نسبة من شباب عشيرته، الذين يعتزون بمفهوم القوة والتعصب للمدينة، وعدم الخشية من مواجهة التحديات، وإثبات الوجود في المغامرات، ما جعل عمر غير مهتم بدراسته بالثانوية العامة.

بالرغم من كل ذلك، وكما ذكرنا، حصّل (عمر) معدلاً مرتفعاً بالثانوية العامة، ما أتاح له الدخول إلى الجامعة، وتخصص الهندسة المدنية، مثل والده وشقيقه جمال، وأمضى الأعوام الأولى من الجامعة، منخرطاً في مذهبه في إثبات الوجود عبر القوة والمشاجرات والتعصب لمدينة السلط وشبابها، وأضاف إلى ذلك حب الصيد والذهاب مع أصدقائه لممارسة الهواية الجديدة، فأصبح السلاح بعداً جديداً من أبعاد شخصيته.[1]

أدى ذلك إلى إهماله في دراسته، وتأخره في بعض المواد، وفي السنة الثالثة من دراسته ذهب والده وشقيقه الأكبر، أحمد، إلى محطة للشرطة لكفالته، بعد أن تم إيقافه على إثر مشاجرة جامعية بين أبناء مدينة السلط وعشيرة أخرى من مدينة مختلفة، فكان (عمر) حاضراً بقوة في تلك المشاجرة خارج أسوار الجامعة.

أدت تلك الحادثة إلى تشدد كبير من قبل والده معه، فأصبح يراقب دراسته، ويضغط عليه بشدة لإنهاء مرحلة البكالوريوس، ووالده - كما يقول شقيقاه- يمتاز بشخصية صلبة وشديدة، بعكس والدتهم التي تحاول إرخاء الحبل تماماً. والمفارقة - كما يقول الشقيقان- أنّ (عمر) كان أقرب إلى والدهم في مراحل سابقة منهم، فوالدهم عصبي وحاد المزاج في حالة الغضب، وكان يشعر بأنّ (عمر) بصلابة شخصيته وهيامه بمفهوم القوة أقرب إليه، إنّه بالتعبير العامي الدارج، «سكورت»، لكن والده كان في الوقت نفسه شديداً في تربية الأبناء، والحرص على دراستهم وحياتهم بألا تذهب باتجاهات خاطئة.[2]

(1) مقابلة مع شقيقيه، مصدران سابقان.

(2) المصدر نفسه.

الانقلاب حدث بصورة مفاجئة في شخصية (عمر)، في شتاء 2014، في نهاية العام، وكانت الثلوج منهمرة في السلط، فحدث انقلاب في شخصية شقيقهم الصغير، من دون أن تفهم العائلة سرّ ذلك، فأصبح يصلي باستمرار، وفي فترة قياسية أطلق لحيته، وأخذ يتابع الأخبار، ويتأثر كثيراً بما يحدث في سورية، ثم بدأ يتحدث عن «الجهاد» والدفاع عن «أعراض المسلمين» في الشام.

لاحقاً عرف شقيقاه من خلال محاولة تفسير ما يحدث لشقيقهم، الذي كان دوماً له عالمه الخاص، ولا يحب إطلاع عائلته على أموره الخاصة، بأنّه تأثر بأصدقاء له في الجامعة وفي مدينة السلط، وأنه كان يحضر دروساً دينية، مع مؤيدين لتنظيم الدولة في مدينة السلط، في المنازل، وأنّ بعضهم خلال فترة قصيرة جداً استطاع التأثير في شقيقهم ونقله من جهة إلى أخرى مناقضة تماماً لها.[1]

في مرحلة لاحقة، وبعد أن غادر (عمر)، اكتشف شقيقاه في غرفته «سيديهات» مضغوطة تحتوي على أناشيد حماسة ومشاهد من معارك تنظيم الدولة الإسلامية، وبعض الكتب التي تعبّد الطريق لهذا التيار، بالرغم من أنّهما يؤكدان بأن شقيقهم لم يقرأ تلك الكتب، وليس هاوٍ للقراءة، وأنّ معرفته الدينية ما تزال سطحية، وأنّ التزامه لم يكن كاملاً، حتى أنّه حاول الإقلاع عن التدخين ففشل في ذلك بعد تدينه.

محاولات العائلة في منع انجراف (عمر) نحو السفر إلى سورية وإكمال الرحلة الجديدة إلى نهايتها فشلت، بالرغم من أنّ صديقاً له في الجامعة أخبر عائلته بأنّ (عمر) لم يعد يحضر المحاضرات، وأنّه لا يقدم الامتحانات، وأنّ هذه المؤشرات جزء متقدم من حالات مشابهة غادرت إلى سورية، ما دفع بالعائلة إلى القلق الشديد ومراقبته بقوة.

ثم في مرحلة لاحقة، أخبرهم صديقه نفسه بأنّ (عمر) خفف من لحيته، وأصبحت لا ترى إلاّ بصعوبة، وذلك يعني بأنّه على وشك القرار بالسفر، وفقاً لحالات سابقة، ما دعا العائلة إلى إخفاء جواز سفره، في محاولة لمنعه من المغادرة، وكان أشقاؤه

(1) المصدر نفسه.

يفكرون بإبلاغ الأجهزة الأمنية لوضع اسمه على الحدود، في حال حاول السفر، إلاّ أنّ قلقهم على مستقبله والخشية من اعتقاله وأن يصبح من المسجلين لدى الأجهزة الأمنية جعلهم يكتفون بإخفاء جواز السفر ومراقبة ابنهم.[1]

وضع (عمر) خطته من أسابيع، ونسّق مع أصدقاء له من أبناء التيار عملية السفر، وتم جمع المال له، واستطاع بذكائه ومعرفته التفاصيل الدقيقة واهتمامه بها اكتشاف مكان جواز سفرة. وفي شهر نيسان/ أبريل في 2015، أخبر والدته بأنّه يريد الدراسة عند صديقه، وبالرغم من محاولة شقيقه إقناعه بالدراسة في المنزل، إلا أنه أصر على ذلك، ثم اتصل (عمر) بعائلته ليلاً ليخبر والدته بأنّه سينام عند صديقه لإكمال الدراسة.

وفي اليوم التالي صباحاً حاولت والدته الاتصال به، فكان هاتفه مغلقاً، فأخبرت شقيقه أحمد، الذي قام فوراً بالذهاب إلى الجامعة، واتصل بشركة الاتصالات التي يعمل بها، طالباً منهم معرفة المحطة التي تلقت آخر رسالة من رقم هاتف شقيقه، ليعرف بعد ذلك أنّ المحطة كانت تلك التي في قرب المطار، فأخبر والده على الفور، وحاولوا اللحاق بشقيقهم، لكنه كان قد سافر فجراً إلى تركيا، ومنها إلى الحدود السورية، فتنظيم الدولة الإسلامية.[2]

غادر (عمر) مع صديقه وزميله في الجامعة، وفي تخصص الهندسة، حازم، من المدينة نفسها، وإن كان حازم ينتمي إلى أسرة من طبقة اجتماعية أقل حالاً اقتصادياً، وتتناقض شخصيته مع صفات (عمر)، فهو ليس عنيداً، بل متردداً، ولا توحي شخصيته بأنه يمكن أن يذهب بالاتجاه نفسه، مثل عمر.

كان هنالك تأثير كبير لمجموعة من أبناء «تيار السلفية الجهادية» في السلط، بخاصة في الدروس التي تعقد في المنازل. ومن المعروف أن هناك عشرات من المدينة انضموا سابقاً إلى «القاعدة»، بل كانوا من مؤسسي هذا التيار في العراق، مثل رائد خريسات وآخرين، وقد قتل قرابة خمسين شاباً من السلط خلال الأعوام السابقة، سواء خلال

(1) المصدر نفسه.

(2) مقابلة خاصة مع أحمد، مصدر سبق ذكره.

مرحلة أبو مصعب الزرقاوي في العراق، أو تنظيم الدولة لاحقاً، كما أنّ هناك عدداً آخر معتقلون، وآخر ما يزال يقاتل، وهناك شخص تم إعدامه بتهمة الأعمال الإرهابية، وأشخاص آخرون محكومون بالسجن بسبب العلاقة مع هذا التيار.[1]

بالرغم من محاولات إشقائه لاحقاً إقناعه خلال الاتصالات الهاتفية بينهم بالعودة، متذرعين ببر الوالدين وصلة الرحم، وعدم وضوح أهداف التنظيم الذي ينتمي إليه، إلاّ أنهم أدركوا بأنّه أصبح متعصباً للتنظيم، ويرفض النقاش بالأمر، وشعوره بالولاء للتنظيم أكثر من العائلة، فأصبحوا يتجنبون الدخول معه في خلافات على الهاتف، ويكتفون بمحاولة الإطمئنان عليه، وقد كان يخبرهم عن معاركه وعن حالة التنظيم، بإعجاب شديد بما يصنعون، إلى أن جاءهم خبر الوفاة في شهر آب/ أغسطس 2015.[2]

ما الذي حدث إذاً، وهل شخصية (عمر) لهذه الدرجة من السطحية والبساطة حتى يتأثر بسهولة بالأشخاص الذين يلتقي بهم، فينتقل من الضد إلى الضد، بفترة قياسية؟ وكيف ينسجم ذلك مع تأكيد أشقائه أنّه حاد الذكاء، يهتم بالتفاصيل، ومع حقيقة أنّه حاز على علامة مرتفعة بالثانوية العامة، بالرغم من إهماله الدراسة، ومن دراسته الهندسة المدنية في الجامعة؟

بالعودة إلى التفاصيل السابقة؛ سنجد أنفسنا بالفعل، كما فسر شقيقاه، أمام عاملين متداخلين: الأول هي شخصية (عمر) نفسه، استقلاليته، ميوله للقيادة، رغبته في إثبات الوجود، وهي في جزء منها عامل جيني موروث، تناسب في مرحلة معينة مع توجهات مجموعة معروفة بالقوة من عشيرته، ووجود ميراث لديهم بالافتخار بقوتهم وقوة العشيرة والتعصب لمدينة السلط، ما تجلى بداية بالشاب الذي التقاه ودفعه إلى عالم المشاجرات والقوة وإثبات الوجود بهذه الطريقة، بخاصة عندما يتم التحدث بفخر في أوساط هؤلاء الشباب عن المشاجرات والنزاعات وقوة الأفراد، فيلقى الحديث آذاناً صاغية وإشادة من الحضور، كما يقول شقيقه.

---

(1) مقابلة خاصة مع شقيقه جمال، المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

لكن، في مرحلة لاحقة، ومع التدين، بقيت المفاهيم نفسها لدى (عمر)؛ أي القوة وإثبات الوجود، والمغامرة، لكن هذه المرة نحو الشعور بأن هناك هدفاً أكبر وغاية أكثر إقناعاً يمكن تحقيقها، فامتزج العامل الديني بالشخص، إذ يمكن تحقيق الذات والشعور بالقوة مع هدف «الدفاع عن أعراض المسلمين»، على حد تعبيره، من خلال الانضمام إلى تنظيم الدولة الإسلامية، الذي تميزت أشرطته المنتشرة على «العالم الافتراضي»، بل ثيمة دعايته الإعلامية والسياسية وطريقته بالتجنيد بالتركيز على مفهوم القوة والرعب والتنكيل بالأعداء.

عملياً لم ينتقل (عمر) نقلة نفسية كبيرة، ولا حتى في المفاهيم الفكرية، بقدر ما أنّه انتقل من جو الدعسة الفجائية والتعصب للسلط ومغامرات الصيد والمشاجرات إلى عالم «داعش»، حيث إبراز القوة بمغامرات حقيقية، والشعور بقضية تفوق أهميتها التعصب لمدينته، وفي الوقت نفسة تتجاوب مع طاقاته ونزعاته المفضلة، وتخلصه من ضغوط الدراسة والعائلة بخاصة في الأشهر الأخيرة، بعد مشاجرته في الجامعة، وإيقافه في مركز الشرطة.

والمفارقة أن (عمر) ليس أول من ينتقل من التأثر بالعصابات أو المجموعات المتعصبة في السلط إلى النقيض، فقد سبقه آخرون من أبناء العشيرة نفسها، ومن المجموعة ذاتها، بأعوام، فانتقلوا من النقيض إلى النقيض، وانضموا إلى مجموعة الزرقاوي في العراق، والزرقاوي هو الأب الروحي، كما هو معروف، والمؤسس الأول لتنظيم الدولة الإسلامية.

– 7 –

مراد.. «الالتزام الناعم» بالسلفية الجهادية!

كان (مراد) يسكن حيّ النزهة، بالقرب من القصور الملكية، وللصدفة بجوار منزل عائلة د. همّام البلوي، الملقب بأبو دجانة الخراساني، الذي قام بعملية انتحارية بخوست في أفغانستان في العام 2009، أدت إلى مقتل عدد من ضباط المخابرات المركزية الأميركية، وضابط مخابرات أردني.[1]

والده كان يعمل في الكويت حتى نهاية الثمانينيات، في القرن العشرين، وعمره الآن في نهاية الثمانينيات، بينما جلس والده مع والدته وشقيقه يتحدثون عن شخصية (مراد) والطريق التي مرّ بها حتى وصل إلى «جبهة النصرة»، ثم مقتله في آخر أيام رمضان من العام 2017، في قرية خان الشيخ في ريف حماة، بقصف جوي.[2]

تقول والدته إنّه كان أصغر أشقائه جميعاً (هم 6 أشقاء وشقيقة واحدة)، وكان أكثرهم قرباً من والديه، ويؤكد شقيقه أنّه كان مطيعاً لهم جميعاً، ليّناً، مؤدباً، من المعروف أنّه دائم الابتسام والضحك، وتؤكّد والدته أنّه كان الأقرب إليها دوماً.

هو من مواليد الكويت، 1979، جاء صغيراً إلى جبل النزهة، مع عودة عائلته في نهاية الثمانينيات، ودرس حتى الثانوية العامة، فانقطع، ثلاثة أعوام، عمل خلالها في محل خلويات قريب من المنزل، وأعاد لاحقاً الامتحان ونجح فيه ودخل إلى جامعة فيلادلفيا الخاصة، فدرس المحاسبة، وكان يعتمد على نفسه في تحصيل رسوم الجامعة ومصروفه، ثم عمل محاسباً في مصنع للأدوية، وأصبح يأخذ دخلاً شهرياً قرابة 600 دينار، ورفعه صاحب العمل لاحقاً إلى 800 دينار شهرياً.

---

(1) انظر إلى: العميل الثلاثي همام البلوي: القصة الكاملة، موقع حبرز كوم، 15-2-2013، على الرابط التالي:
https://www.7iber.com/2013/02/the-triple-agent-excerpts/

(2) المقابلة أجريت مع أفراد عائلته، والده ووالدته وشقيقه، في منزل العائلة بتاريخ 3-9-2017.

أنهى الجامعة وعمره 25 عاماً (أي تقريباً في العام 2005)، ثم تزوج بعد قرابة العامين، وسكن في الشقّة مع والده ووالدته. وتزوّج ابنة رجل كان يصلّي معه في المسجد القريب (عمّار بن ياسر)، وقد أنجب منها ابنتين، وكانت حاملاً بالثالثة عندما غادر إلى سورية وانضم إلى «جبهة النصرة».

بدأ تديّنه يأخذ مساراً أكثر وضوحاً في الجامعة، قبل ذلك كان يصلي أحياناً، ولا يصلي في أوقاتٍ أخرى، لكن مع الجامعة، وبعدها بدأ أكثر تديّناً، بما لم يثر أي ريبة أو تغيرات ملحوظة في علاقته مع العائلة ومع أشقائه، فهو أصلاً من عائلة متدينة محافظة، فكان الأمر يبدو طبيعياً.

وزوجته متدينة بصورة طبيعية، ترتدي الحجاب، لكنّها لا تضع غطاء الوجه، كباقي النساء في «التيار السلفي الجهادي»، ولم يلحظ أشقاؤه ولا عائلته عليه أي تغيّر في سلوكه أو مواقفه الفكرية أو حتى آرائه السياسية، بالرغم من أنّه خرج إلى اليمن في العام 2010، تقريباً، خمسة أيام؛ بهدف الانضمام إلى تنظيم «القاعدة» هناك، ومن دون علم أهله، الذين أخبرهم بأنّه ذاهب لإكمال الماجستير.

بعد عودته تمّ استدعاؤه من قبل المخابرات العامة، مرّات عدة، ولم يجر اعتقاله، لكن تمّ حجز جواز سفره لمنعه من السفر، ومحاولة الالتحاق مرّة أخرى بـ «الجماعات الجهادية» في الخارج، وبقي في عمله، وكان أصحاب مصنع الأدوية راضين عنه، ورفعوا راتبه الشهري، وبقيت علاقته مع عائلته، جيدة، خلال تلك الفترة، لكنه قرر الرحيل واستئجار شقّة قريبة له ولزوجته وابنتيه قبل شهور من مغادرته إلى سورية.

في رمضان من العام 2013 أبلغ عائلته بأنّه سيذهب إلى العقبة لمدة أسبوع في عمل مع المصنع، وهو الأمر الطبيعي بالنسبة للعائلة، بمقتضى عمله، وقال لهم إنّه يريد إغلاق الهاتف؛ لأنّه ينوي الاعتكاف في مسجد هناك، لكن بعد أسبوعين اتصل معهم من درعا، وأخبرهم بأنّه أصبح هناك، ويبدو أنّه تم تهريبه عبر الحدود السورية– الأردنية.

المفارقة أنّ عائلته لم تعرف عن التحولات التي مرّ بها، ولم تلحظ تغيراً في سلوكه، وبقيت صفاته كما هي، بل لم يكن يتوقع أحد من عائلته ما قام به، فهو يخشى من الكلب والقطة، إذا مرّت بجواره، وليس لديه أي خبرة قتالية، وليس شخصية عنيفة أبداً، كما تصفه والدته وشقيقه، فسفره كان صدمة للعائلة، إذ كان يهتم كثيراً بملابسه وبأناقته.

وبالرغم من انضمامه إلى «جبهة النصرة» استمرّ بالتواصل معهم، وكان في درعا في مرحلة تدريب، ثم انتقل مع عناصر التنظيم لاحقاً إلى إدلب، وهناك قرر العمل محاسباً، وسكن في البداية في مغارة، لكنه قرر الرحيل والسكن في قرية الشيخ، في شقة، وبقي يعمل محاسباً، وملتزماً مع «جبهة النصرة»، في حماية سكان القرية.

أصيب في السوق، قبل مقتله، خلال قصف روسي، فجاءته شظية، ثم في آخر أيام رمضان 2017، أخبر عائلته بأنّه يريد الاعتكاف في المسجد، وأنه سيغلق هاتفه الشخصي، فتفاجأ شقيقه الذي كان يؤدي العمرة بالسعودية بشخص يتحدث معه ويبلغه بمقتل شقيقه، وبأنّ وصيته بألا يدفن حتى يعرف أهله بذلك، لكن أهله لم يعرفوا حتى عاد شقيقه في العيد، فلم يشأ يخبرهم على الهاتف![1]

ثمة حلقة مفقودة واضحة في قصة (مراد) تتمثّل بالشخصيات والأفكار التي تأثر بها خلال مرحلة الجامعة، وهي المرحلة التي على ما يبدو أنّها نقلته إلى «السلفية الجهادية»، ولأنّه الأصغر في العائلة والمطيع، والمقرّب من الوالدين، كانت لديه قدرة أكبر على التورية وإخفاء تحولاته الفكرية والتزاماته الجديدة؛ ولأنّ العائلة لا تمتلك خبرة ولا معرفة بهذه الاتجاهات الدينية والسياسية لم تستطع أن تلتقط من المرّة الأولى التي سافر فيها إلى اليمن بأنّ ابنهم ينتمي إلى «التيار السلفي الجهادي»، وأنّه يخفي ذلك عنهم.

(1) المصدر السابق.

ليس واضحاً فيما إذا كان من أثروا عليه هم من زملائه في الجامعة أم في المساجد المحيطة، أو في الحيّ الذي يقطنه، لكن المدهش هي قدرته على عدم إظهار هذا التغير أمام عائلته، والحفاظ على نمط الحياة ذاته، مع زوجته وبناته، التي تفاجأت هي الأخرى بسفر زوجها، وكانت ترجوه بأن يعود إلى المنزل ولأسرته، لكنه كان يجيب بأنّه ترك والده ووالدته وزوجته وبناته لله، وأنّهم أغلى شيئ لديه.

وضع الأسرة المالي أقرب إلى الطبقة المتوسطة، ووضعه في العمل كان مقبولاً، رئيس قسم ويأخذ راتب 800 دينار شهرياً، وأشقاؤه من الطبقة الوسطى أيضاً، ولم يتزوج بعد أن ذهب إلى سورية، وبقي وفياً لزوجته، كما تقول والده، ما يعني أنّ الظروف الاقتصادية- الاجتماعية قد لا تنهض لتساعد في تفسير اعتناقه لـ «الفكر السلفي الجهادي»، بقدر ما أنّ هنالك شخصيات أثرت فيه وأقنعته بهذه الأفكار بوصفها جزءاً من الدين.

يمكن القول؛ إنّ (مراد) انتقل بصورة ناعمة سلسة، من دون إثارة الانتباه أو تغيّرات ملحوظة في السلوك إلى الأفكار «السلفية الجهادية»، ولم يتعمّق فيها بقدر ما أنّه تأثر - على ما يبدو- بأشخاص يطرحون هذا الفكر، ثم انتقل إلى سورية بصورة هادئة أيضاً، من دون أن يصطدم مباشرةً مع عائلته أو حتى زوجته، وبقي على تواصل معهم إلى حين مقتله.

الملاحظة السيكولوجية أنّ طبيعته مسالمة، غير عدائي، كما ذكرت والدته أنّه لا يمتلك أن يرى دجاجة تقتل أمامه، لكنّه في الوقت نفسه - كما ذكرت عائلته- كان عاطفياً، وتأثّر إلى أبعد مدىً بما يحدث في سورية، وملتزماً، ومقتنعاً بأنّ واجبه الديني هو بمساعدة السوريين، فهذه الحيثيات تمثّل - عملياً- حالة من الصراع الداخلي لديه، يبدو أنّه حسمه بالسفر إلى سورية والالتزام مع «جبهة النصرة»، لكن كما تدّعي عائلته بوظائف ليست مرتبطة بصورة مباشرة بالقتال.

- 8 -

محمد.. تحولات شكلية أم جوهرية؟!

لم تعرف عائلته أنّه في سورية إلاّ عندما تم بثّ اعترافات مصوّرة له على التلفاز السوري، مع شخص آخر يدعى عبد الرحمن، كان (محمد)، ابن الـ27 عاماً، يتحدث عن الكيفية التي خرج بها إلى سورية، ولم يكد يجتز الحدود، حتى أُلقي القبض عليه مع آخرين من قبل القوات السورية، ولم يعرف عنه شيء حتى تلك اللحظة.

تحدّث (محمد) - في تلك المقابلة - عن المراحل التي مرّ بها، وأوصلته إلى يد الجيش السوري، بعدما كان يخطط للوصول إلى «جبهة النصرة» إلى أبو أنس الصحابة، وهي التفاصيل التي تتوافق تماماً مع ما يقوله أشقاؤه عن حياته وعن التحولات التي حدثت مع شقيقهم، خلال الأعوام الأخيرة.[1]

العائلة تقطن حيّ المزارع الشعبي في ماركا الشمالية، ويحتاج الوصول إلى العمارة التي يسكن فيها الأشقاء إلى المرور بزقاق متعددة، لتصل إلى منزل يعيشون فيه بجوار عمارة أخرى يعيش فيها أبناء عمومتهم، وفيها ديوان يحتوي على شجرة العائلة، التي تعود أصولها إلى صرفند، جنوب حيفا؛ أي فلسطين الـ 48.[2]

أشقاؤه جميعاً، غير متعلّمين، يعملون في مجال تجليس ودهان السيارات، ولديهم كراجات في منطقة بيادي وادي السير، ومنطقة ماركا، ووالده كان يعمل في مجال تشحيم الشاحنات، ومحمد كأشقائه ليس متعلّماً وصل إلى الصفّ الخامس ابتدائي، ولم يكمل، ثم بدأ بأخذ الصنعة مع أشقائه الأكبر، وهو يقع ما قبل الأخير (في عمره) بين ستة أشقاء وشقيقه واحدة.[3]

---

(1) انظر إلى: التسجيل المصوّر للمقابلة معه عبر التلفزيون السوري الرسمي، على الرابط التالي:
https://www.youtube.com/watch?v=ihlhJutd6Jo

(2) أجرينا المقابلة مع ثلاثة من أشقائه في منزلهم يوم الاثنين (4 أيلول/ سبتمبر 2017)

(3) المصدر السابق.

عمل لفترة من الزمن في مجال تجليس ودهان السيارات، إلاّ أنّه لم يكمل كباقي أشقائه، ففضّل عملاً آخر، وتنقل من كونترول باص (جابٍ للتذاكر من الركاب)، وموزّع أغذية، قبل أن يصل إلى عمر العشرين عاماً ويعمل سائقاً لتاكسي (سيارة أجرة) مكتب خاص، ولما كان القانون لا يسمح لمن هم دون الـ22 عاماً من اقتناء رخصة قيادة مركبة عمومية، فقد زوّر رخصته، وتمّ اكتشاف ذلك من قبل الأمن، ووضع في العام 2005 في السجن (وعمره قرابة الـ 20 عاماً) لمدة عام بحكم المحكمة.

السجن كان نقطة التحوّل الرئيسة في حياة (محمد)، فقبل ذلك كان قد عاش حياة متطرفة مغايرة تماماً، من شرب الكحول إلى درجة السكر، إلى الحبوب المخدّرة، إلى البحث عن حياة المتعة مع النساء، وقد سافر قبل سجنه إلى العراق وباع كليته هناك، من أجل الحصول على المال لبنات الليل.[1]

يجمع أشقاؤه الثلاثة على أنّه كان مختلفاً عن العائلة، له حياته الخاصة، غير مقتنع بالطريقة التي يعيش فيها أشقاؤه، يريد أن يكسب المال سريعاً، ويبحث عن المتعة والنساء، وكان صدامياً بطبعه مع الآخرين، وكان يشعر بمرارة من حالة الفقر التي يعيشها، ولديه شعور آخر بالاضطهاد من قبل الحكومة، تعزّز مع سجنه والحكم عليه.[2]

في مركز إصلاح وتأهيل سواقة هناك من كان في الانتظار!، فهو، كما يرى أشقاؤه، عجينة طريّة، لمن يريد أن يعبث بعقله. وبالرغم من تمرّده في سلوكه وعناده شخصية بسيطة، تصل إلى مرحلة السذاجة، كما يرى شقيقه الأكبر. وجاء (محمد) إلى السجن وهو يشعر بالإحباط والغضب من المجتمع ومن السلطة والحكومة على السواء، فلم يجد الجهاديون الأربعة، الذين كانوا في زنزانة قريبة منه؛ أي معاناة أو صعوبة في التأثير عليه بسرعة قياسية، وكان السجناء الجهاديون محبوسين على خلفية محاولتهم الوصول إلى الضفة الغربية والقيام بعملية ضد إسرائيل، والأربعة من سكان مخيم شنلر، في

(1) من كلام أشقائه الثلاثة خلال المقابلة، المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

منطقة الرصيفة، القريبة من مكان سكن (محمد)، والأربعة هم أعضاء معروفون في «التيار السلفي الجهادي».[1]

لاحظ أشقاؤه في زياراتهم المتكررة له التحولات السلوكية التي تحدث مع شقيقهم، فقد ترك التدخين، وحفظ جزءاً من القرآن، وأصبح يصلي الصلوات الخمس، وبدأ يطلق لحيته، وبعد عام خرج من السجن شخصاً مختلفاً تماماً مغايراً - شكلياً- لذلك الذي يعرفه أخوته، لكنّه في الجوهر بقي أيضاً مختلفاً عنهم، بالرغم من أنّهم متدينون، ويحافظون على الصلوات، إلاّ أنّه بعد خروجه أصبح يرتدي الثوب الأفغاني، ويطلق لحيته، ويكفّر الحكومة، ويقف موقفاً عدائياً من المجتمع.

في المجمل، بقي مختلفاً عن العائلة، لكنّه عكس تمرّده إلى الجانب الآخر، ووجد قالباً يضع خلاله غضبه وسخطه من المجتمع والحكومة، عبر «التيار السلفي الجهادي»، الذي وفّر له الغطاء الديني والشرعي لتلك الحالة.[2]

بعد الإفراج عنه، طلب من عائلته أن يقوموا بتزويجه، وبالرغم من أنّه لم يكن يمتلك مالاً، وكان قد أنفق ما حصل عليه، حتى من بيع كليته على الفتيات، فإنّ أشقاءه ذوي الدخل المحدود أيضاً، تعاونوا مع والدهم (الذي توفي بعد أعوام قليلة) من أجل نفقات زواج شقيقهم، وهو ما حدث فعلاً، فتزوج وأنجب بالتوالي ثلاثة أبناء، خلال الأعوام التالية.[3]

بالرغم من الزواج والتديّن إلاّ أنّه لم يستقر على عمل معين، فعمل مع زوج شقيقته على جرّافة مرّة، وفي توزيع المواد الغذائية، وتعمّقت علاقته بأفراد من «التيار السلفي الجهادي»، خلال الأعوام التالية، وكان الأربعة الذين تعرّف عليهم في السجن قد خرجوا، فعاود الالتقاء بهم، وعرّفوه على أفراد آخرين من «التيار الجهادي»، وكان

(1) انظر عن قضية الأربعة المحكومين: «الحكم بالسجن 3 و 4 سنوات على خمسة متهمين بحيازة أسلحة ومحاولة تهريبها لإسرائيل»، جريدة الدستور الأردنية، 18 أيلول/ سبتمبر 2004.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) المصدر السابق.

أحدهم، كما ذكر (محمد) (في اعترافاته على التلفزيون السوري) يقوم بتهريب الناس للقتال في العراق، مع تنظيم «القاعدة» هناك، وقد حاول (محمد) إقناعه بأن يقوم بتهريبه، لكنّه رفض.[1]

أصبح (محمد) عملياً ضمن الدائرة «السلفية الجهادية»، وكان يذهب معهم لحضور الدروس الدينية عند شيخ قريب من هذا التيار، منعته الحكومة لاحقاً من مواصلة دروسه، وخلال تلك الفترة تعرّف على آخرين من أنصار «التيار السلفي الجهادي».

لاحقاً عمل (محمد) سائقاً على سيارة نقل تعود ملكيتها لأحد «الجهاديين» المعروفين، ليقوم بتوزيع لوازم الإطارات، إلاّ أنّ دورية للجمارك أوقفته، واكتشفوا أنّ في السيارة بندقيتين روسيتين، كما يذكر في اعترافاته في التلفزيون السوري، وأنكر معرفته بوجودهما، لكنه حكم بالسجن لمدة أربعة أشهر، وخرج بعد ذلك في العام 2012، بعد أن بدأ عشرات الأردنيين يتدفقون على سورية، للقتال إلى جوار «جبهة النصرة»، التي بدأ نجمها يصعد، وأصبحت قياداتها في درعا من الأردنيين، مثل أبو أنس الصحابة وأبو جليبيب وغيرهما.[2]

في الأثناء، خرج من السجن أحد الشخصيات «الجهادية» المعروفة من الحيّ نفسه، وهو أحد الذين سجنوا على خلفية قضية الألفية (في العام 2000) وحكم عليه بالأشغال الشاقة، لمدة طويلة، لكن كان خروجه بعفو ملكي في نهاية العام 2011، فتعرّف عليه (محمد)، وعلى جهاديين آخرين في حيّ المزارع نفسه.

بعد أن تمّ اعتقاله من قبل القوات السورية، كان يتولّى المساعدة في المصروف على العائلة بعض أعضاء «التيار السلفي الجهادي»، مع أشقائه، الذين يزعمون بأنّ أعضاء «التيار الجهادي» أقنعوه بأنّهم سيتولون مصروف عائلته وأبنائه خلال فترة قتاله إلى جوار «جبهة النصرة».

---

(1) انظر إلى اعترافاته على التلفزيون السوري، المصدر السابق.

(2) مقالبته مع التلفزيون السوري، مرجع سابق.

يقول شقيقه، لكن في العام 2016، تفاجأ شقيقه بأنّ هنالك استدعاء له من قبل القضاء الشرعي، ووجد أنّ أفراداً من «التيار الجهادي» أقنعوا زوجته بأن تطلب الطلاق منه لاختفائه مدة طويلة من الزمن، وهو ما حدث، وقاموا بتزويجها لواحد من أعضاء التيار، له ثلاث زوجات سابقات، ولديه أبناء يقاتلون في سورية أيضاً، وهو مالك لكراج ميكانيك سيارات.[1]

منذ تلك المقابلة الشهيرة في العام 2012 مع شقيقهم في آب/ أغسطس 2012، فإنّ العائلة ليست لديها أي معلومات عنه، فيما لو أنه ما يزال معتقلاً لدى الأمن السوري، أم أنّه تمت تصفيته، أم غير ذلك، لكنّهم يدفعون ثمناً غالياً من تلك الذاكرة المريرة، ومن وجود علامات استفهام بدأت تطاولهم بسبب شقيقهم، فقد حرم اسمه ابن شقيقته من تحقيق أمنيته، بعد تخرجه في جامعة مؤتة المدنية، في هندسة الطيران، من دخول سلاح الجو الملكي، بسبب وجود اسم خاله!

(1) المصدر نفسه.

ملاحظات ختامية

من خلال الحالات السابقة، وحالات أخرى، فإنّ هنالك مجموعة من الملاحظات والخلاصات التي تعزّز النتائج والمؤشرات التي تناولناها في الفصل السابق:

1. لاحظنا دور العوامل الاجتماعية المباشرة بصورة واضحة، وبخاصة الصداقات في الجامعة والمسجد والحيّ، إذ كانت عاملاً قوياً وفاعلاً في التأثير على الأشخاص سواء التحّول نحو «التيار الجهادي»، أو الانضمام إلى تلك الجماعات في الخارج.
2. بالنسبة لشباب الإخوان المسلمين، كان هنالك تأثير ملحوظ وملموس لما يسمى بـ «التنشئة الجهادية» في أوساط الجماعة، والتركيز على مفهوم الجهاد والأناشيد الحماسية وإقامة الدولة الإسلامية، على أبناء الجماعة الذين التحقوا بتلك الجماعات. وإذا كانت الجماعة تعلن بوضوح رفضها لقضية العنف والعمل المسلّح في الداخل، فإنّ الحالة السورية بدت مختلفة تماماً، مع وجود حرب داخلية وقتل عنيف، خلق المسوّغ والفرق بين الوضع الأردني والأوضاع هناك، وأضعف حجة قيادات الجماعة بمنع أفرادها من الانضمام إلى تلك الجماعات.
3. في الوقت نفسه، لاحظنا أنّ «أبناء الإخوان» يتوجهون إلى «جبهة النصرة»، وليس إلى تنظيم الدولة الإسلامية- «داعش»، والسبب يعود إلى أنّ «النصرة» في البداية لم تكن تظهر هويتها «القاعدية» من ناحية، ولأنّها كانت العنوان الرئيس للقادمين من الخارج، بمن فيهم الإخوان المسلمين من فلسطين، أو أبناء المخيمات الفلسطينية في سورية، ممن كانوا قريبين من حركة حماس الفلسطينية.
4. ساهمت الصور التلفزيونية والإعلام والأناشيد الحماسية والدعاية ضد النظام السوري بالتأثير في شريحة واسعة من الشباب في المجتمع الأردني، وكان لها دور في دفع نسبة من الشباب إلى تقبل فكرة السفر والقتال في الخارج، بذريعة الدفاع عن السوريين في مواجهة الدكتاتورية.

5. في مرحلة لاحقة، دخلت الدعاية الطائفية على عملية التجنيد والتعبئة، بخاصة بعد تدخل حزب الله عسكرياً في سورية، مع العام 2012، وهو ما نلاحظه حتى في استطلاعات الرأي الأردنية والتحّول الجذري في الموقف من حزب الله.
6. لا يوجد نموذج سيكولوجي واحد، فهنالك من الحالات ما يمتاز بالنزوع القيادي والرغبة في الظهور والقوة، وهنالك النموذج المسالم، وهنالك النموذج العدائي، والأشخاص المنفتحون والمنغلقون- الانطوائيون، فنحن أمام مساحات واسعة متباينة ومختلفة من الناحية النفسية، وإن كان هنالك جانب عاطفي يطغى في حالات عديدة، ممن لم يكونوا أعضاء في «التيار السلفي الجهادي»، لكنّهم أصبحوا كذلك بعدما انتقلوا إلى سورية، واندمجوا في «النصرة»، فالعامل الذي حرّكهم في البداية هو شخصياتهم العاطفية تجاه ما يحدث في سورية والعراق، قبل أن يتحولوا فكرياً وأيديولوجياً في مرحلة لاحقة.
7. عملية الانتقال من «النصرة» إلى «داعـش» لم تكن مرتبطة في -كثير من الأحيان- بقناعات فكرية أو أيديولوجية، بقدر ما كانت ناجمة عن خلافات شخصية بين الأردنيين أنفسهم داخل «جبهة النصرة»، كما حدث مع سعد الحنيطي وعامر الضمور، وقبلهم محمد جمال، وكذلك الحال لاحقاً أبو أنس الصحابة وغيرهم، وإن كان هنالك أردنيون عديدون في «النصرة» وجدوا أنفسهم أقرب إلى خطاب تنظيم «داعش»، بعدما حدث الصدع بين الحركتين، فانضموا إلى «داعش»، وانشقوا عن «جبهة النصرة»، ولدينا نماذج عديدة على عمليات الانشقاق التي حدثت.
8. حدثت عمليات تصفية عديدة في أوساط الأردنيين، سواء في الصراعات داخل «النصرة» أو بينها وبين «داعش» أو بين «داعش» أو «النصرة» أو الجيش الحرّ، كما هي حال أحمد العبيدي؛ ومحمد جمال؛ وعبد الرحمن، وغيرهم كثيرون قضوا في الخلافات الداخلية وليس في الصراع مع الجيش النظامي السوري!.

خلاصات وتوصيات

تخلص بعض القيادات التقليدية في التيار السلفي الجهادي إلى القول بأنّ «التيار لم يعد قائماً في الأردن»، نظراً لحجم الهجرة إلى الخارج التي حدثت من قبل أبناء التيار، لسوريا والعراق (وبدرجة أقل اليمن وليبيا ومناطق أخرى)، ولعدد الذين قتلوا (وهم على أقل تقدير بالمئات)، أو للضربات الأمنية التي تعرّض لها منذ نيسان 2011، وحتى اليوم (بخاصة بعد أحداث العام 2016؛ إربد والكرك)، فقد قامت السلطات بحملة اعتقالات واسعة شملت المئات من أفراد التيار والمتعاطفين معه.[1]

لكن هذه الخلاصة بتراجع قوة التيار مشكوك فيها، بالأرقام، إنّما إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّها جاءت على لسات قيادات من التيار المعارض لداعش في أوساط السلفية الجهادية، فإنّها تبدو منطقية، لأنّ هذا التوجّه، الذي نحا بصورة متزايدة في الأعوام الأخيرة إلى نبذ العمل المسلّح داخل الأردن هو في تراجع، مقابل صعود المتأثرين – من أبناء التيار أنفسهم، ومن حديثي التجنيد- بداعش.

ثمّة عوامل متعددة ساهمت في نشاط التيار خلال الأعوامالأخيرة، وإعادة تشكيله، بخاصة صعود الجناح المؤيد لتنظيم داعش في الأردن، فبالإضافة إلى عوامل داخلية متعددة، فإنّ الصراع الإقليمي (بخاصة في حقبة ما بعد الربيع العربي والأحداث في سورية والعراق، والحرب الطائفية) أدى دوراً رئيساً في تعزيز الدوافع التي تقف وراء هجرة مئات الشباب الأردني إلى ساحات القتال تلك.

في المقابل؛ صحيح أنّ هنالك مئات القتلى وآخرين ما يزالون في الخارج من أبناء التيار، وكذلك الأمر ثمّة صراع داخلي أدى إلى انقسام التيار الجهادي إلى مجموعات وتيارات، بالإضافة إلى مئات المسجونين على خلفية قضايا مرتبطة بالتيار. مع ذلك فإنّ إمكانية استعادة التيار لعافيته وقوته ممكنة جداً ومحتملة خلال الفترة القادمة، بخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار بأنّ عدداً كبيراً من الذين حكموا على خلفية العلاقة

(1) هذه التصريحات جاءت على لسان أكثر من شخصية قيادية في التيار السلفي الجهادي التقليدي التقاها معدّو الدراسة.

مع هذا التيار سيخرجون لاحقاً من السجون، ومن خلال الخبرة البحثية فإنّ الأغلبية لن تستنكف عن هذا الفكر، بل على الأغلب فإنّ فترة السجون تمثّل محطة رئيسة في تجذير الفكر وتنميته لدى أبناء هذا التيار.

إذاً، وكخلاصة أوّلية، لا نتوقع بأنّنا أمام مرحلة تراجع وانكسار في صعود التيار الجهادي المتطرف، بل على النقيض من ذلك فإنّ القراءة التاريخية والمؤشرات الواقعية تؤكّد أنّ هنالك استمرارية، وإعادة تشكّل جديدة بعد نهاية دولة داعش في الجوار (في كل من سوريا والعراق).

من هنا، فمن الضروري أن نعيد قراءة نتائج هذه الدراسة لاستنتاج الخلاصات الرئيسة، ثم بناء المؤشرات التي تستحق القراءة والتحليل، وأخيراً وضع توصيات قد تكون مفيدة لأصحاب القرار والمؤسسات المعنية بالموضوع..

1. خلاصات رئيسة:

نجد في فصول هذه الدراسة العديد من النتائج والخلاصات المرتبطة بالتيار، وإذا قفزنا عن فصل المسار التاريخي، فإنّ أهم النتائج تتمثّل في أنّ محافظة الزرقاء، وبالأخص مدينة الرصيفة، تمثّل اليوم المركز الأكبر لنفوذ التيار وحضوره، وذلك يتضح من خلال القيادات المعروفة للتيار من المحافظة، وحجم المشاركة في تنظيمي فتح الشام (جبهة النصرة سابقاً) وداعش من أبناء المحافظة، ونسبة من وصلوا منهم إلى مواقع قيادية في الحالة السورية، فهي مسألة لافتة فعلاً.

يشير التحليل الكمّي إلى أنّ 40٪ من الحالات المدروسة هي من محافظة الزرقاء، بينما قرابة 17.4٪ من محافظة إربد، و 13٪ من البلقاء، و 12٪ من عمّان. وكما أشرنا سابقاً، فإنّ هذه النتائج مبنية على منهجية Snow Ball، كرة الثلج المتدحرجة في الوصول إلى المعلومات والمصادر، وليست معياراً صارماً، بقدر ما إنّها تعطي مؤشرات ونتائج ودلالات مفيدة.

وفقاً لهذه الإحصائية، ولخبرتنا البحثية خلال دراسة الظاهرة فمن الواضح أنّ هنالك صعوداً في حضور التيار في محافظة إربد، بخاصة مخيم إربد والأحياء المجاورة له، وهو أمر ملاحظة في عدد المقاتلين هناك في سوريا والعراق، والمشاركين في عملية إربد (2016)، ثم تأتي وفقاً لهذه القراءة محافظة البلقاء، وأخيراً عمّان، بخاصة عمّان الشرقية، ثم معان والكرك.

على صعيد السمات الاجتماعية فإنّ أبرز نتيجة، وأهمّ الخلاصات (وسنشير إلى ذلك في المؤشرات) هي الانتقال من نمط «الفردية الذكورية» في التيار إلى «النمط الأسري»، وذلك يبرز من خلال ظاهرة الأشقاء الجهاديين، والأباء والأبناء، والشقيقات الجهاديات، والأحداث الجهاديين، فالتيار لم يعد - كما كانت الحال سابقاً- مشكّلاً من أفراد ذكور بالغين، متأثرين بهذا الفكر، بل أصبح عائلات؛ أباء وأبناء زوجات، وبنات، ما يعني الوصول إلى درجة من التجذّر الاجتماعي والثقافي أكبر مما سبق.

الخلاصة الأخرى التي تتواصل مع ما سبق هي أنّنا أصبحنا أمام ثلاثة أجيال من الجهاديين هذا «السُلّم العمري»، فإذا افترضنا أنّ العمر المثالي للانخراط بهذا الفكر هو العشرينيات، فإنّنا سنجد تناسباً بين الأجيال الثلاثة «الجهادية» في الأردن وبين متغيّر العمر، فالجيل الأول الذي شارك في القتال أو تأثر بساحة أفغانستان وكاريزما الشيخ عبدالله عزام خلال عقد الثمانينيات، ثم عاد مع بداية عقد التسعينيات، من بقي منه جهادياً يفترض أنّه اليوم في عقد الأربعينيات أو الخمسينيات. وهناك الجيل الثاني، الذي ظهر في مرحلة لاحقة، مع أحداث سبتمبر 2001 واحتلال العراق 2003، ممن قاتلوا في العراق مع تنظيم الزرقاوي أو في أماكن أخرى. أمّا الجيل الثالث، فهو من قدّم أو التزم بالتيار في الأعوام الستة الأخيرة، وبصورة خاصة مع أحداث سورية والعراق نهاية 2011، وأغلب هذا الجيل هو من أبناء العشرينيات بدرجة أولى والثلاثينيات، ومنهم نسبة كبيرة ممن قتلوا وهم يقاتلون مع تلك المنظّمات، من طلاب الجامعات وغيرهم.

ما سبق يقودنا إلى الأعمار، فإنّ غالبية أبناء التيار هم من جيل الشباب، بخاصة العشرينيات، وإن كان هنالك كما ذكرنا سابقاً، أعماراً أخرى، مثل الأحداث، وفوق الثلاثين، ويصل بعض الأفراد إلى الستينيات والسبعينيات، إذ يشير التحليل الكمّي إلى أنّ 77٪ دون الثلاثين.

أمّا فيما يتعلّق بالتعليم، فمن الواضح أنّ هنالك ارتفاعاً ملموساً - خلال الفترة الأخيرة- في نسبة المتعلّمين في هذا التيار، إذ وصلت إلى 21.6٪ من البكالوريوس وطلاب الجامعات، و1.8٪ من الدراسات العليا (ماجستير، وحاصلين على شهادات الدكتوراه)، بمعنى أنّ النسبة تكاد تصل إلى ربع العدد الكلّي، وهي نسبة مرتفعة، مقارنةً بالصورة النمطية التي كانت تربط قبول هذا الفكر بمستوى متدنٍ من التعليم والثقافة.

لا تختلف الحال بالنسبة للوظيفة والعمل، والحالة الاجتماعية، فهنالك ارتفاع في نسبة العاملين مقارنةً بالصورة النمطية التي تربطهم بالبطالة، إذ تصل نسبة البطالة إلى 27.6٪، فيما الآخرون يعملون، وذلك لا يعني - بالضرورة- التقليل من أهمية البطالة كأحد المداخل في قراءة الظاهرة، فهذه النسبة التي تقترب من الثلث تعني أنّ البطالة قد تكون عاملاً مؤثّراً.

ومن خلال جملة من المؤشرات والنتائج يتبين أنّ هنالك شريحتين اجتماعيتين معرّضتين - بصورة رئيسة- لاحتمالية التأثر بهذا الفكر، الأولى هم المتعطّلون عن العمل والمهمّشون، وذوي التحصيل المتدنّي، ويشكّلون نسبة كبيرة في التيار، أمّا الثانية، فهي شريحة من الطبقة الوسطى، من أصحاب الأعمال والمعلّمين وذوي تحصيل جامعي فما فوق.

على صعيد المهن والعمل، فمن الواضح أنّ هنالك تشاركية بين القطاعين العام والخاص في أعداد المنتمين لهذا التيار، لكن القطاع الخاص يستحوذ على نصيب الأسد، وبالنسبة للمهن، فهنالك بروز واضح لمهن معينة، مثل: المهن والأعمال الحرّة، وأعمال المياومة (وبرز لدينا بوضوح من خلال الخبرة البحثية وجود نسبة من العاملين

في مجال السيارات؛ الميكانيك، الصيانة، السائقين)، والمعلّمين والطلاب الجامعين، والموظفين الحكوميين.

من خلال التجربة البحثية ودراسة الحالات تبيّن لدينا مجموعة من النتائج المهمة أنّ هنالك روافد أو خلفيات فكرية متباينة لمن انضموا لداعش والنصرة في القتال في سورية والعراق، فليسوا جميعاً من أعضاء التيار السلفي الجهادي الأردني، فهنالك مجموعة ممن تعود خلفيتهم إلى جماعة الإخوان المسلمين، أو كانوا في مرحلة من المراحل أعضاءً فاعلين في الجماعة، وهنا يظهر دور تأثير عبدالله عزّام (أحد قيادات جماعة الإخوان المسلمين في الأردن سابقاً، وعرّاب الجهاد الأفغاني) كنموذج ملهم لشباب الإخوان للمشاركة في «الجماعات الجهادية». وهنالك من ينتمون إلى خلفيات سلفية تقليدية، وهم أقل ممن ينتمون للتيار المعروف باسم السلفية الحركية، وهنا يظهر تأثير شخصيات في التيار السلفي أبرزها عمر يوسف (أبو أنس)، الذي أصبح لاحقاً مفتي تنظيم الزرقاوي في العراق 2004، وقُتل هناك، فنجده نموذجاً آخر ملهماً لأبناء التيار. وهنالك من كانوا ينتمون إلى جماعة الدعوة والتبليغ المسالمة، التي لا تتدخل في السياسة. وهنالك من لا ينتمون إلى توجهات إسلامية سابقاً، وبعضهم من أصحاب السوابق، الذين تمّ تجنيدهم أو تأثروا بهذا الفكر داخل السجون.

ومن ضمن نتائج دراسة الحالات نجد تأثيراً مهماً ورئيساً لشبكة الأصدقاء، سواء كانوا في الجامعة أو الحيّ أو الجامع أو حتى النادي، ولدور عامل القرابة أيضاً تأثير ملحوظ. لم يعد الموضوع ضبط نشاطات هذه التيارات والأفكار في المساجد، بل أصبح الحيّ والنادي والمنازل والجامعة والعمل، كلّها أماكن متوقعة لعملية التأثير.

في المجمل، ومن خلال جميع ما سبق، يصعب القول بوجود Profile أو تنميط معيّن للمنتمين لهذه التيارات، فهنالك أعمار مختلفة (مع غلبة الشباب) ومستويات اجتماعية واقتصادية وتعليمية وثقافية متنوعة ومتعددة، ما يُضعف أو يحدّ من الصورة النمطية التي تربط أفراد هذه الجماعات بمتغيرات محددة بصورة صارمة.

2. مؤشرات مهمة:

برزت من خلال الدراسة مؤشرات تستدعي الاهتمام والتفكير، للنظر لاحقاً في كيفية ضبطها ومواجهتها، أو الحدّ من صعودها في الحدّ الأدنى، ومن أبرز هذه المؤشرات:

أ- تزايد ملحوظ في نسبة انخراط النساء في هذه التيار، وتطوّر هذه المشاركة من مجرد أن تكون زوجة لأحد الأفراد المنتمين لهذا التيار، إلى مشاركة عبر مواقع التواصل الاجتماعي بالتعبير عن الانتماء لهذا التيار والدعوة إليه، وعبر المشاركة في الإعداد اللوجستي للعمليات، ما انعكس على حضور المرأة الأردنية للمرة الأولى في قضايا أمن الدولة الخاصة بالإرهاب.

مثل هذا التطوّر مرشّح للازدياد والصعود وأن يتحول إلى Trend، بما يشبه الحالة السعودية، إذ بدأت عبر علاقات الزواج والقرابة بين النساء وأفراد التيار، ثم أنشطة متعاطفة للنساء مع أقربائهم المعتقلين، ولاحقاً إلى مشاركة فاعلة في الإعلام لهذه الجماعات، ولاحقاً الهجرة والانضمام وتنفيذ عمليات انتحارية أو عمليات قتالية مع هذه الجماعات.

ب- بصورة موازية، لكن أقل من حيث الكثافة والنوعية يبرز موضوع الأحداث الصغار، كمشاركين في هذه التيار، وقد سبق وأشرنا أنّ التحول من الفردية إلى العائلية من الضروري أن ينعكس على الأبناء، كما نلاحظ في أدبيات وإعلام تنظيم داعش اهتماماً خاصاً بالأطفال والأحداث، عبر من يسميّهم بأشبال الخلافة، ووجدنا في العديد من العمليات والجماعات التي تم الإعلان عنها وجوداً لأحداث، ما أدى إلى تأسيس دار خاصة بالأحداث الإرهابيين.

ت- ارتفاع حجم فاعلية التيار في محافظة إربد، وفي المناطق الشمالية مقارنة بمراحل سابقة، بخاصة في مخيم إربد، الذي لاحظنا دخوله بقوة على خطّ تصدير الأفراد

إلى النصرة وداعش في سورية. والحال كذلك بالنسبة لمدينة الكرك التي وإن كانت نسبتها أقل من محافظات أخرى، إلاّ أنّها ظهرت على خارطة التيار، سواء في عملية الكرك أو حتى بعض القيادات الموجودين في سورية والعراق، وسمات أخرى لافتة.

ث- التواصلية في مسار التيار، فالعديد من الأفراد، الذين تمّ اعتقالهم والحكم عليهم في قضايا محكمة أمن الدولة عادوا إلى العمل والنشاط خلال فترات لاحقة، وبعضهم تم الحكم عليه في أكثر من قضية، متتالية، وآخرون شاركوا في أكثر من ساحة خارجية في القتال إلى جوار هذه الجماعات والتنظيمات.

ج- ازدياد الظاهرة لدى المعلّمين، سواء في المدارس الحكومية أو الخاصة، فهنالك نسبة تصل إلى 8.2٪، ولاحظنا أنّ العديد ممن قتلوا في سورية والعراق، أو اعتقلوا وتم الحكم عليهم هم من المعلمين، ما يستدعي إلى الاهتمام بهذه الشريحة المهمة في عملية التربية والتعليم والتأثير على الأجيال القادمة.

ح- ازدياد أعداد المنتمين لداعش، على حساب التيار الجهادي التقليدي، فالمؤشرات تدلّ على أنّهم الأغلبية في هذا التيار، وهم الجناح الأكثر تشدداً وجنوحاً نحو العنف والعداء للدولة، بينما الجناح الآخر بقيادة المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني، يجنح إلى التهدئة مع الدولة وعدم الدخول في مواجهة سياسية أو صدام.

3. التوصيات:

تعريف الظاهرة وحجمها والمدخلات التي تشكّلها، والتحولات التي مرت بها، والمؤشرات على التطورات الجديدة، كل ذلك بمثابة توصيف مهم للمشكلة يقودنا إلى بناء السياسات والمقاربات والبرامج المطلوبة لمواجهتها أو الحدّ من نمو الظاهرة ومعالجة آثارها، وفيما يلي أهم التوصيات التي خرجت بها الدراسة:

أ- الاهتمام أكثر بتغيير المقاربات الحالية لسياسات مكافحة التطرف والإرهاب: من التفكير فقط بالأفراد الذكور البالغين لتشمل النساء والأطفال، وذلك من الضروري أن ينعكس على الأساليب والخطاب والمؤسسات أيضاً. لقد تمّ تأسيس مركز متخصص برعاية الأحداث، وذلك مهم ولكنه غير كافٍ، فهنالك أعداد متزايدة من النساء والأطفال، و «العائلات الجهادية» ومن الضروري أن يتوسّع التفكير لإعادة تصميم الخطاب والمقاربة والأولويات.

ب- يرتبط بذلك «تحدّي عائلات العائدين» من الخارج، فمن الضروري أن يكون التفكير في النساء والأطفال، الذين كانوا في الخارج، واندمجوا بصورة مباشرة أو غير مباشرة مع مجتمع هذه الجماعات وتلك الأفكار، ما يستدعي تخصيص جهد مؤسسي وثقافي ومجتمعي خاص بهذه الفئة، من أجل دراستها وتقديم تصوّر لكيفية التعامل معها، وإعادة إدماجها في المجتمع قدر الإمكان.

ت- كما أنّ هنالك تحدّي العائدين من الخارج، فإنّ تحدي العائدين من السجون أكثر أهمية وإلحاحاً، لأنّه مؤكّد ويمكن معاينته قريباً، فهنالك اليوم مئات المحكومين على خلفية قضايا عديدة، منها قضايا الترويج، ومحاولة الالتحاق وغيرها، من المتوقع أن ينهوا فترة محكوميتهم في مراكز الإصلاح والتأهيل خلال العامين القادمين 2020-2022، وفقاً لمعدل الحكم بين خمسة أعوام إلى سبعة، خلال الأعوام الماضية، وأغلبية هؤلاء وضعوا في مهاجع مخصصة لأفراد هذه التنظيمات، ما يعني أنّهم على الأغلب طوّروا وجذّروا من انتمائهم وعلاقته بهذا

التيار، وهو ما توضّحة التجربة التاريخية مع العديد من خرّيجي مراكز الإصلاح والتأهيل، ما يضعنا أمام كمّ كبير من الجهاديين من دون وجود برنامج واضح ولا مقاربة للتعامل معهم.

التعامل مع هذا التحدّي يتمثّل بإعادة تقييم كاملة لبرنامج الإرشاد والرعاية داخل مراكز الإصلاح والتأهيل، ومأسسة الجهود في هذا المجال، وإشراك مؤسسات متعددة من الدولة والمجتمع المدني بهذا البرنامج الخاص بتأهيل لمرحلة السجن والتكيف لما بعد السجن، مثل إطلاق السراح المشروط، توفير بيئة أخرى مغايرة، مراقبة السلوك من قبل مؤسسات مجتمع مدني متخصصة، وغيرها من أدوات ومقاربات، لكن الأهم أن يتم تطوير الخطاب الموجّه لهم بصورة مدروسة وذكية.

ث- من الأمور التي من الضروري الاهتمام بها والتنبّه لها هي كيفية التعامل مع الأهالي. فمن الواضح أنّ حالة التعاطف الأسري والعائلي، وربما العشائري مع أفراد التنظيم في ساحات القتال والسجون تتحوّل في بعض الأحيان إلى تأثر لاحقاً. لذلك فإنّ قاعدة عدم معاقبة الأهالي بسبب أفراد التنظيم، وتسهيل عمليات الزيارة والتعامل الإيجابي والناعم من قبل المعنيين، بخاصة في الأجهزة الأمنية مع العائلات والأهالي، يجعل من عملية التعاطف أقل حدّة، ويدفع بموقف أفراد العائلة إلى الاتجاه الآخر، والعكس صحيح، لأنّ تعامل هذه الأجهزة مع الأهالي ينعكس على صورة الدولة لديهم، فإذا كان مريحاً فشلت دعاية التيار في شيطنة الدولة واستعدائها والعكس صحيح.

ج- من الواضح من خلال التطوّر الكمّي والكيفي أنّ هنالك فشلاً ذريعاً في البرامج الوقائية ضد التطرف والإرهاب التي أعلنت عنها الدولة، والخطط والاستراتيجيات المرسومة لتحقيق هذا الهدف، والأموال التي أنفقت على الندوات والمؤتمرات والمحاضرات والمشروعات البحثية؛ فما تزال الحلقات

مفقودة في «المقاربة الثقافية»، ما يعني ضرورة المراجعة والتقييم من قبل المتخصصين، وإعـادة النظر في تحديد المؤسسات المعنية (الثقافية، الدينية والإعلامية والأكاديمية) ودورها وأهميتها في المقاربة الثقافية.

ح- إعادة النظر في العقوبات والإجراءات المتخذة ضد الجرائم غير العنيفة، المرتبطة بالعنف والتطرف، بخاصة تهمة الترويج، والعمل على إيجاد منهجية بديلة متدرّجة للتعامل مع هذه الحالة، نظراً لخطورة فترة السجون في تجذير الفكر وتعزيزه، بدلاً من إصلاحه.

خ- إجراء دراسات معمّقة اقتصادياً واجتماعياً على المناطق الأكثر احتضاناً لهذا التيار، وتشريح الأسباب والعوامل المختلفة التي تساهم في انتشار الفكر وأنصاره.

د- اعتماد المقاربة التنموية في مكافحة التطرف وتوجيهها للمناطق الأكثر احتضاناً للتيار المتطرف استناداً للدراسات العلمية.

ز- تعزيز التوجه لدى الجناح التقليدي من التيار الجهادي (بقيادة المقدسي وأبو قتادة) نحو إعلان «سلمية الدعوة»، ما يساعد على محاصرة التنظيمات والخلايا المرتبطة أو الأقرب لتنظيم داعش أيديولوجياً، التي كانت وراء عمليات إربد والكرك والبقعة.

أهمّ الخلاصات هي الانتقال من نمط "الفردية الذكورية" في التيار إلى "النمط الأسري"، وذلك يبرز من خلال ظاهرة الأشقاء الجهاديين، والآباء والأبناء، والشقيقات الجهاديات، والأحداث الجهاديين، فالتيار لم يعد – كما كانت الحال سابقاً - مشكّلاً من أفراد ذكور بالغين، متأثرين بهذا الفكر، بل أصبح عائلات؛ آباء وأبناء زوجات، وبنات، ما يعني الوصول إلى درجة من التجذّر الاجتماعي والثقافي أكبر مما سبق.

الخلاصة الأخرى هي أنّنا أصبحنا أمام ثلاثة أجيال من الجهاديين، فإذا افترضنا أنّ العمر المثالي للانخراط بهذا الفكر هو العشرينيات، فإنّنا سنجد تناسباً بين الأجيال الثلاثة "الجهادية" في الأردن وبين متغيّر العمر، فالجيل الأول الذي شارك في القتال أو تأثر بساحة أفغانستان وكاريزما الشيخ عبدالله عزام خلال عقد الثمانينيات، ثم عاد مع بداية عقد التسعينيات، من بقي منه جهادياً يفترض أنّه اليوم في عقد الأربعينيات أو الخمسينيات. وهناك الجيل الثاني، الذي ظهر في مرحلة لاحقة، مع أحداث سبتمبر 2001 واحتلال العراق 2003، ممن قاتلوا في العراق مع تنظيم الزرقاوي أو في أماكن أخرى. أمّا الجيل الثالث، فهو من قدّم أو التزم بالتيار في الأعوام الستة الأخيرة، وبصورة خاصة مع أحداث سورية والعراق نهاية 2011، وأغلب هذا الجيل هو من أبناء العشرينيات بدرجة أولى والثلاثينيات. ومنهم نسبة كبيرة ممن قتلوا وهم يقاتلون مع تلك المنظمّات، من طلاب الجامعات وغيرهم.